يونيو (حزيران) ١٩٩١ - ذو القعدة ١٤١١

Reader's Digest
المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest June '91 N° 151

القنبلة التي لم تنفجر ١١
أسرار لا تعرفها النساء ١٦
أكيهيتو وعرش الاقحوان ٢٠
من ينقذ "أطفال الكوكايين"؟ ٢٦
أفضل معلم صادفته ٣٢
حقائق مدهشة عن الشيب ٣٤
جريمة يكشفها جرس ٣٨
ثرثرة فوق السحاب ٤٤
نسيج الموت (قصة من واقع الحياة) ٤٦
"أنا أعمى، اقرأ لي" ٥٤
كيف ينجح المحظوظون ٥٨
مبادىء وقوانين لكل زمان ومكان ٦٢
لايول صانعة النصال ٦٥
نشوة الهبوط بالمظلة ٧٠
بيرغن قروية الشمال ٧٦
نادي العظماء ٨٢
ما أحلى الاسترخاء! ٩٠
الحمية النباتية تشفي القلب ٩٢
كتاب الشهر: النهاية السعيدة ١٠١
أهلا بالدراجة الهوائية ٤
حديقة أفكار ٣ - صور من الحياة ٥٣ - تأملات معاصرة ٧٥
دائرة المعارف ٩٩

أوسع المجلات انتشارًا في العالم
٣٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا

أسرار عن الرجال تجهلها النساء
(ص ١٦)

أكيهيتو على عرش الاقحوان
(ص ٢٠)

الحمية النباتية تشفي القلب
(ص ٩٢)

جريمة يكشفها جرس!
(ص ٣٨)

فندق الشام

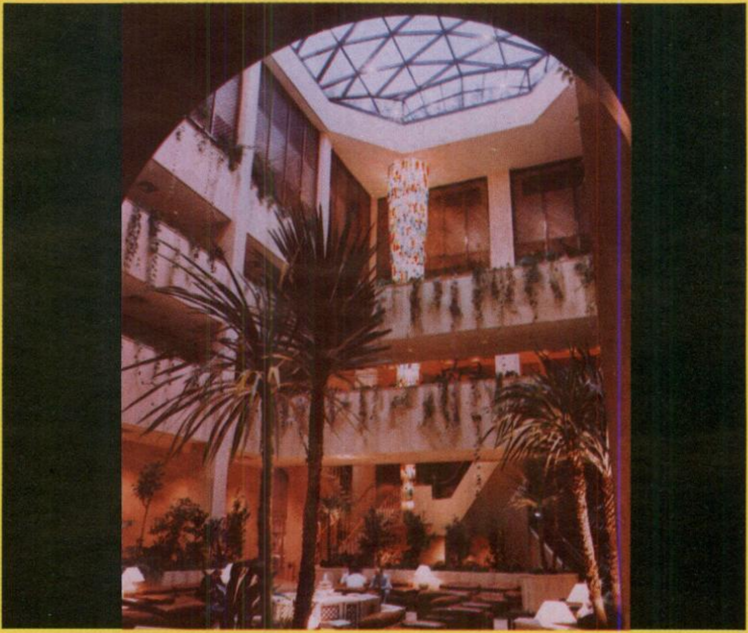

أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها . . . صمم على أحدث طراز فني ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك . . . فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحّي وحمّام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية . . . ولاتنس المطعم الدوّار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تُعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تُظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها .

للحجز : فندق الشام ـ ص.ب ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد

المختار
من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: **ادمون صعب**.

مديرة التحرير: **راغدة حداد**. أمينة التحرير: **نهلا رزق**. محررة مساعدة: **لورا نفاع**. الاشتراكات: **فريال علاف**.

مدير القسم الفني: **جورج غالي**. الخطوط: **عبد القادر اسماعيل**.

الامتياز: **شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس**. الناشر: **شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت**.

رئيس مجلس الادارة – المدير العام: **الدكتور لوسيان دحداح**.

المدير العام المعاون: **داني دحداح – باز**.

التحرير والادارة: **بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان**.

التلكس (الموقت): **MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE**

التنضيد والتنفيذ: **المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت**.

الطباعة: **المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان**.

التوزيع: **الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت**.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

© 1991 BY AN NAHAR P.I.S.A. LICENSEE OF THE READER'S DIGEST ASSN. INC.

Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Makdessi St., Shartouni Bldg., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.

Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE

Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

OJD DIFFUSION PUBLICITE

June '91 N° 151 (New Series) Vol. 13

ريدرز دايجست

المؤسسان: **دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس**.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: **كنيث توملنسون**. مدير التحرير: **فرنسيس ج. شيل**. المدير العام: **جورج ف. غرون**.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية. وهي تنشر ايضاً في طبعة خاصة بحروف كبيرة، وفي طبعة بحروف بريل، وعلى اشرطة مسجلة.

حقوق النشر محفوظة لـ"المختار من ريدرز دايجست" بموجب اتفاق خاص مع شركة "ريدرز دايجست" في نيويورك، الولايات المتحدة. يحظر النقل من "المختار" او الترجمة او الاقتباس منها في اي شكل كان جزئياً او كلياً، في العربية او في اي لغة اخرى. وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة الى كل الدول العربية والافريقية. وقد اتخذت كل اجراءات التسجيل والحماية في العالم العربي والخارج بموجب الاتفاقات الدولية المعقودة لحماية الحقوق الفنية والادبية.

لبنان ١٠٠٠ل – سورية ٤٠ل – الأردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف
السعودية ١٢ر – مصر ١،٥ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – الجمهورية العربية اليمنية: صنعاء ٨ر – عدن ١٥د – مسقط ٨٠٠ب
قبرص ٧٥ب – تونس ٧٠٠م – المغرب ٨د – الجزائر ٧د – انكلترا ١ج – اليونان ١٣٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د

فاجئوا من تحبون بهدية لا تنسى

تمر اعياد من نحب في غفلة عنا، فننسى مثلا ان عيد الآباء يقع في ١٢ يناير (كانون الثاني) وعيد الامهات في ٢١ مارس (آذار).

كما المناسبات الاجتماعية والشخصية ولاسيما منها اعياد الميلاد الشخصية وذكرى الزواج او عيد الحب...

فهل فكرتم في هدية غير عادية، هدية ترافق من تحبون لأكثر من سنة، ترفقونها ببطاقة شخصية تعبرون فيها عن عاطفتكم تجاهه واهتمامكم به؟

فاذا اردتم اهداء من تحبون اشتراكاً لمدة سنة في "المختار" تفيدون خلالها من العرض الخاص (١٦ عدداً بدلا من ١٢) خلال الفترة بين ١٩٩١/١/١ و١٩٩٢/١٢/٣١ فما عليكم الا ملء القسيمة باسم من تودون اهداءه الاشتراك وعنوانه الكامل مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك بقيمة ٣٠ دولاراً امريكياً باسم "المختار من ريدرز دايجست" وارسالهما بالبريد المضمون (المسجل) الى احد العنوانين الآتيين:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON
(TELEX 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR
C/O Mrs. Annick Meadows
P.O.BOX 4271, NICOSIA 163, CYPRUS.

لا تنسوا ان ترسلوا مع القسيمة والشيك بطاقة شخصية موجهة الى المهدى اليه فنضعها بدورنا ضمن الرسالة التي نوجهها اليه.

اسم المهدى اليه ______

______

عنوانه ______

______

المناسبة وتاريخها ______

توقيع المهدي ______

مع أخلص تمنياتنا

حديقة أفكار

- نفتخر كلنا بارتكاب أخطاء صغيرة، فذلك يمنحنا شعوراً بأننا لا نرتكب أخطاء كبيرة.

اندرو روني، صحافي وكاتب ساخر

- التغيير، كوهج الشمس، قد يكون صديقاً أو عدواً، نعمة أو لعنة، شروقاً أو غروباً.

و.و.

- يجب ألا يسمح لأحد بالعزف على الكمان ما لم يتقنه.

ج.ف.

- الأمس قد ذهب، ولن يعود البتّة.

ل.م.

- لا ندرك حقيقة من نحن حتى نرى ما نستطيع عمله.

م.غ.

- لو كانت الأعشاب البرية عسيرة النمو لقوبلت بالترحاب في كل حديقة.

ا.م.

- هنالك أوقات للصمت فيها أعظم الأصوات.

ل.ب.

- تخدم الرياضة المجتمع بتأمينها أمثلة حيّة للتفوق.

جورج ويل، صحافي امريكي

- ليس من الحكمة أن نسعى الى أذية الآخرين أو نتمنى لهم البلاء. فلو كان للضغينة أو للحسد أن يتجسدا لاتخذا شكل البومرنغ، أي السلاح الذي يُقذف فيرتد الى راميه.

تشارلي ريس

- لم أستطع المكوث في انتظار النجاح، لذا تابعت انطلاقي من دونه.

ج.و.

- ما لا نفهمه لا نمتلكه.

غوته، شاعر وروائي وفيلسوف الماني (١٧٤٩ - ١٨٣٢)

SUE DARLOW / NEW CYCLIST

اهلاً بالدرّاجة الهوائية

الدراجة الهوائية وسيلة نقل نظيفة وصحية و... سريعة

خرج بائع الكوكايين من فندق مشبوه في وسط مدينة سياتل بولاية واشنطن، ومشى الى سيارته. وحين صعد اليها شاهد شرطياً قادماً نحوه، فأدار المحرك وانطلق مسرعاً بين السيارات المزدحمة. كان مطمئناً الى أن لا شرطي راجل يستطيع اللحاق به وهو يقود بسرعة ٣٠ كيلومتراً في الساعة، ولا مجال في الشوارع الضيقة المزدحمة لسيارة شرطة تتقدمه وتقطع عليه الطريق. ويتذكر الشرطي فكتور مايس: "لكم كانت دهشته كبيرة حين رآني وقد أدركته وتوقفت قربه أطلب منه أن ينتحي جانب الطريق.

لم يحسب بائع المخدرات حساباً للسلاح الحديث الذي تعتمده دائرة الشرطة في سياتل: الدراجة الهوائية. وعلى رغم سرعته وتعرجه بين السيارات، فانه أخفق في التملّص من مايس الذي ظل يقتفيه على دراجته الجبلية وهي ذات ٢١ سرعة.[١] ولما انعطف البائع الى شارع جانبي اتصل مايس لاسلكياً بزميل له في الشارع المحاذي، فانضم هذا الى المطاردة على دراجته هو أيضاً. ويقول مايس ضاحكاً: "كلما انعطف البائع الى شارع في محاولة للتملص، وجد أحدنا ينتظره في نهاية ذلك الشارع."

أخيراً حاصر الشرطيان السيارة في شارع مسدود. وبذلك أضافت "دورية الدراجات الهوائية الجبلية" انتصارا آخر الى سلسلة اعتقالات تربو على ٣٠٠٠.

تسير الدراجات الجبلية في سياتل بهدوء وبسرعة، وتمكّن ٢٨ شرطياً من الوصول الى أي مكان في الشوارع الشديدة الانحدار وفي المتنزهات العامة. وهي تصل الى مقصدها من دون انذار، حتى ان أحد رجال الشرطة فاجأ بائع هيرويين وهو يسلم المخدر الى أحد زبائنه، فاختطف الكيس من يده قبل أن يتم التسليم. وثمة ٧٥ دائرة شرطة أخرى في الولايات المتحدة تحذو حذو سياتل. كذلك تفعل قوات شرطة في ألمانيا وكندا وسويسرا وبريطانيا.

ان مكافحة الجريمة على عجَلَتين ليست الا مثالا للثورة التي أحدثتها الدراجة الهوائية. فبفضل التكنولوجيا المتقدمة والاهتمام المتزايد بنظافة البيئة، غابت صورة الدراجة كوسيلة رخيصة للتنقل، وحلّت مكانها صورة الوسيلة العصرية لتعزيز النشاط والصحة.

قال روبرتو ترابليتي مدير التصدير في "بيانكي" أكبر مصانع الدراجات في ايطاليا: "يمكننا تفسير هذه الفورة في ركوب الدراجات بكلمتين: الدراجة الجبلية. ففي مستهل الثمانينات كانت سوق الدراجات هامدة وصورتها عتيقة الطراز متخلفة عن العصر. ثم جاء أولئك الكاليفورنيون بدراجاتهم الجبلية، فتغيّر كل شيء."

اكتشاف الطبيعة. ظهرت الدراجة الجبلية في أواسط السبعينات، حين بدأ هواة الرياضة يتحدّون بعضهم بعضاً في سباقات خطرة نزولا على درب جبلية في شمال كاليفورنيا. وسُمِّيت هذه "سباقات الحشو" لاضطرار المتسابقين الى حشو كوابح دراجاتهم تكراراً بالشحم الذي يحترق خلال كل جولة لشدة انحدار الدرب. وكانت كوابح الدراجات العادية أضعف من أن تتحمل الترجرج والتواثب في الطرق الوعرة. لذلك عمد المتبارون الى تحسين دراجاتهم بتقوية هياكلها وتركيب اطارات كثيفة وكوابح مسنودة[٢]

---

(١) 21-speed mountain bike

(٢) Cantilever brakes

أولاد يركبون دراجات جبلية في أحد شوارع أوكسفورد ببريطانيا.

وتروس اضافية للسرعة يراوح عددها بين خمسة وعشرة. وفي العام ١٩٨٠ كانت أولى الدراجات الهوائية الجبلية معروضة للبيع في كاليفورنيا. وسرعان ما نظمت سباقات وتسنّى لمئات المشتركين التخلص من هدير السيارات في الطرق.

وساهمت في تحقيق هذا الازدهار شركتان يابانيتان تصنعان قطع دراجات، هما "سونتور" و"شيمانو." ويروي تاكاشي ايكيناغا رئيس قسم العمليات الاوروبية في "شيمانو": "لدى سماعنا عن هواة الرياضة الكاليفورنيين وقيادتهم الدراجات في الطرق الجبلية المنحدرة، تبادر الى أذهاننا أنهم مخبولون. ومن حسن الحظ أننا أرسلنا ميكانيكياً خبيراً الى هناك عام ١٩٨٠ لكي يدرس ما اذا كان ثمة شيء جدير بالاهتمام. ولدى عودته استهلّ تقريره بالآتي: "يتعين علي قراءة قصيدة لكم، والا لما استطعتم تفهّم دراجة الجبل."

تلك القصيدة عن الحرية والانعتاق في البرية والروابي والجبال والرحاب الريفية غيّرت مسار "شيمانو." وكانت الشركة، الى ذلك الحين، مشهورة بصنع "محوِّل السرعة المفهرَس"[٣] المستخدم أصلا في دراجات المؤسسات العامة. وخلافاً للمحوّلات التقليدية التي كانت تحرَّك بواسطة رافعة مثبتة على الهيكل، كان جهاز "شيمانو" مزلجة "مطَقْطِقة"[٤] مركبة على مقود الدراجة، وثبت أنه مثالي لنقل السرعة خلال ركوب دراجة متواثبة على طريق صخرية. وأضافت الشركة تعديلات أتاحت نقل السرعة أثناء قيادة الدراجة وهي في ذروة سرعتها. وقُوِّيت الكوابح المسنودة التي يفضلها راكبو الدراجات الجبلية. وفي العام ١٩٨٨ كانت شركة "شيمانو" تعمل بطاقتها القصوى لتلبية الطلبات، وقد شهدت

(٣) Indexed derailleur
(٤) Click - shift

الثمانينات ازدياد مبيعاتها من القِطَع أربعة أضعاف.

عام ١٩٨٦ بيع في الولايات المتحدة أكثر من مليون ونصف مليون دراجة جبلية، أو الاصح، دراجات لكل الطرق والمناطق،[٥] أي ١٢ في المئة من مجمل مبيعات الدراجات في الولايات المتحدة. وفي العام ١٩٩٠ ارتفعت نسبة مبيع هذه الدراجات (ATB) الى ٥٠ في المئة. أما شيوعها في أوروبا فكان أبطأ. ويتذكر درو لوسون أحد مؤسسي شركة "مودي فوكس" في لندن، وهي الاولى في أوروبا التي بادرت بصنع دراجات جبلية: "عرضنا دراجتنا الجبلية الاولى عام ١٩٨٣، فبعنا منها ثلاثاً فقط." وحتى العام ١٩٨٦ كانت نسبة مبيع هذا النوع الجديد من الدراجات أقل من ثلاثة في المئة من المبيعات في أوروبا.

أما اليوم فقد ازدادت مبيعات الدراجات في أوروبا بنسبة الثلث على ما كانت قبل خمس سنوات، و٣٥ في المئة منها دراجات «ATB.»

ويقدَّر أن تزيد مبيعات الدراجات في بريطانيا على ٢،٥ مليون سنة ١٩٩١، ونصفها دراجات «ATB.» وتبلغ نسبة مبيع هذه الدراجات أكثر من ٤٥ في المئة في النروج وايطاليا وفرنسا، وأكثر من ٣٠ في المئة في ألمانيا وسويسرا. ويقول برنارد اينو الفائز خمس مرات في سباق دورة فرنسا:[٦] "كان الوقت مناسباً، اذ بات الناس مهتمين بالبيئة وشغوفين بالانطلاق في الهواء الطلق. وها هي رياضة أخرى تتيح لهم اعادة اكتشاف الطبيعة."

قيادة مريحة. استخدمت الدراجات الجبلية في تسلق قمة جبل كيليمنجارو في افريقيا واجتياز الصحراء الكبرى وصحراء غوبي والسير على جدار الصين. وأقيمت حلبات خاصة بالسباقات. ونُظم سباق "باريس – داكار" للدراجات الجبلية، مماثل للسباق الشهير الذي تشترك فيه سيارات وشاحنات ودراجات نارية. وتجرى في تسع بلدان أوروبية على الاقل مباريات للبطولة الوطنية في سباقات الدراجات الجبلية.

وأصبحت السباقات رياضة شعبية، حتى ان الالماني الشهير مايكل كلوغ يكسب رزقه من كونه دراجاً محترفاً. وهو يقول: "يسخر كثير من المحترفين من فكرة سباق الدراجات الجبلية. لكنهم يتوقفون عن السخرية عندما يشاهدون خشونة هذا السباق. فهو مرعب أحياناً، وخصوصاً في المنحدرات الجبلية حيث تصل السرعة الى ٩٠ كيلومتراً في الساعة على دروب ترابية."

وأهم من ذلك أن الدراجة الجبلية أتاحت لالوف الناس العاديين التجول في الضواحي والمناطق الريفية. ومن

(٥) All-terrain bikes «ATB»

(٦) Tour de France

المتحمسات لهذه الدراجة كريستين والارت، وهي زوجة طبيب تقيم قريباً من غابة فونتينبلو خارج باريس. وتقتني عائلتها ثلاث دراجات «ATB.» وتقول كريستين: "ما ننشده هو الهدوء، فلا ضجيج الطرق يخدش أسماعنا ولا يُسمع للاطارات صوت في دروب الغابات. ان ركوب الدراجة أكثر سكوناً من المشي، وهو يتيح لنا التمتع بمشاهد رائعة كالغزلان وحيوانات الغاب الاخرى. وفي الصيف الماضي انسلَّت أمامنا أفعى!"

لقد باتت الدراجة «ATB» شائعة أكثر من اللزوم أحياناً. ففي بعض بلدان أوروبا وأنحاء كثيرة من الولايات المتحدة فرضت قيود على هذه الرياضة حين تبين أن انطلاق راكبي الدراجات بأعداد كبيرة في المناطق الريفية قد يحدث أضراراً بيئية. لذلك حظر على الدرّاجين دخول بعض المتنزهات والغابات.

كذلك ساعد تقدم التكنولوجيا في شيوع الدراجات الجبلية في المدن. فهيكل الدراجة متين كفاية لحمل أكياس المشتريات واجتياز الحفر في الطرق من دون انزعاج. والمقعد الحسن النوابض، والركوب في وضع منتصب، يؤمِّنان قيادة مريحة كالتي توفرها الدراجة السياحية، مع ان «ATB» أخف وزناً ثلاثة كيلوغرامات. وحين تدور الدواستان ٨٠ مرة في الدقيقة، تبلغ سرعة الدراجة ١٠،٥ كيلومترات في الساعة في أدنى درجات ناقل السرعة (المجهز بما بين ١٨ و٢١ ترساً) وقد تصل الى ٤٢ كيلومتراً في الساعة في أعلى الدرجات. ومعلوم أن معدَّل سرعة السيارات في المدن الكبيرة، مثل لندن وباريس وروما، ينخفض في ساعات الازدحام الى ما دون ١٨ كيلومتراً في الساعة.

NEW CYCLIST

ركوب الدراجة في الريف يتيح للمرء اكتشاف الطبيعة.

ويزعم جان شوميان من لجنة الادارة في "اتحـاد الدرّاجين الاوروبيين": "للمرة الاولى منذ ظهور السيارات، تبدو الدراجة الهوائية وسيلة للنقل أكثر جاذبية." وقد بدأ مخططو المدن، الحريصون على تدبر حلول للتلوث والازدحام، يعون فـوائد الـدراجات ويضمِّنونها مخططاتهم. وفي مدينتي ديلفت بهولندا ومونستر بألمانيا أنشئت شبكات طرق خاصة بالدراجات الهوائية، فباتت هذه تؤمِّن ٤٠ في المئة من التنقلات. وفي بلدة أوكسفورد ببريطانيا خصصت ممرات ومواقف بالدراجات، فتضاعف استعمالها خلال السنوات الخمس عشرة الفائتة وباتت تؤمن نحو ٢٥ في المئة من التنقلات، فيما بقي التنقل في السيارات على مستواه عام ١٩٧٣. وفي أمستردام وكوبنهاغن تشكل الدراجات أكثر من ٢٠ في المئة من حركة السير.

الدراجة الفضلى. يقول البريطاني أليكس مولتون (٧١ عاماً) وهو أحد أهم صانعي الدراجات المبدعين حـالياً: "الدراجة شيء رائع. فهي لا تسبب أي تلوث، ولا صوت لها، ومع ذلك فهي تحوِّل الطاقة حركة بفاعلية تتجاوز فاعلية أي آلة أخرى." والميكانيكا الحيوية[٧] هي مفتاح تحقيق الفاعلية القصوى. فالدرّاج العادي يجد صعوبة في انتاج قوة أكبر من ٠،٣ حصان لدى الركوب مسافة طويلة، وهذه لا تتجاوز ثلاثة أضعاف قوة خفّاقة البيض. ومع ذلك فهي كافية لدفع دراجة تزن ١٥ كيلوغراماً، وفوقها راكب يزن ٧٢ كيلوغراماً، بسرعة تزيد على ٣٠ كيلومتراً في الساعة. واذا خفض وزن الدراجة خمسة كيلوغرامات أمكنت زيادة السرعة الى ٤٠ كيلومتراً في الساعة.

وهذا الترابط بين الوزن والسرعة يحفز الصانعين على انتاج دراجات أخف وزناً. فهياكل معظم الدراجات الممتازة مصنوعة من أنابيب من فولاذ يتضمن مزيجاً من معدني الكروميوم والموليبدينوم، ويرقَّق هذا الفولاذ في دراجات السباق الى كثافة ٠،٤ مليمتر. ويعتقد فرانك كيرك، وهو مهندس بريطاني، أنه وجد المعدن المثالي في المغنيزيوم الذي هو أخف وزنا من الالومنيوم. وقد أُنتجت نماذج اختبارية من هذا المعدن اشتركت في دورة فرنسا عام ١٩٩٠.

يقول الصناعي الايطالي الشهير ارنستو كولناغو: "هناك دائماً طرق لتحسين الدراجة. نبدأ بالهيكل، فنسعى الى صنعه خفيفاً ما أمكن لكي لا يشعر الراكب بتعب يمكن تفاديه، وقوياً ما أمكن لكي لا تضيع القوة الدافعة التي يبذلها الراكب. ويتعين خفض الاهتزاز الصادر عن الطريق الى الحد الادنى."

وما زال كولناغو يستخدم مزيجاً فولاذياً من الكروميوم والموليبدينوم في صنع دراجات السباق في مشغله الصغير

(٧) Biomechanics

خارج ميلانو، لكنه اختار صنع هيكل دراجته المبتكرة "كونسبت كولناغو – فيراري"[8] من ليف الكربون والـ"تكنوبوليمر" المقوّى[9] بحيث لا يزيد وزنها على ١،٣ كيلوغرام. وكان ادي ميركس راكباً احدى دراجات كولناغو عام ١٩٧٢ حين حطّم الرقم القياسي في السرعة بتسجيله ٤٩،٤ كيلومتراً في الساعة. وقد حُطم هذا الرقم عام ١٩٨٤، وكولناغو متلهف لاستعادة الاوّلية، وهو يقرّ: "لا يسعني التوقف عن التفكير في طرق لانتاج دراجة فضلى."

عَجَلتان صغيرتان. لا يتفرَّد كولناغو بهذا الهوس، اذ يشاركه فيه مولتون، مهندس السيارات السابق الذي تحتفظ دراجته "المتطرفة" الصغيرة العجلات بالرقم القياسي للسرعة، وهو ٨٢ كيلومتراً في الساعة لمسافة ٢٠٠ متر. لكن مفهوم مولتون لدراجة المستقبل يختلف تماماً عن مفهوم كولناغو، ويشرح مولتون فكرته: "انني اذ أنظر الى دراجة لا أرى سبباً لكي تكون العجلتان كبيرتين. فلدى المرور فوق نتوء (مطبّ) نلاحظ أن العجلة الكبيرة مريحة أكثر من العجلة الصغيرة، لكن هذا الفارق يزول اذا زودت الدراجة الصغيرة جهاز تعليق (سوسبنسيون).[10] والى ذلك، تتميز العجلات الصغيرة بكونها أطوع للقيادة والمناورة. ويمكن زيادة ضغط الهواء داخل العجلتين بحيث "تكرجان" بسهولة أكبر. وذلك يؤدي الى تغيير شامل في تصميم هيكل الدراجة."

أما أحدث دراجة من صنع مولتون فيبلغ قطر عجلتيها ٤٣ سنتيمتراً، بالمقارنة مع ٧٠ سنتيمتراً في الدراجات التقليدية. واطاراها منفوخان وصلبان كالصخر، وهيكلها شبيه بنسيج العنكبوت ومصمم على نمط جسر جمالوني.[11] وقد جاء في المجلة الامريكية "بايسيكل غايد" المختصة بالدراجات: "ان مولتون على صواب، فالعجلات الصغيرة أمتن وأخف، وانعطافاتها أفضل، وتسريعها أعجل من تسريع العجلات الكبيرة. وجهاز التعليق يجعل الركوب ناعماً كالجلوس على وسادة وثيرة، والهيكل الجمالوني الذي يربط كل شيء هو أمتن من أي هيكل يصنع حالياً."

وكلما زادت سرعة الدراجة زادت جاذبيتها كوسيلة للنقل، وخصوصاً في المدن المنكوبة بزحمات السير الخانقة وسحب الدخان المنبعثة من عوادم السيارات. ومهما يكن شكل دراجة الغد وتصميمها، فسيكون ركوبها أسهل وأمتع.

أندرو لينكليتر ■

(٨) Concept Colnago-Ferrari

(٩) Carbon fiber and reinforced technopolymers

(١٠) Suspension system

(١١) Truss bridge. والجمالون مجموعة روافد بشكل مثلث لتدعيم جسر او سقف.

كل أمّ ترى أن الفتيات اللواتي يلاحقن ابنها وقحات واللواتي لا يلاحقنه غبيّات.

ا.هـ.

Reader's Digest
المختار
يونيو (حزيران) ١٩٩١
ذو القعدة ١٤١١
السنة الثالثة عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب. فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر

القنبلة التي لم تنفجر

أنصار البيئة حائرون بين تيارين ينذر أحدهما بهلاك وشيك ويبشر الآخر بازدهار آتٍ

عام ١٩٨٠ راهن عالم بيئة وعالم اقتصاد بمبلغ ألف دولار على الأسعار المستقبلية لخمسة معادن. وشمل الرهان كذلك أموراً أعظم شأناً، أهمّها الرأي في الامكانات القصوى لكوكب الأرض، ورؤية شاملة لمصير البشرية. فقد تراءى لاحد العالِمين تغلغل المبيدات في المياه الجوفية، فيما رأى الآخر أهراء المزارع طافحة بغلال وفيرة. وتوقع أحدهما فناء معظم غابات المطر، فيما تفاءل الآخر بأن الناس سيعمِّرون أعواماً أطول.

هذان الرجلان يتزعمان اليوم تيارين فكريين متضاربين يسمى أنصارهما أحياناً "منذرين بالهلاك" و"مبشرين بالازدهار."[١] وهم في جدل دائم حول ما اذا كان العالم يتحسن أو يتداعى.

(١) Doomsters and boomsters

© 1990 BY JOHN TIERNEY. CONDENSED FROM NEW YORK TIMES MAGAZINE (DECEMBER 2, '90), NEW YORK, N.Y.
PHOTO: © DAVID JEFFREY / THE IMAGE BANK

وقد ذاع صيت عالم البيئة بول ارليش (٥٨ عاماً) عقب نشر كتابه "القنبلة السكانية"[٢] عام ١٩٦٨ الذي بيع منه أكثر من مليوني نسخة. وارليش أستاذ في جامعة ستانفورد بكاليفورنيا، وباحث في عالم الفراشات، ومحاضر، وحاصد جوائز علمية، ووجه مألوف في البرامج الاخبارية على شاشات التلفزة. وهو في عداد المتشائمين.

لقد جاء في مقدمة كتاب "القنبلة السكانية" أن "المعركة التي نشبت لاطعام جميع بني الانسان قد انتهت. ففي السبعينات سيقضي مئات ملايين البشر جوعاً." وجاء في كتاب ارليش أيضاً: "لا شيء يحول دون زيادة كبيرة في نسب الوفيات في العالم." ثم تكهن عام ١٩٧٤ بأن "بني البشر سيدخلون عصر القلة قبل حلول العام ١٩٨٥ حين يكاد ينضب معين معادن رئيسية كثيرة يستعملها الناس."

أما عالم الاقتصاد جوليان سايمون (٥٩ عاماً) فأستاذ في جامعة ميريلاند ساهمت وجهات نظره في قولبة بعض السياسات الامريكية خلال العقد الماضي، لكنه لم يصب النجاح الاكاديمي ولا الجاذبية الجماهيرية التي أحرزها ارليش. وسايمون مثال المتفائل.

في اعتقاد سايمون أن النمو السكاني ليس أزمة، بل نعمة مآلها بيئة أنظف وبشر أوفر صحة. وهو يرى أن عالم الغد سيصبح أفضل، اذ ان أعداداً أكبر من البشر ستأتي بأفكار نيّرة. والتقدم مستمر من دون حدود لأن موارد الكرة الأرضية لا تُحدّ.

التحدي الكبير. حين سطّر سايمون رؤياه المشرقة عن المستقبل في مجلة "ساينس" عام ١٩٨٠، استمطر مقاله رسائل غضبى. فقدّم ارليش الحانق حساباً بسيطاً: "يتوزع موارد الأرض سكان يزدادون ٧٥ مليوناً في السنة، مما يفوق طاقة الأرض ومخزونها من الغذاء والماء العذب والمعادن. واذ تندر الموارد، يغدو محتوماً أن ترتفع أسعار السلع."

ورد سايمون على ارليش بطرح متحدّ: "خذ أي مورد طبيعي، كالقمح أو النفط أو الفحم أو الخشب أو المعادن، واضرب تاريخاً في المستقبل. فاذا ما ازداد المورد ندرة مع نمو عدد السكان في العالم، فان سعره يرتفع." وراهن سايمون على أن السعر سينخفض.

قبل ارليش تحدي سايمون. وفي أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٠ راهنه بألف دولار على خمسة فلزات هي الكروم والنحاس والنيكل والقصدير والتنغستن. فإن تبين عام ١٩٩٠ أن أسعارها مجتمعة، بعد تعديلها لازالة أثر التضخم، هي أعلى من ألف دولار، فإن سايمون سيدفع الفارق إلى ارليش. واذا انخفضت الأسعار دفع ارليش إلى سايمون. ووقع الاثنان عقداً بالرهان.

وفي العام ١٩٩٠ اتضح أن ارليش محق في شأن سكان العالم. فهم اليوم

(٢) The Population Bomb

٥،٣ مليارات أي بزيادة ١،٨ مليار نسمة عن تاريخ نشر كتابه "القنبلة السكانية." غير أن الانسان العادي – على نحو ما – بات ينعم بصحة أوفر وبثراء أكبر. كذلك انخفضت وفيات الأطفال وطال العمر المتوقع للانسان وخصوصاً في العالم الثالث. وحدثت مجاعات في بلاد نكبت بالحروب، وحلت ويلات الجفاف في أنحاء كثيرة، واعتمدت سياسات زراعية خاطئة، لكن الانتاج الاجمالي للغذاء تخطى الزيادة السكانية. وأجمع الخبراء على أن الفرد العادي في دول العالم الثالث هو أحسن تغذية اليوم مما كان عام ١٩٦٨.

حجة ارليش بيّنة، فالموارد في عالم محدود آيلة الى النفاد. وفي الشعار الذي تبناه أنصار البيئة تعبير دقيق عن ذلك: "اننا لا نرث الأرض من آبائنا، بل نستلفها من أولادنا." لكن الحجة المعاكسة ليست مقنعة بداهة، وهي تنطوي على سؤال بسيط: لماذا لم تنفد الأشياء بعد؟

الملاذ الاخير. حين تناهت الى جوليان سايمون في أواخر الستينات تكهنات متشائمة عن زيادة مفرطة في السكان، شرع يسطّر كتابات عن ضرورة اقناع النسوة بالتقليل من انجاب الاطفال. لكنه اطلع بعد ذلك على دراسات بيَّنت، في الاجمال، أن البلدان ذات النمو السكاني السريع لم تكابد أكثر من سواها، وأن بعضاً منها كان أحسن حالاً.

ووقع أيضاً على بينات بأن أسعار الموارد الطبيعية منذ العام ١٨٧٠ تدنت بالقيم الحقيقية. فالعامل العادي في وسعه اليوم أن يشتري كمية أكبر من الفحم بأجر ساعة مقارنة بما كان يشتريه في القرن الماضي، وكمية أكبر من المعادن والأغذية أيضاً. وبذا فان الأشياء تقلّ ندرة مع نمو السكان.

وراجع سايمون وسواه عشرة آلاف سنة من أزمات نقص الموارد، فرأوها تسير على منوال مطرد: كلما ندرت الأشياء استجاب الناس للندرة بالابتكار، فعثروا على موارد جديدة أو عمدوا الى التقنين.

وغالباً ما تفضي الندرة الى ايجاد بديل أفضل. فانتقال اليونان من عصر البرونز الى عصر الحديد قبل ثلاثة آلاف سنة ألهمه اختلال في التجارة، ذلك لأن النقص في القصدير اللازم لصنع البرونز دفع اليونانيين الى استعمال الحديد. ومثل ذلك أن نقص الخشب في بريطانيا إبّان القرن السادس عشر اذن بدخول عصر الفحم، وندرة زيت الحيتان عام ١٨٥٠ ساهمت في حفر أول بئر نفط عام ١٨٥٩.

قد يحدث نقص موقت في مورد ما، لكن سايمون ورهط من أنصار نظرية الازدهار يزعمون أن الناس سيجدون بدائل، لا محالة، ما لم تتدخل الحكومات لفرض التقنين أو وضع ضوابط للأسعار.

وقد ذكر سايمون في كتابه "الملاذ الأخير"[٣] الصادر عام ١٩٨١ أن عبقرية

(٣) The Ultimate Resource

البشر ستزيد طاقة الأرض بلا حدود. وشكلت هذه الفكرة علامة فارقة بين سايمون وارليش، هي نظرة الى العالم سوقاً مرنة لا نظاماً بيئياً مغلقاً.

أقرّ سايمون بأن السوق في حاجة إلى بعض التنظيم. لكنه لفت الى أن جوّ أمريكا وماءها ازدادا نظافة مع كرّ العقود، ويعود ذلك جزئياً الى ازدياد اليُسر (المجتمعات الثرية تصرف أموالا على ضوابط التلوث) والى التكنولوجيا (التلوث الناجم عن دخان السيارات في المدن لا يذكر بالمقارنة مع السخام الذي كان ينبعث من أفران الفحم في مطلع هذا القرن).

ويصرّ سايمون على أن الأزمات البيئية مغالى فيها. ويقول شاكياً: "حالما يبين أن كارثة متوقّعة لم تحدث، ينتقل رسل الشؤم الى كارثة أخرى. لا ضير في انشغال البال بالمعضلات المستجدة، ولكن لِمَ لا يرون أن الأمور في مجملها صائرة الى التحسن؟ انهم ينكرون علينا القوى المبدعة الكامنة فينا لاستنباط حلول."

استقطاب الجماهير. أشرس المعارك خاضها سايمون ضد فكرة طرحها ارليش ومفادها أن العالم مكتظ بالناس. ويقرّ سايمون بأن الزيادة السكانية تسبب مشاكل قصيرة الامد، لكنه يجزم بأن ثمة منافع طويلة الأجل حين يصبح الأطفال راشدين منتجين. وهو تهجّم على ارليش لاقتراحه على الحكومات اعتماد وسائل اكراه لتحديد النسل، ووقف المساعدات عن الدول التي تحجم عن وضع قيود للحدّ من نمو سكانها.

ويبدو أن حجة سايمون تلقى هوى لدى الأكاديميين. ومع أن علماء كثيرين لا يركنون إلى تفاؤله الكاسح الماسح ولا يضمنون أن اتجاهات الماضي ستستمر مستقبلا، فان الاجماع أخذ يتحوّل عن فكرة ارليش القائلة بأن النمو السكاني شر مستطير.

وما زال سايمون متخلفاً عن الركب، فهو لم ينل حظوة لدى الجمهور. فقد ظهر ارليش قبل "يوم الأرض" في ١٥ ابريل (نيسان) ١٩٩٠ في برنامج تلفزيوني مروّجاً لكتابه الجديد "الانفجار السكاني"[٤] الذي يجاهر فيه بأن القنبلة السكانية انفجرت. وفي الحشد المجتمع في واشنطن لمناسبة "يوم الأرض" صفّق جمهور غفير ينيف على ١٠٠ ألف لقول ارليش ان النمو السكاني سيتمخض عن عالم يشهد فيه الأحفاد حوادث شغب بسبب نقص الغذاء.

في ذلك اليوم، على بعد عشرات الامتار داخل قاعة صغيرة، وسم سايمون النمو السكاني بأنه "نصر على الموت" اذ يعزى الى مضاعفة العمر المتوقّع منذ بداية الثورة الصناعية عام ١٧٥٠. وأضاف: "هذا مكسب لا يستهان به. فالمرء يتوقع من أنصار الحياة البشرية أن يثبوا فرحاً، لكنهم بدلا من ذلك ينوحون لأن ثمة أعداداً غفيرة من الناس

(٤) The Population Explosion

ما زالت على قيد الحياة."

لكن جمهور سايمون لم يتعدَّ ١٦ نفراً!

من الرابح؟ سدّد الرهان في خريف ١٩٩٠ من دون أي مراسم. فأرسل ارليش بالبريد إلى سايمون ورقة تتضمن حسابات لأسعار المعادن مرفقة بشيك بقيمة ٥٧٦،٠٧ دولاراً. فكل واحد من المعادن الخمسة التي انتقتها مجموعة ارليش هبط سعره منذ العام ١٩٨٠، بعد اجراء تعديل لمحو آثار التضخم.

ويعود هبوط الأسعار، جزئياً، الى الاسباب ذاتها التي أدت الى هبوطها في العقود السابقة: الريادة والمغامرة والتطور التقني المطَّرد. ويستغلّ المنقبون وسائل جديدة. فبفضل أجهزة الكمبيوتر والآلات الجديدة والعمليات الكيميائية التصنيعية الحديثة، ظهرت سبل أسرع لاستخراج الخامات وتنقيتها.

وفي استعمالات شتى استعيض عن المعادن بمواد أرخص نذكر منها اللدائن (البلاستيك). وباتت المكالمات الهاتفية تسري عبر الأقمار الاصطناعية وخطوط الألياف البصرية[٥] بدلا من أسلاك النحاس. وأبدل التنغستن بالخزف في أدوات القطع.

فهل في ذلك عبرة للأيام الآتية؟ يجيب ارليش: "قطعاً، لا. أنظروا إلى المعضلات المستجدة: ثقب الأوزون، المطر الحمضي، ارتفاع درجة حرارة الأرض. لا ريب لدي في أننا، اذا ما تركنا النظم البيئية للأرض تتدهور في القرن المقبل، فقد نمنى بانهيار سكاني كبير."

لم يفاجأ سايمون بما سمع عن رد غريمه: "انه يتحدث عن انهيار سكاني الآن. يبدو أن لدي فرصة أفضل لكسب مزيد من المال. وأنا أراهنه على ذلك بأرجحية مغرية."

جون تيرنيه ■

(٥) Fiber-optic lines

شباب الهاتف

كنت أبحث في مشاكل الحمل مع ابنتي الكبرى التي كانت حاملا للمرة الاولى. فأخبرتها أن أختها الصغرى، وهي في الثامنة عشرة من عمرها الآن، تأخرت أسبوعين عن موعد ولادتها.

فعلَّق صهري قائلا: "ولو كان هناك هاتف لما وُلدت الى الآن."

د.ج.

أتعاب المحامي

قال المحامي للقاضي محتجاً: "لكن مبلغ مئة ألف دولار ليس تسوية عادلة يا سيدي الرئيس، فموكلي يستحق شيئاً هو أيضاً!"

ن.ر.

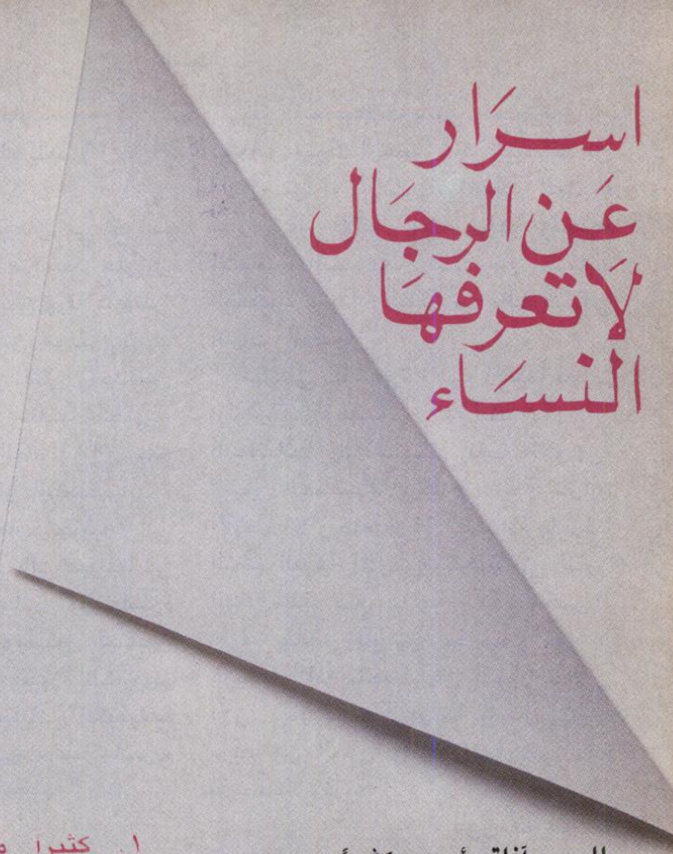

اسرار عن الرجال لا تعرفها النساء

للحب آفاق أوسع كثيراً من تلك التي يقر بها الشريك

خلال عملي طبيبة نفسانية منذ العام ١٩٧٥ استشارني ألوف الرجال والنساء، وأدركت أسباب نجاح العلاقات الزوجية أو فشلها، كما اكتسبت أفكاراً قيمة جعلتني أفهم أسباب سلوك الرجال. فمن أجل حياة جنسية أغنى وأمتع مع من تحبين، أود مشاركتك في خمسة أسرار مهمة:

١. كثيرا ما يعتمد الرجال الجنس وسيلة للتعبير عن مشاعرهم عندما يعجزون عن التعبير بالوسائل العاطفية.

يصعب على كثير من الرجال التعبير عن مشاعرهم الحساسة، كالخوف والألم والضعف والخيبة. فيستخدمون الجنس متنفساً لهذه الأحاسيس غير المحكية.

لكن العلاقات الحميمة في هذه الظروف قد تثير بعض المشاكل. فالزوج يتحرر جسدياً، لكنه لا يحل مشكلة التوتر النفسي الذي يعتمل داخله. وفي المقابل،

CONDENSED FROM «SECRETS ABOUT MEN EVERY WOMAN SHOULD KNOW,» COPYRIGHT © 1990 BY BARBARA DE ANGELIS, PUBLISHED BY DELACORTE PRESS, A DIVISION OF BANTAM DOUBLEDAY DELL PRINTING GROUP, INC. NEW YORK, N.Y. PORTIONS OF THIS MATERIAL ALSO APPEARED IN RED BOOK (FEBRUARY ' 90). PHOTO: ERNEST COPPOLINO

تشعر الزوجة بالغيظ عندما تكون الغاية الوحيدة من العملية تبديد شعور زوجها بالاحباط.

وعبر السنين سألت عدداً كبيراً من الرجال عن مشاعرهم أثناء ممارسة الجنس مع زوجاتهم في مثل تلك الحالات. فكان جواب معظمهم أنهم أرادوا الاطمئنان الى وجود حليف بجانبهم، والجنس هو الوسيلة الوحيدة التي يعرفون للحصول على الطمأنينة والراحة.

غاري وزوجته فران يمثلان قصة نموذجية. قالت لي فران: "عندما ينزعج غاري من أمر ما فهو لا يتكلم عنه، بل يصبح عدوانياً في ممارسته للجنس." وأقرّ غاري بأن فران على حق. وهذا الكشف المشترك منح الزوجين ارتياحاً كبيراً. تقول فران: "بدأنا الآن نستغل وقتنا أكثر، ونتعانق طويلا كلما كان غاري متوتراً، فنشعر بعد ذلك باتصال حقيقي."

حاولي طمأنة زوجك لكي يشاطرك مشاعره عندما تشعرين بأن مغازلاته تحمل أحاسيس مكبوتة، كأن تقولي له: "ضمني اليك قليلا يا حبيبي." ثم اسأليه عما يجول في خاطره. ستشعران عندئذ بتقارب أعمق، وتصبح المضاجعة متقدة.

٢. الرجال ينجذبون الى النساء الجريئات.

تشكو معظم النساء اللواتي أقابلهن من أن أزواجهن لا يقدّرونهن حقاً وأن العلاقة تنتهي عادة الى الحديث عن اهتمامات الزوج لا الزوجة.

ولكن من الواضح في معظم الأحيان أن النساء يتعمدن طمس قدراتهن لكي يمنحن أزواجهن شعوراً بالأهمية. اشتكت ايلين من أن زوجها أندي يستخف بوظيفتها، الى أن أدركت أنها هي أيضاً كانت تستخف بها. وقد اكتسبت هذه العادة منذ طفولتها عندما كان والداها يطلبان منها عدم اخبار أخيها بنتائجها المدرسية المتفوقة. فاعترفت لي: "ليس من الغريب أن يسيء أندي تقديري."

تقلل ملايين النساء من قيمة انجازاتهن لأن ذلك، في اعتقادهن، يجعلهن "أقل خطراً"، وبالتالي أكثر جاذبية، بالنسبة الى الحبيب. لكن هذا الأسلوب قد يقابل بالنفور عندما يشعر الرجل بأنه تواضع زائف.

في معظم الأحيان ينجذب الرجال المقتدرون والموهوبون الى النساء اللواتي يملكن هاتين الصفتين. وقد استنتجتُ من مقابلات أجريتها مع مئات الرجال أن معظمهم يفضلون المرأة الواثقة بنفسها.

وكثيراً ما أطلب من النساء خلال حلقاتي الدراسية أن يسجلن مواهبهن وفضائلهن ونجاحاتهن، ثم يعرضنها على أزواجهن. فكن يخبرنني أن هؤلاء فوجئوا وسُرّوا باكتشاف مزيد من الصفات الايجابية في النساء اللواتي يحبون.

٣. لا يحب الرجال أن يُعامَلوا كأطفال.

عندما تعاملين زوجك كأم تدفعينه أكثر

الى معاملتك أنت كأم حقاً. فكيف ينظر اليك زوجك برومنطيقية وأنت تنتزعين نسالة من ثيابه أو تذكّرينه بواجباته المنزلية وما الى ذلك من أساليب معاملة الأطفال؟

لماذا تعامل النساء رجالهن كأطفال؟

أجابت احداهن: "كلما شعرت بأنني لا أحظى بانتباه واف من تشارلي، عدت الى انتحال دور الأم. فأعد له أطباقه المفضلة وأرتب أدراج خزانته. ما أريده حقاً هو مقدار أكبر من المحبة والمودة. لكنني لا أكسب سوى امتنان طفل يشكر أمه على عنايتها الفائقة."

تتعلم الفتاة من خلال مراقبتها أمها أن تكون راعية وغير أنانية ومتيقظة لحاجات الآخرين. وحين تكبر تعامل زوجها، لاشعورياً، معاملة الأطفال. قد يُحبذ الرجال هذه العناية بادىء الأمر. لكن انغماس المرأة في دورها الامومي يصعّب على زوجها النظر اليها بمنظار شهواني.

كيف يمكنكِ التخلص من هذه العادة؟

عندما يسألك زوجك عن مفاتيحه أجبري نفسك على الرد: "لا أدري." ودعيه يبحث عنها بنفسه. لا ترتبي ما يخلّفه من فوضى، ولا تقترحي عليه ما يجب أن يرتديه، بل عامليه كرجل مقتدر يحوز ثقتك.

قد تغلب الفوضى على حياتك في البداية، فتتأخرين في الذهاب الى حفلة لأن زوجك أضاع مفاتيحه مثلا. لكنه سيدرك عاجلا أنك تتركين هذه الأمور له، وسيرى فيك مجدداً المرأة التي اختارها.

٤. يحب الرجل الزوجة التي تستمتع به جسدياً.

هناك اختلاف بين المضاجعة الحميمة والجنس الصرف. وقد استنتجت من مقابلاتي أمراً واضحاً: أن النساء يفضّلن المضاجعة الحميمة والرجال يفضلون الجنس العفوي اللّعوب.

جاءني يوماً زوجان في عقدهما الرابع يتذمران من مشاكلهما الزوجية. كانت كارين تعتقد أن رغبة تيم الوحيدة هي الجنس، فيما شكا تيم من اهتمام كارين الوحيد بالرومنطيقية.

لقد افترضت كارين، مثل كثيرات، أن زوجها لا يشعر نحوها بالحب ما دام مهتماً بالجنس، وانه يستغلها فحسب. لكن العكس كان صحيحاً، اذ قال تيم انه يشعر بحب أكبر لزوجته عندما يكون شهوانياً مشبوب العاطفة.

ووافق الزوجان على خوض تجربة يحاول فيها تيم التعبير أكثر عن مشاعره العاطفية وتبذل كارين جهداً أكبر للاستمتاع بعلاقتهما الجسدية.

فجاءت النتائج سريعة وايجابية. قالت كارين انها أدركت أن زوجها يشتهيها لأنه يحبها حقاً.

٥. ما سر تحوُّل الرجل أحياناً بعد الجماع؟

كانت احدى النسوة تلقب زوجها "ضفدعة" لأنه كان يقفز من الفراش بعد الجماع مباشرة. وهو قال ان التمدد في السرير يقلقه. لكن زوجته توهمت أنه

يحاول فرض مسافة عاطفية بينهما.

يشتكي عدد لا يحصى من النساء أن أزواجهن يتحولون عنهن بعد الجماع، ولا يدركن أن الرجال يتبعون هذا الأسلوب لكي يستعيدوا السيطرة على مشاعرهم. ان الصورة القوية للذات تشكل عنصراً مهما بالنسبة الى معظم الرجال، وقد يرون في سقوط وسائلهم الدفاعية كلياً تهديداً من الناحية النفسية.

قال لي أحد الذين عالجتهم ان المضاجعة هي التجربة الوحيدة التي تشعره بحرية كاملة في التعبير عن نفسه عاطفياً، لكنه يحس بعدها بحاجة الى استرداد رباطة جأشه واسترجاع رجولته.

ان كان هذا جزءاً من معاناتكم، فحاولوا الاتفاق على تسوية ما. قد يحتاج الزوج الى دقائق سكينة قبل ان يستعيد رغبته في العناق والكلام. وتفهُّم هذه الحاجة يمكن ان يزيد تقديركم لكل اللحظات الهادئة التي تتقاسمون.

والآن، اذ أزيح الستار عن هذه الأسرار، يمكنكم الافادة منها لبناء جسر من التفاهم. فتطلعات الرجال والنساء هي عينها في النهاية: أن يحبوا الانسان الأقرب اليهم، وأن يقابَلوا بالحب.

د. بربارة دي انجلس ■

الكاتبة هي مديرة "مركز النمو الشخصي" في لوس انجلس ومضيفة برنامج "بربارة دي انجلس" الذي تعرضه شبكة «CBS» للتلفزة.

كل شيء ممكن

بعد أكثر من عام على تولي آنا بيريس منصب المستشارة الاعلامية للامريكية الأولى بربارة بوش، لا تزال هذه السيدة منذهلة بمزايا مركزها. ولذلك أسباب وجيهة، فقد عاشت بيريس وقتاً كان أقصى ما تحلم به أن تحظى بسقف فوق رأسها لا بمكتب في البيت الأبيض.

كانت بيريس في الصف الابتدائي الخامس حين عادت يوماً من المدرسة لتجد أمها وشقيقيها وشقيقتيها جالسين على قارعة الطريق بعدما طردوا من منزلهم لعجزهم عن تسديد بدل الايجار. وتتذكر بيريس: "كان على والدتي أن تفرِّق العائلة لفترة محدودة، فأقام كل منا في مكان. غير أنها كانت تؤكد لنا دائماً أن ما يَسِمنا ليس وضعنا المالي بل قدرتنا على تجاوز هذا الوضع."

لكن آنا بيريس لم تتوقع أن تتغلّب على ضائقتها بمثل هذا التفوّق. وتقول المستشارة الرئاسية وهي أم لثلاثة أولاد: "احدى ميزات وظيفتي أن أولادي حين يزورون أمّهم في مكتبها فانما يأتون الى البيت الأبيض. وهم سيدركون تماماً أن كل شيء ممكن. واذا كانت ثمة حدود لحياتهم، فهي تلك التي يخطّونها لأنفسهم."

ل.ر.

أُكيهيتو وَعَرش الأقحوان

نشأ وحيداً في كنف غرباء لكنه أحب الناس وخرج على تقاليد عتيقة

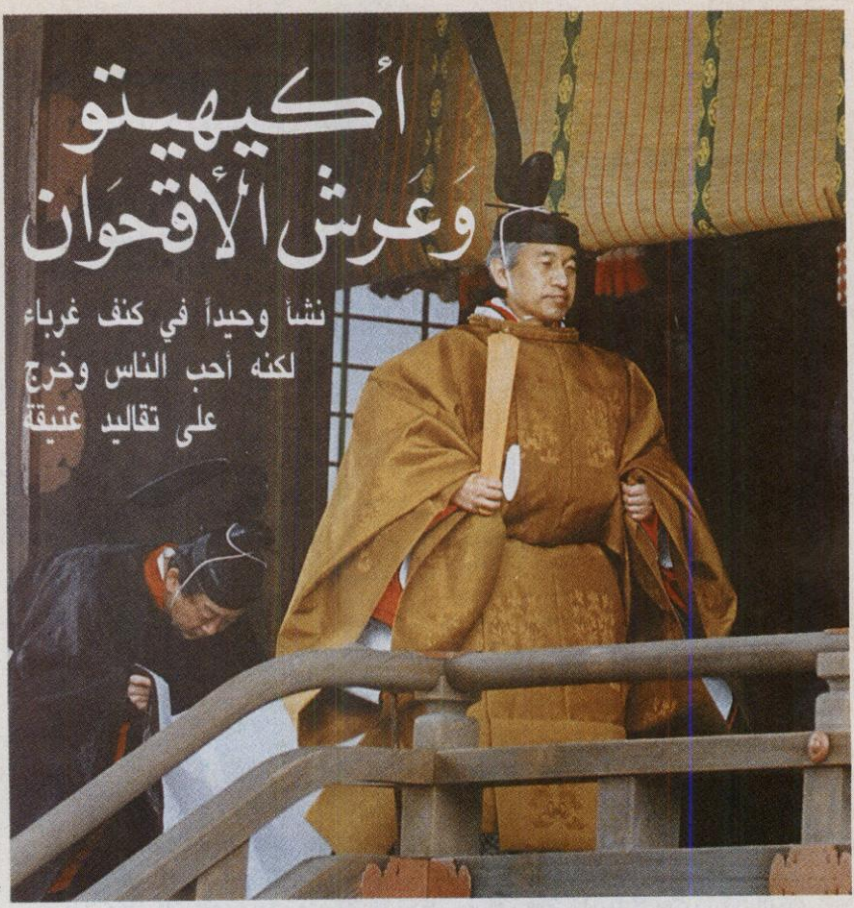

في السادسة والنصف مساء ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) كان رجل في السادسة والخمسين من العمر يغتسل تحضيراً لمناسبة مهيبة. ثم ارتدى ثوب الطقوس الأبيض ودخل المقام المبني في فرجة وسط غابة. تناول طعامه المؤلف من رز مسلوق ودُخن،[1] وبدأ يتحدث الى سلفه الاسطوري أماتيرازو أوميكامي. وقبل ثلاث ساعات من بزوغ الفجر خرج أكيهيتو من المقام وقد أصبح أمبراطور اليابان المئة والخامس والعشرين.

أصبح أكيهيتو امبراطوراً بعد وفاة والده هيروهيتو في العام ١٩٨٩. ولكن، قبل تتويجه، كان عليه أن ينتظر انقضاء فترة حداد طويلة حتى "اليوم المؤاتي" بحسب دستور "تايهو" الذي أخذته اليابان عن الصين قبل قرابة ١٣٠٠ سنة.

---

(١) Millet

© 1990 BY STEVEN R. WEISMAN. CONDENSED FROM NEW YORK TIMES MAGAZINE (AUGUST 26, '90), NEW YORK. PHOTOGRAPH BY IMPERIAL HOUSEHOLD AGENCY / FUJIFOTOS

أديت هذه الطقوس للمرة الاخيرة عام ١٩٢٨ عندما اعتلى هيروهيتو "عرش الاقحوان." أما احتفالات تتويج ابنه أكيهيتو فأظهرت لكثير من اليابانيين رغبة الأمة في ابراز التقاليد الامبراطورية اليابانية بعدما حُيِّدت طويلا وأخرست.

أكيهيتو رجل حذر ينأى عن الأضواء، وهو يدرك تماماً أن معظم اليابانيين يعتبرونه رجلا تافهاً عديم الاهمية، لكنهم مع ذلك يتوقعون منه أن يتصرّف على نحو مثالي وأن يحافظ على مركزه ذخراً للتراث. وفي عصر حيث الايمان بالتقاليد اليابانية على المحك، فان بقاء الامبراطورية هو رهن بثقة الشعب. وكان أكيهيتو يعرف، في خضم الاحتفالات ومظاهر الابهة التي رافقت تنصيبه، أن اليابانيين يراقبون جهوده لاحياء الشعائر القديمة وتوطيد شخصيته الخاصة وتكييف نفسه ليصبح جديراً بالوقوف على عتبة القرن الحادي والعشرين. ويقول أكيرا هاشيموتو مدير مركز "أخبار أعمال اليابان" وهو زميل دراسة للامبراطور: "أعتقد أنه يعيد توطيد النظام الامبراطوري الياباني. وهو يبحث بصدق عن طريقته الخاصة ليكون محبوباً من الشعب الياباني."

يتصرف أكيهيتو هكذا بصفته وارث تاريخ مليء بالتناقضات. فالدستور الياباني بعد الحرب العالمية الثانية جرّد الامبراطور من سلطاته جاعلا اياه مجرد رمز للأمة ولوحدة الشعب. فهو يستقبل أصحاب المقامات الرفيعة الأجانب ويوقع الوثائق الرسمية ويتولى مهمات أخرى كرئيس دولة، وإن لم يكن كذلك.

صائد الفراش. في معظم ما سجله التاريخ، تنقلت السلطة الفعلية في اليابان بين "أمراء الحرب" والحكام الذين تلاعبوا بالامبراطور. وبعد "انقلاب مايجي"[٢] عام ١٨٦٨ استعاد الامبراطور مرتبة رئيس الدولة "المنيع." اما اليوم فتقل نسبة اليابانيين الذين يؤمنون بـ"ألوهية" الامبراطور عن ٥ في المئة. وتؤيد نسبة مماثلة الغاء النظام الامبراطوري. لكن استطلاعات الرأي تظهر أن معظم اليابانيين غير مكترثين لهذا الامر.

عندما كان أكيهيتو مراهقاً، سئل مرة هل يتمنى أن يكون ولداً عادياً، فأجاب: "لا أعرف، فأنا لم أكن أبداً ولداً عادياً."

كانت ولادته عام ١٩٣٣ حدثاً سعيداً، اذ بعد انجاب أربع بنات كادت الامبراطورة ناغاكو تيأس من امكان انجابها وارثاً ذكراً. وتبعاً للتقاليد، أبعد أكيهيتو عن والديه في عامه الثالث، وربي على أيدي مرافقين رعوه بغيرة وتفان. وهو أخبر أصدقاءه في ما بعد أنه نادراً ما كان يُسمح له بصعود السلالم وحده.

عاش أكيهيتو طفولته وحيداً. وكان رفقاء صفه يُبقون في منأى عنه ويُطلب منهم عدم اخباره بزياراتهم حديقة الحيوان وأمكنة أخرى كي لا تزداد تعاسته. وذات مساء دخل أحد أصدقائه

(٢) Meiji Restoration

غرفته المعتمة فشاهده وحيداً أمام مصباح خاب "يصطاد" فراشات طائرة.

وفي العام ١٩٤٤، عندما كانت الطائرات الامريكية تقصف طوكيو، انتقل أكيهيتو الى السكنى في الجبال. وعاد في السنة التالية ليرى منزله مدمراً والمدينة مهجورة.

وفي فترة الاحتلال قرر الامريكيون أن العزلة باتت خطراً على الفتى البالغ من العمر ١٢ عاماً. وهكذا تابع أكيهيتو دراسته الثانوية والجامعية مع أصدقاء من أبناء الطبقة الميسورة. واستقدمت العائلة الامبراطورية مدرّسة أمريكية تدعى اليزابيث غراي فايننغ لتدريس الامبراطور اللغة الانكليزية والعادات الامريكية. ويقول أحد رفقاء أكيهيتو ان فايننغ ساهمت في غرس مبادىء الديموقراطية في نفسية الامبراطور.

وقبيل سن الرشد قرر أكيهيتو أن يربي أولاده بعيداً عن القيود التي فرضت عليه. وهكذا بدأت "وكالة الاسرة الامبراطورية" بحثاً حثيثاً عن أميرة للعرش. ولكن في العام ١٩٥٧ صادف أكيهيتو في ملعب لكرة المضرب فتاة تدعى ميشيكو شودا هي ابنة أحد الصناعيين البارزين. كانت رياضية بارعة وطالبة جذابة في جامعة خاصة في طوكيو. وخسر أكيهيتو مباراته، لكنه ربح ميشيكو.

وفي العام ١٩٥٩ تزوجا. صُدم الاريستوقراطيون لاختيار الامبراطور زوجة من العامة. وانتُقدت الأميرة لارتدائها ملابس "غير ملائمة" وحملها ابنها أمام الناس وارضاعه من صدرها، ولجمالها الذي لا تضاهيها فيه امرأة أخرى في العائلة. وأثرت هذه الضغوط في ميشيكو، فخف وزنها وبدت هزيلة متعبة كئيبة. واعتزلت عن الناس مدة أربعة أشهر، وعُلم في ما بعد أنها كانت تعاني "انهيار أعصاب" عنيفاً. ويقول الأصدقاء ان أكيهيتو وقف الى جانب زوجته خلال تلك الفترة العصيبة. وهي

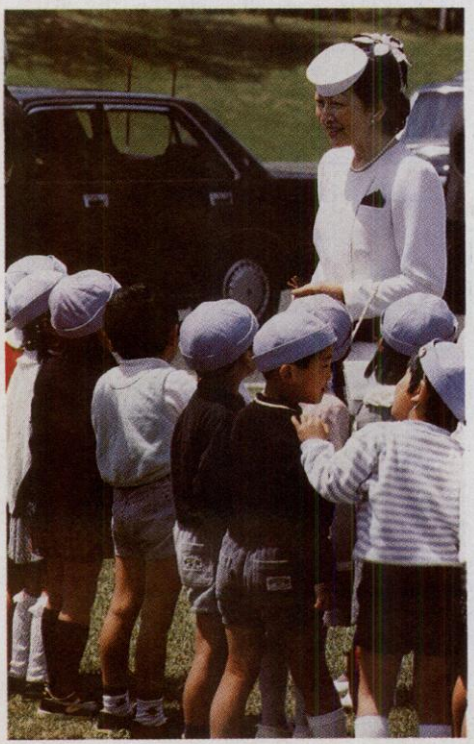

الامبراطورة ميشيكو في احتفال لمناسبة ذكرى مولد هيروهيتو.

PHOTO: K. KAI / FUJIFOTOS

اليوم محط اعجاب ورمز للاناقة والكياسة، لكن كثيرين لم ينسوا ضعفاتها القديمة. أما المقربون فيؤكدون أن الامبراطورة تملك زمام أمورها تماماً.

رجل متوحِّد. يعيش أكيهيتو وزوجته ميشيكو في قصر "أكاساكا" المنعزل مع ابنتهما نوري (٢٢ عاماً). أما ابناهما، ولي العهد ناروهيتو (٣١ عاماً) والأمير أكيشينو (٢٥ عاماً). فدرسا في جامعة أوكسفورد في بريطانيا ويعيشان اليوم في اليابان. وتتقاضى العائلة مخصصات

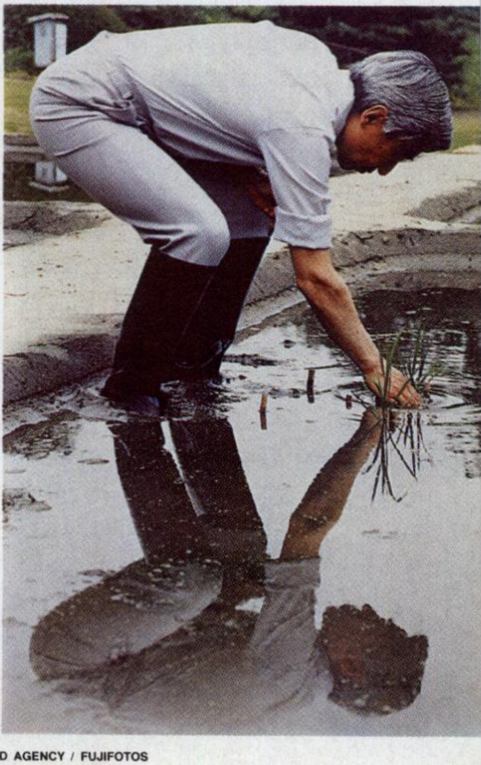

الامبراطور أكيهيتو يزرع الرز في حديقة القصر الامبراطوري.

PHOTO: IMPERIAL HOUSEHOLD AGENCY / FUJIFOTOS

سنوية تبلغ نحو ١،٩ مليون دولار. ويحاول الامبراطور الخروج من "قوقعته" بدعوة الاصدقاء الى شرب الشاي أو تناول طعام الغداء أو العشاء مع العائلة. ويقول يوشينوبو توكوغاوا: "هو أول امبراطور في تاريخ اليابان يملك أصدقاء. وهذه نعمة كبرى لم يحظَ بها والده." ولكن، يضيف صديق آخر، "هو في الواقع رجل متوحِّد، فثمة جدار بيننا وبين العائلة الامبراطورية، لذلك نحن لا نعرف مشاعره الحقيقية."

ويكتب أكيهيتو الشعر في المناسبات المهمة ويدرس علم الاسماك كما كان والده يفعل. وهو ينتقل يومياً بسيارته الليموزين[٣] الى القصر الامبراطوري، ويشاهد أسبوعياً في مناسبات رسمية وحفلات موسيقية ومعارض وما شابه ذلك. وهو يقيم نحو ٢٠ احتفالا طقسياً كل سنة في باحات القصر. ويقول العارفون ان أكيهيتو، خلافاً لوالده، يبدي اهتماماً فعلياً بما يطلب منه القاؤه من كلمات في المناسبات الديبلوماسية، طالباً ايضاحات وبعض تغييرات لتأتي الكلمات معبّرة عن مشاعره. ويرى أحد المسؤولين الرسميين أن الامبراطور يكره أن يترك انطباعاً بأنه مجرد دمية.

والى ذلك، اعتمد أكيهيتو أسلوباً عفوياً وغير رسمي، تميز باستعماله اللغة اليابانية العصرية وبانحنائه لمصافحة

(٣) الليموزين سيارة كبيرة مترفة.

الاولاد والمعاقين، خلافاً لوالده الذي كان دائماً يتوقع انحناء الجميع أمامه. وهو قلَّص عدد عناصر شرطة الأمن والموظفين الرسميين الذين يحضرون لوداعه في المطارات ومحطات القطار. كما أنه يوعز الى موكبه بالتوقف عند الاشارات الضوئية في الطرق. ويقول: "من الطبيعي ألا تكون العائلة الامبراطورية بعيدة عن الشعب."

ان الاكثرية الساحقة من اليابانيين تؤيد أكيهيتو، وخصوصاً بفضل النزوع المتنامي للشبيبة اليابانية الى الحفاظ على التقاليد. قال شين – ايشي ناكازاوا وهو عالم انثروبولوجيا (علم الانسان) له من العمر ٤٠ عاماً: "عندما كنت شاباً، كان الطلاب والمثقفون ينتقدون التراث الياباني، بما فيه النظام الامبراطوري. أما اليوم فالكل معجب بالعائلة المالكة، ولا تقرأ في مجلاتنا وجرائدنا كلمة انتقاد للنظام الامبراطوري."

"قلبي يتفطَّر." أي صبغة ستكون لليابان المنبثقة من هذا الاعتزاز بالتراث؟ هل ستُبدل الوطنية القديمة التي طغت أوائل هذا القرن بـ"امبريالية" اقتصادية جديدة أو برغبة في المشاركة في العلاقات الدولية؟

سيبقى أصدقاء اليابان وخصومها يراقبون ردود الفعل الشعبية ليعرفوا الجواب.

يؤيد اليابانيون "اليمينيون" اعادة سيطرة الامبراطور على الحكومة والقوات المسلحة. لكن المقربين من الامبراطور يفيدون أنه يمتعض من استغلال هذه المجموعة من المتطرفين لمقامه. وقد قال ادوين رايشاور السفير السابق للولايات المتحدة لدى اليابان، وهو صديق قديم للامبراطور: "انه يؤمن كثيراً بالديموقراطية."

وفي ظروف نادرة، تتجلى هواجس الامبراطور بالنسبة الى "أخطاء" في ماضي اليابان. ففي العام ١٩٩٠ قدم أكيهيتو اعتذاراً شديداً الى كوريا الجنوبية لاخضاع بلاده شبه جزيرة كوريا مدة ٣٥ عاماً، وهذا أقوى من أي "تكفير" أبداه هيروهيتو على الاطلاق. وعندما سئل أكيهيتو في مؤتمر صحافي عام ١٩٨٩ عن سجل الاعتداءات العسكرية التي يحفل بها تاريخ اليابان، أجاب: "قلبي يتفطَّر عندما أفكر في الاشخاص الكثيرين الذين ماتوا أو تعذبوا داخل البلاد وخارجها في الحرب الأخيرة."

ومع أن أحداً لا يعتقد أن الامبراطور سيكتسب سلطة سياسية حقيقية في المستقبل المنظور، فان بعض الخبراء لا يستبعدون هذا الاحتمال بعد جيل أو جيلين، فيصبح الامبراطور، على الاقل، رأساً حقيقياً للدولة لا مجرد صورة لتأمين استقرارها.

وقد أعلن أكيهيتو أنه يريد أن يكون "امبراطوراً دستورياً" يقرِّب العرش من الشعب. ويبدو أن تاريخ اليابان الحافل بالحروب كان يحجب الامبراطور على

الدوام، لكن الانجذاب الياباني غير العادي الى الثقافة والتراث أبقى مقامه منزَّهاً.

فاليابانيون يشعرون بأنهم فريدون، وهذه صفة يجدها الغرباء غاوية وخطرة في آن. ويبدو أن هذا الشعور ناتج من أحاسيس العرفان والامتنان التي يكنّها اليابانيون لأسلافهم. وقد تتضح علاقة اليابانيين بامبراطورهم من خلال ما قاله هيديوكي أوغاوا وهو كهربائي في الخامسة والاربعين: "انه يمثل رمزاً ثميناً وهشاً: إن دماءنا مستمرة في هذا الرجل منذ ٢٠٠٠ عام، وإننا يابانيون، وهذه بلادنا. فاذا أنكرناه، فانما ننكر أنفسنا."

ستيفن ويسمن ■

برنارد شو... الآخر

برنارد شو، المذيع الرئيسي في شبكة «CNN» التلفزيونية من واشنطن، جندي سابق في مشاة البحرية الأمريكية لم تغيِّر فيه الشهرة شيئاً. فهو يصرّ بايمان عنيد على أن مهمّة الصحافي هي ايراد الخبر لا صنعه. ويقول أحد زملائه: "برنارد رجل جدّي في ما يعمل، انه صلب كالصخر."

لم يكن قرارُ شو في حرب الخليج نقل الوقائع الحربية مباشرة على الهواء فيما القذائف تنفجر حوله. وهو كان سافر الى بغداد لاجراء مقابلة مع الرئيس صدام حسين، وحين خاب مسعاه قرر الرحيل. وفي السابع عشر من يناير (كانون الثاني) مزق هدير الحرب الفضاء. وللحال انتقل شو الى خليّة «CNN»، الشهيرة الآن، التي أنشئت في فندق "الرشيد." وخلال الساعات المئة والواحدة والستين التالية كان يبث الانباء وجسده يرتجّ بفعل انهمار القذائف على بغداد. وقال لاحقاً: "كثيراً ما خطر ببالي انه، اذا كان لا بد لي من أن أموت، فلأمت وأنا أفعل ما أحب."

ويصرف شو فكرة كونه نجماً متألقاً أنجز مأثرة ما. ويقول: "اذا كنّا أحسنّا العمل في هذا الموضوع، فما العظمة في ذلك؟ علينا في الاسبوع المقبل مسؤوليات أخرى مع الأحداث المستجدّة. لا فائدة ترتجى من العيش على أمجاد الماضي."

هوارد كورتز
في صحيفة "واشنطن بوست"

خيار صعب

سألت أمينة الصندوق الزبونَ مشيرة الى مشترياته: "هل تريد أن تدمر شجرة باستخدام أكياس ورق أم أن تهدد البيئة باستخدام أكياس نايلون؟"

ا.ن.

"أطفال الكوكايين" من ينقذهم؟

خيَّم الهدوء على مستشفى هايلاند العمومي في أوكلاند بكاليفورنيا فيما الاطفال غارقون في نوم هانىء... الا روبرت الصغير[1] الذي جفاه النوم وما زال مستيقظاً منذ أيام. فكان يصرخ من دون هوادة ولا سبيل الى تهدئته. كانت أطرافه تتشنج وترتعش باستمرار، فيضرب رأسه بيديه وتجحظ عيناه فجأة وقد تجمدتا برعب دفين.

التقطته الممرضة – القابلة كلير وستداهل وتبسمت له قائلة: "تعال أيها الحلو الصغير." لكن الطفل ابن الاشهر الثلاثة أشاح عنها بوجهه عاجزاً عن مبادلتها التودد. كانت مشكلته أمه المدمنة الـ"كراك"، وهو صنف من الكوكايين النقي المتبلِّر.

ويواجه الطفل جايمس جاكسون مشكلة مماثلة. فحين كان جنيناً كانت أمه روندا تتناول جرعات كبيرة من الكراك. وكان جايمس داخل رحمها يصارع للبقاء حياً. ونظير أمه، ضاقت أوعيته الدموية الدقيقة، وكان قلبه يخفق بسرعة غير عادية ورئتاه تنفثان الهواء كمنفاخ ناشط. وامعاناً في تعقيد الأمور، تلوث النخط[2] بفعل النتائج الجانبية لتفاعلات الكراك. وكانت الحصيلة أن عاش جايمس تسعة اشهر في الرحم، معظمها في جو ملوَّث بالمخدر. وبعد ولادته جثم على صدره كابوس خانق لحرمانه المخدر.

شهادات مجروحة. تعج مستشفيات الغرب بأطفال رضَّع أمثال جايمس وروبرت. ومع أن برامج معالجة مدمنات

---

(١) أسماء الاطفال والامهات مستعارة.
(٢) النخط هو السائل الذي يملأ السلى ويحيط بالجنين في الرحم.

PHOTOS: (RIGHT) © JOHN CHIASSON / GAMMA LIAISON; (LEFT) © DIMAGGIO / KALISH / THE STOCK MARKET

تتغلغل المخدرات في أرحام الامهات المدمنات مما يسمم ألوف الاطفال قبل أن يبصروا النور

المخدرات مفيدة الى حد بعيد، فعلى الامهات يتعين اولا وآخراً وقف المأساة.

كانت تشارلين باركس مدمنة الكراك. وحين أُدخلت وحدة الطوارىء في مستشفى هايلاند لكي تلد طفلها رونالد، كانت مصابة بنزف في مهبلها. وبعد أربعة أيام من الولادة تلمّس الدكتور ريك فولروث بشرة ذراع رونالد اليسرى، فأحسّ الجلد جافاً متشققاً كغلاف كتاب جلدي قديم. ففي الاحوال الطبيعية يكون جلد الطفل مشدوداً على أطرافه اللَّحيمة كدليل صحي على وجود طبقة دهنية تحتية. لكن جلد رونالد بدا متغضناً في ثنيات مرتخية.

لقد تسبب الكوكايين في تقلص أوعية دم المشيمة حين كان رونالد في الرحم، فلم يحصل على مغذيات كافية لاكتساب بشرة صحية.

قال الدكتور فولروث وهو يسند رأس رونالد بيده: "البشرة المريضة هي أخف مصائب هذا الطفل." فرأسه أصغر ٢٠ في المئة من الحجم الطبيعي، وهذه مشكلة يعانيها ثلث الاطفال المولودين لأمهات مدمنات الكراك.

يخنق الكراك مجرى المغذيات عبر المشيمة مثلما تضغط ملزمة خرطوم ماء يروي حديقة. ويشرح فولروث الامر: "حين يواجه الجنين نقصاً في الغذاء، تتغذى خلايا دماغه أولا، تليها الاعضاء والعظام، وأخيراً الخلايا الدهنية. هذه هي طريقة الطبيعة في وقاية السلامة العقلية للطفل في المستقبل." لكن فولروث يعتقد أن تعاطي الكراك قد يقلب الامور، ويضيف بحزن: "من المحتمل أن يمضي روني حياته كلها متخلفاً عقلياً."

كان رونالد الطفل الرابع الذي أنجبته شارلين باركس، وهي مدمنة كراك. وتقول جودي هوارد أستاذة طب الاطفال السريري في كلية الطب بجامعة كاليفورنيا في لوس انجلس: "إن ٩٠ في المئة من الاطفال الذين أعاينهم هم الانجاب الثاني والثالث لأمهات يتعاطين المخدرات."

كم من الاطفال أمثال رونالد وجايمس وروبرت يولدون كل عام؟

يفيد "مكتب الاحصاءات العامة" لحكومة الولايات المتحدة أن "العدد الحقيقي غير معروف، لان المستشفيات لا تتعرف الى جميع المصابين." فثمة تسعة مستشفيات من أصل عشرة شملها مسح المكتب، اعتمدت افادات الامهات أنفسهن في تقرير ما اذا كان المواليد تعرضوا للمخدر. وفي أحد المستشفيات الكبرى في ديترويت بولاية ميشيغان بيَّنت الافادات الذاتية أن ٦٠٠ طفل ولدوا عام ١٩٨٩ كانوا معرضين للمخدرات، ومعظمهم تعرض للكراك. وعندما أجريت فحوص دقيقة للمواليد ارتفع العدد الى نحو ٣٠٠٠. وانتهى تقرير المكتب الى الآتي: "ان عشرات الالوف، وربما مئات الألوف من الاطفال الذين تعرضوا للمخدرات في أرحام أمهاتهم، يولدون كل عام في أنحاء البلاد."

ويلاحظ الدكتور ريتشارد فيسكاريلو من مستشفى بيل - نيوهافن في كونيتيكت: "يصعب على المرء تصديق هذه الارقام المرتفعة الا متى اطّلع على عدد النساء المدمنات الكراك." وفي مستشفاه أظهرت فحوص البول أن نتائج ٥٠ في المئة من الحوامل المفيدات من خدمات الانعاش الاجتماعي، كانت ايجابية لجهة تعاطي الكوكايين. وثمة نتائج مماثلة في مدن أخرى في الولايات المتحدة.

دموع على طوني. في عيادة جامعة "نورثوسترن" للأمهات المدمنات في شيكاغو اجتمعت العاملة الاجتماعية برنيس كولمان بسكرتيرة وثلاث ممرضات واختصاصية بأمراض الدم. قالت كولمان بصوت خافت، وهي تحدق الى وجوه أطفال صغار في مجلّد لحفظ الصور:

"أحبّ جميع أطفالي، انما طوني كان مميزاً." وركزت نظرها على وجه محبَّب لطفل جميل ذي بشرة عاجية وقسمات دقيقة وشعر أسود أجعد.

عند الولادة كان وزن طوني ٩٠٠ غرام. ولم يكن حجمه مستغرباً، فالاولاد المعرضون للكراك يولدون غالباً قبل الاوان. والوزن المنخفض شائع حتى بين المواليد المعرضين للكراك الذين أتموا فترة الحمل. لكن طوني كان، الى ذلك، يعاني مرضاً عضالا في الكبد.

وتذكرت كل من الموظفات المجتمعات كيف حاولت مساعدة طوني. فالاختصاصية بأمراض الدم أجرت له فحصاً خاصاً لكشف مرض الايدز[٣] الشائع بين "أطفال الكراك." وأعطته الممرضات حقناً ورسمن جدولا لكفاحه من أجل كسب الوزن.

رفعت كولمان نظرها فاذا بالدموع تترقرق في عينيها، وقالت: "لم يتجاوز عمره الاشهر الثلاثة، لكنه كافح بعناد، وكم كافحنا معه لانقاذه." فجأة ساد صمت تجلّت فيه رهبة الذكرى المفجعة، وأجهشت المجتمعات الست في البكاء.

لا تزال تأثيرات الكراك في الجنين غير مفهومة. ولا أحد يستطيع الجزم بأن لا ضرر يمس وليد الحامل التي تتعاطى المخدر لماماً. وتقول الدكتورة آرا تشازنوف مؤسسة "جمعية شيكاغو الوطنية لابحاث الادمان قبل الولادة": "لم نرَ مثيلا للاذى الكامن في الكراك الذي قد يلحق الجنين في الرحم. ان تعاطي الحامل مادة الكراك، وان مرة واحدة، يشبه لعبة الروليت الروسية."[٤]

ومن المؤسف أن نرى الكراك يضرب أيضاً الاطفال الابرياء الذين لم يتعرضوا لخطره في الرحم.

ومن أولئك التعساء طفلة عمرها ١٨ شهراً وجدت على الأرض في شقة سكنية في نيوهافن بولاية كونيتيكت وهي تبكي في الظلام الدامس والجرذان تتراكض حولها. لقد أمضت الليل فريسة البرد والخوف والظلام، فيما كانت أمها خارجاً تدخن الكراك.

وفي سان فرنسيسكو تحلقت الدكتورة دونا فريرو مع عدد من الاطباء والممرضات حول الطفلة كاتي، وعمرها ١٤ شهراً، العارية الا من جوارب قصيرة وحذاء زهري خفيف. وكان صدرها الصغير يعلو ويهبط وهو موصول الى جهاز تنفس، ولا أثر للحياة في جسدها الا تلك الحركة.

انحنى فوقها طبيب أعصاب ورفع جفنيها، فوجد عينيها مقلوبتين فقال: "انها غارقة في غيبوبة عميقة."

قبل أسبوع كانت كاتي تحبو في غرفة الجلوس في بيت أهلها مستكشفة عالمها الصغير، فعثرت في حقيبة يد حاضنتها على ما بدا لها قطعة حلوى وضعتها في

---

(٣) Acquired immune deficiency syndrome «AIDS». اي علة فقدان المناعة المكتسبة.

(٤) في الروليت الروسية او "لعبة الموت" توضع رصاصة واحدة في اسطوانة مسدس وتدار الاسطوانة، ثم يضع اللاعب فوهة المسدس على راسه ويضغط الزند، فيكون حظه الموت او الحياة.

فمها. وما ان عادت أمها الى البيت حتى وجدتها تتشنج بعنف. وتوقف قلبها لاحقاً وأصيبت بسلسلة نوبات هددت حياتها.

كانت تلك أحدث ظاهرة شهدتها الدكتورة فرييرو: أطفال يُنكبون من جراء تناولهم الكراك، ومن طريق تنشق دخانه أو رضاعة حليب أمهاتهم.

رفعت فرييرو رجل كاتي برفق وثنت ركبتها، فلم تلقَ استجابة، فحكمت: "ستبقى كاتي مشلولة ذهنياً وجسدياً طوال حياتها."

ولدى انتهائها من العمل ذلك النهار أسرعت الى ولديها في المنزل فاحتضنتهما، ثم هرعت الى الحمام وأجهشت في البكاء.

جيل هالك. "هايل هاوس" بمدينة نيويورك منزل لرعاية الاطفال الذين تأثروا بالمخدرات وهم في أرحام أمهاتهم. ومن "نزلائه" طفلة تتملكها نوبة عصبية قبل كل وجبة طعام فتروح تضرب الهواء بيديها ورجليها، وطفل آخر عمره سنتان ونصف سنة ينتحي زاوية فجأة ويدير ظهره الى سائر الأولاد ثم يأخذ في الصراخ والبكاء.

تقول لورين هايل القيِّمة على المنزل: "ان تغيّرات المزاج المفاجئة والعنيفة شائعة بين هؤلاء الاطفال. فيشاهد المرء التحوّل فيهم ويقف حائراً عاجزاً عن تفهم أسبابه."

وتفيد الدكتورة جودي هوارد الاستاذة في جامعة كاليفورنيا في لوس انجلس: "ان الاطفال الذين تعرضوا للمخدرات في الرحم هم معرضون لاضطرابات خطيرة تنال من قدرات التعلّم والسلوك."

وهي أجرت في عيادتها مقارنة بين مئات الأطفال الذين تأثروا بالمخدرات وأمثالهم من الاطفال الطبيعيين الذين ربوا في بيئات مماثلة من الفقر والعوز. فتبين لها، وفقاً للفحوص القياسية للنمو، أن المستوى العقلي لدى الاطفال الملوثين بالمخدرات هو في غالبية الحالات أدنى منه في الاطفال الطبيعيين.

وتضيف ثلما فارلي مديرة مدرسة "بيكون داي سكول" في أوكلاند بكاليفورنيا والخبيرة في نمو الاطفال: "ان اطفال الكراك مروَّعون، ويبدو ان كثيرين من الاولاد الذين تعرضوا للمخدرات يفتقرون الى المنطق الاخلاقي والادبي، فهم عاجزون عن ادراك موقع الخطأ في ما يرتكبونه."

وغالباً ما تتحدث الدكتورة هلام هورت، من "مركز ألبرت آينشتين الطبي" في فيلادلفيا، الى مجموعات مدنية عن أخطار الكوكايين. فتعرض صورة كلبة عالقة في فيضان مفاجىء وهي تنتشل جراءها بفمها وترفعها الى أعلى الوجار غير مدركة أن الجراء نفقت غرقاً.

وتعتقد هورت أن لا شيء أقوى من محبة الام الغريزية لاولادها، ولا شيء يقوى على الغاء هذه المحبة، لا الجوع ولا اللذة ولا حتى الخوف من الموت. لا شيء في الدنيا... باستثناء ادمان الكراك.

في احدى الدراسات لاحظت الدكتورة هورت أن ٧١ في المئة من الحوامل المدمنات لم يحظين بعناية طبية وافية قبل الولادة، بالمقارنة مع ٢٦ في المئة من الحوامل غير المدمنات في أحياء مماثلة لذوي الدخل المتدني. وبما أن العناية الطبية قبل الولادة متوافرة مجاناً في فيلادلفيا، فترى هورت أن "الفقر ليس هو المشكلة."

وبيّنت دراسة أخرى أن الامهات المدمنات الكراك يَزُرن مواليدهن الذين يعالجون في المستشفيات بنسبة ادنى كثيراً من الامهات اللواتي لا يتعاطين المخدرات.

ويضيف الدكتور باري فيليبس مدير حضانة العناية المركزة في مستشفى الاولاد بأوكلاند: "حتى حين يزرن أطفالهن فانهن يحجمن غالباً عن احتضانهم أو ابداء حنان ومحبة تجاههم."

وتؤكد جانيت تشاندلر من "جمعية شيكاغو الوطنية لأبحاث الادمان قبل الولادة": "تقوم بين الأم وطفلها صلة انسجام وحنان. فتحتضن الأم الطفل عادة وتهدهده وتغرّق نظرها طويلا في عينيه." لكن هذه الرابطة العاطفية مفقودة لدى الامهات المدمنات الكراك.

كذب الامهات. كثيراً ما تلتقي برنيس كولمان أمهات بعد الولادة، فيتبين لها أنهن عدن الى تعاطي الكراك. عندئذ تشتعل غضباً وتسدد الى الام نظرات قاسية منتهرة: "اذا كنت غير ضنينة بنفسك، أفلا تسألين عن طفلك؟" ويغلب الندم على قليلات، لكن التوبيخ يذهب اهداراً في معظم الاحيان. وتجنح غالبية الامهات المدمنات الى ستر "جريمتهن" بالتحدي والكذب، كما فعلت روندا جاكسون (٢٨ عاماً) التي فقدت طفلتها بعلة الموت الفجائي.[٥] قالت لها احدى العاملات الاجتماعيات في المستشفى: "أريد أن أساعدك يا روندا. نحن نعتقد أن وفاة ابنتك قد تكون ناجمة عن تعاطيك الكراك."

فردت روندا بنبرة تحدّ وهي تمتص الحليب من علبة: "لا أعرف ما هو الكراك."

فواجهتها العاملة بحزم: "ابنتك هذه هي الثانية التي تلدين وأنت تتعاطين الكراك. يجب أن تخضعي للمعالجة."

فغامت عينا روندا وثارت غضباً: "لا أريد أن أصغي اليك." وقذفت العاملة بسيل من الشتائم وبعلبة الحليب، وغادرت الغرفة.

ثمة طريقة واحدة مضمونة لانقاذ هؤلاء الضحايا الصغار، وهي جعل مشترى الكراك متعذراً بأي ثمن. وتناشد الدكتورة هلام هورت: "ضناً بأرواح هؤلاء الملائكة الابرياء، على كل منا أن يبذل جهداً في سبيل منع الكراك عن الأمهات الحوامل. فتعاطي المخدرات إجحاف في حق أطفالنا."

روبرت ياغر ■

(٥) Sudden infant death syndrome

أفضل معلّم صادفته في حياتي

علّمنا أن أحداً ليس معصوماً عن الخطأ

درّسنا الاستاذ ويتسون مادة العلوم في الصف الابتدائي السادس. وفي اليوم الدراسي الأول ألقى علينا محاضرة عن كائن يدعى "كاتيوامبوس" وهو حيوان ليلي انقرض خلال العصر الجليدي. كان الاستاذ يتكلم ويمرّر علينا جمجمة. ودوّنا كلنا ملاحظات، وأجرى لنا الاستاذ امتحاناً في ما بعد.

وعندما أعاد الي ورقة الامتحان نظرت اليها مصدوماً. كانت هناك علامة X كبيرة حمراء تشطب كل اجاباتي. لقد رسبت في الامتحان! ثمة خطأ ما لا محالة. فأنا كتبت، حرفياً، كل ما قاله الاستاذ ويتسون.

ثم علمت أن جميع زملائي رسبوا هم أيضاً. ترى ما الذي حدث؟

شرح لنا الاستاذ الامر ببساطة: لقد اختلق جميع المعلومات التي رواها لنا عن ذلك الحيوان الذي لم يكن له وجود في الحقيقة. اذاً، المعلومات التي دوّناها في دفاترنا لم تكن صحيحة. فكيف نتوقع علامات جيدة على إجابات خاطئة؟

لا حاجة الى القول إننا غضبنا. فأي نوع من الامتحانات هذا؟ وأي نوع من الاساتذة هو ويتسون؟

قال لنا الاستاذ انه كان ينبغي لنا أن ندرك الامر. ففيما كان يمرّر علينا الجمجمة – وهي في الحقيقة جمجمة هر – ألم يقل لنا إنه لم يبقَ أي أثر لذلك الحيوان؟ لقد مضى يصف لنا قوة بصره الليلي ولون فرائه وكثيراً من المعلومات الاخرى التي تتعذر معرفتها. وهو أعطى

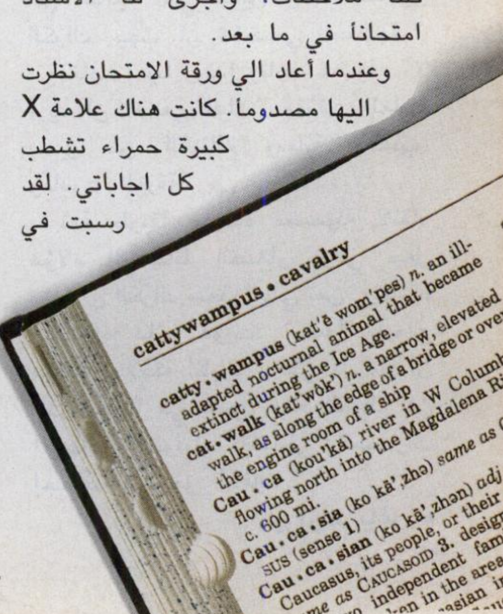

© 1990 BY DAVID OWEN. CONDENSED FROM LIFE (OCTOBER '90), TIME & LIFE BLDG., NEW YORK, N.Y. PHOTO: ROBERT MILAZZO

الحيوان اسماً مضحكاً. ولم يثر ذلك كله شكوكاً فينا.

ثم أخبرنا ان الاصفار التي تتوج اوراق امتحاناتنا ستسجل في دفتر علاماته. وهو سجلها فعلاً.

أعرب لنا الاستاذ ويتسون عن أمله أن نأخذ عبرة من هذه التجربة. فالاساتذة ليسوا معصومين عن الخطأ. كذلك الكتب. ليس أحد معصوماً في الحقيقة. وعلّمنا أن لا نسمح لعقولنا بالنوم، وأن نجاهر برأينا كلما اعتقدنا أنه هو، أو الكتاب، على خطأ.

كل درس مع الاستاذ ويتسون كان مغامرة. ولا أزال أذكر بعض حصص العلوم من أولها الى آخرها. قال لنا يوماً إن سيارته الفولكسفاغن كائن حي. وأمضينا يومين نحضّر تفنيداً يقبله. وهو لم يكفّ عن متابعة الموضوع إلا بعدما أثبتنا، ليس فقط أننا نعرف ما هو الكائن الحي، بل أننا نملك كذلك الجرأة للدفاع عن الحقيقة.

وحملْنا تشكيكنا الجديد الى كل صفوفنا، مما سبب متاعب للاساتذة الآخرين الذين لم يعتادوا أن يتحداهم أحد. واذ يكون أستاذ في صفنا يحاضر في موضوعٍ ما ويصل الى نقطة مشكوك فيها، كانت تُسمع نحنحة، ثم يقول أحد التلاميذ: "كاتيوامبوس!"

لو طلب مني أن أقترح حلا للمعضلات في مدارسنا، لاقترحت الاستاذ ويتسون. فأنا لم أحقق أي اكتشاف علمي عظيم، لكن الاستاذ ويتسون أعطاني وزملائي هبة لا تقل أهمية، وهي شجاعة النظر في أعين الناس والقول لهم انهم مخطئون، كما علّمنا أن في ذلك متعة لا تضاهى.

لا يدرك كل الناس قيمة هذه العبرة. أخبرت مرة أحد معلمي الصفوف الابتدائية عن الاستاذ ويتسون، فارتعب وقال: "لم يكن محقاً في أن يخدعكم كما فعل." فنظرت في عيني ذلك الاستاذ وقلت له إنه مخطىء.

ديفيد أوين ■

من أين تأتي الغيوم؟

قبل زمن بعيد سألتني صغرى بناتي: "بابا، من أين تأتي الغيوم؟" حاولت التفكير في حال مشابهة لتقريب الفكرة الى ذهنها، فأشرت الى غلاية القهوة الجاثمة على الموقد وقلت لها: "افترضي أن الماء في الغلاية هو المحيط، وأن نار الموقد هي الشمس. عندما تسخّن الشمس المحيط، تحدث ضباباً مائيا يتحول بعد ذلك غيوماً."

وبدا أن الطفلة فهمت ما أعني.

لكنها، اثناء تناول الفطور بعد عدة أيام، التفتت الي فجأة وقالت: "بابا، ما زلت اتساءل، ماذا تراه يحدث للغيوم اذا توقف الناس عن شرب القهوة؟"

ت.ب.

حقائق مدهشة عن الشيب

يلمّ الشيب بمعظم الناس حتى بالاحداث. فهل الحكمة في اظهاره أم في اخفائه؟

سيأتي ذلك اليوم الحاسم حين تقف أمام المرآة فترى شعرة بيضاء في رأسك، وتدرك أن تلك الشعرة هي النذير وأن ذلك اليوم هو نقطة تحول في حياتك كما في حياة كثيرين.

في القرون الماضية اعتُبر الشيب دليل حكمة. وقد قالت احدى الوصيفات في بلاط ملك فرنسا لويس الرابع عشر حيث عمَّ الشعر الابيض المستعار: "الجميع يريدون أن يظهروا مسنّين، لان في ذلك دلالة على الحكمة." أما في عصرنا الذي يهوى مظاهر الفتوة والشباب، فتصرف أموال طائلة على مستحضرات تلوين الشعر. ففي سبيل اخفاء الشيب يلجأ ٤٠ في المئة من النساء و٨ في المئة من الرجال الى صبغ شعرهم.

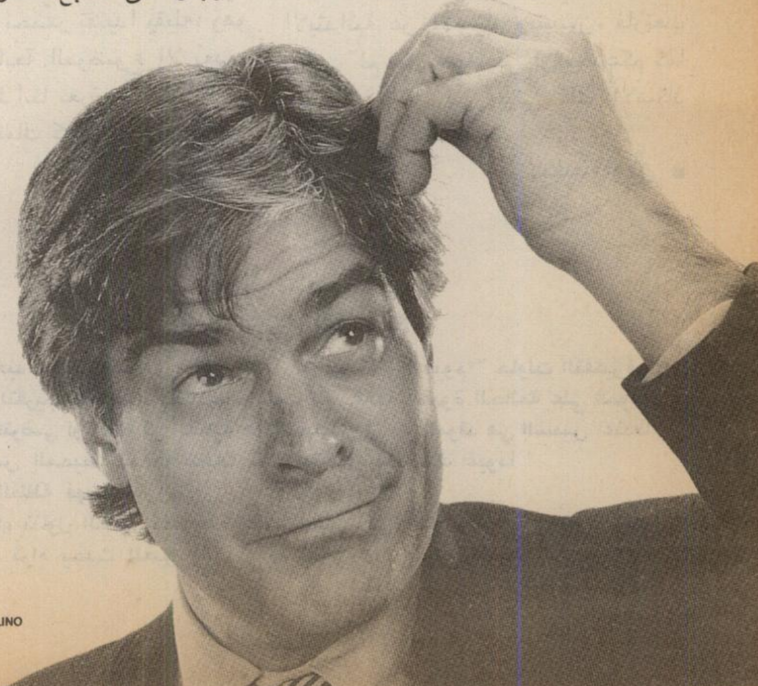

PHOTO: ERNEST COPPOLINO

يُعزى الشيب الى التقدم في العمر. لكن الشعرات البيض الاولى قد تكون نبتت في صدغيك وأنت في السن الخامسة عشرة. وفي السن الثلاثين يبين الشعر الأبيض في رؤوس نحو ٢٥ في المئة من الرجال والنساء. لكن ٢٨ في المئة فقط من الناس يشيبون كلياً، وقلة ضئيلة لا تشيب لها خصلة شعر على الاطلاق.

فما هي الاسباب التي تؤدي الى الشيب؟

العِرْق هو أحد العوامل. فأبناء العرق الابيض (القوقازي) يشيبون بدءاً بالسن الرابعة والثلاثين عموماً، وثمة احتمال بنسبة ٥٠ في المئة أن يشيب نصف شعرهم فيتحول رمادياً أو أبيض، استناداً الى الدكتور جيروم ليت أستاذ طب الجلد في جامعة كايس وسترن ريزرف في كليفلاند بأوهايو. أما أبناء العرق الاسود فيدهمهم الشيب عادة في السن الرابعة والأربعين.

والوراثة عامل آخر. فالمرء، غالباً، يشيب في السن ذاتها التي شاب فيها والداه أو جدوده، وبالنمط ذاته.

خدعة بصرية. الشعر، وان بدا زاهياً بأي لون، ليس في الواقع الا مادة ميتة من البروتيينات القرنية (كيراتين) التي تشكل الأساس الكيميائي للاظافير. وأنت، قبل ثلاثة أشهر من ولادتك، تكونَتْ لديك كل جريبات الشعر التي حظيت بها في حياتك، وهي نحو ١٤٠ ألفاً لذوي الشعر الاشقر و١٠٨ آلاف لذوي الشعر الاسود أو البني و٩٠ ألفاً لذوي الشعر الاحمر. وفي قاعدة كل جريبة بصيلة شعر تمتص الاغذية من الأدمة[١] أي الطبقة الثانية من الجلد تحت البشرة. في هذه البصيلة نسيج مخروطي يحتوي على حُلَيمة ومنبت[٢] وتتجمع فيه المواد الكيميائية التي تُنبت الشعرة.

الشعرة في مرحلة التكوين تكون خصبة بألوف "الرزم" الصغيرة من الصباغ القتامي (الميلانين). وثمة خلايا قتامية[٣] تنتج "صبغين" أساسيين وتمزجهما لانتاج مجموعة ألوان الشعر البشري. يدعى أحد الصبغين "يوميلانين"[٤] وهو يلوِّن الشعر بدرجات متفاوتة من الاسود الادكن الى البنّي الفاتح. أما الصبغ الثاني "فيوميلانين"[٥] فيلوِّن الشعر بين الأشقر والذهبي أو الأحمر. وبتنويع كمية الصبغين وشكلهما وكثافتهما وتألقهما يصطبغ الشعر البشري بمجموعة متنوّعة من الالوان.

كثيرون من الناس يولدون بشعر أشقر لا يلبث أن يدكن تدريجاً حين يزداد نشاط الخلايا القتامية. وقد يستمر هذا التحول التدريجي حتى منتصف العمر بحيث يتدرج الشعر الاشقر الى البنّي والاحمر الى الكستنائي. وبعد تجاوز سنوات العشرين ينخفض انتاج الخلايا

---

(١) Dermis

(٢) Papilla and matrix

(٣) Melanocytes

(٤) Eumelanin

(٥) Pheomelanin

القتامية، فيظهر لون رمادي في الشعر النابت الذي يحتوي على كمية قليلة من الصبغ. وحين يخمد نشاط الخلايا القتامية ينبت الشعر خالياً من أي صبغ ويكتسي لون بروتيين الشعر الطبيعي، أي الأبيض.

واللون الرمادي الذي نشاهده ليس غالباً الا خدعة بصرية ناتجة من اختلاط الشعر الملوّن بالشعر الجديد الابيض. وبحسب الدكتور كولمان جاكوبسون، مدير "مركز بايلور لأبحاث الشعر ومعالجته" في دالاس بتكساس، "فان ٥٠ في المئة من شعر رأسك قد يبيضّ قبل أن يظهر شائباً بتبايُنه مع الشعر الادكن." ونظراً الى هذا التباين الصارخ فان الشيب يظهر أبكر لدى ذوي الشعر القاتم، علماً أن ثمة احتمالا أكبر أن يكسو الشيب كلياً رؤوس ذوي الشعر الفاتح.

والى ذلك، ثمة أمراض تحضّ الجسم على إنبات شعر شائب، بما فيها الحلأ المنطقي (زونا) وحمى التيفوس والملاريا والانفلونزا. وهناك أسباب أخرى، كالصدمة الشديدة والتعرض لبعض أنواع الاشعاع والفرط في نشاط الغدة الدرقية والسكّري وسوء التغذية وفقر الدم والالتهاب التقرحي في القولون.

علاج للشيب! لتفسير تغير لون الشعر "بين ليلة وضحاها" يتعين معرفة النمط الطبيعي لنمو الشعر.

يمر نمو الشعر في ثلاث مراحل. في الأولى التي تسمى "أناجين"[٦] أي مرحلة النمو، تنبت الشعرة الجديدة بمعدل حوالى ١٣ مليمتراً في الشهر. وبعد فترة من النبوت تراوح بين سنتين وست سنوات، يتوقف نمو الشعرة لبضعة أسابيع خلال مرحلة الـ"كاتاجين"[٧] أو الراحة. ثم تبقى قرابة ثلاثة أشهر في مرحلة "تلوجين"[٨] حين تنفصل عن الحليمة التي تنتج الشعر. وعندما تبدأ مرحلة الـ"أناجين" التالية، تدفع الشعرة الجديدة النامية الشعرة القديمة وترغمها على السقوط.

ومن حين الى آخر يصيب جذور الشعر في مرحلة الـ"أناجين" اضطراب في المناعة الذاتية يسمى الصَقَع[٩] وهو نوع من الصلع البقعي ينجم غالباً عن الاجهاد. فاذا كان لدى المصاب كثير من الشعرات الداكنة وقليل من الشعرات البيض خافية عن النظر، فان المرض قد يسبب سقوط الشعرات الداكنة القديمة خلال أسبوع، مخلفاً نسبة كبرى من الشعر الأبيض. وهكذا يبدو كأن الشعر شاب في غضون أيام.

اعتاد العلماء الافتراض أن الشعر الذي يشيب لا يعود الى لونه الأصلي أبداً. لكن أبحاثاً حديثة بينت أن الخلايا القتامية الهامدة يمكن حفزها على صبغ الشعر ثانية بألوان طبيعية، ورده الى لونه الاصلي في بعض الحالات.

(٦) Anagen
(٧) Catagen
(٨) Telogen
(٩) Alopecia areata

ويقول ليت ان الشيب الناجم عن الامراض والعقاقير وسوء التغذية يمكن ارتداده بالعلاج. وقد أفيد أن ثمة مركّبات مضادة للالتهاب ولا تحتوي على مادة الستيرويد، تعيد الصبغ الى الشعر. وثبت أن عدداً من المصابين بفقر الدم تناولوا "الفيتامين ب - ١٢" فعاد اللون الاصلي الى شعرهم بعدما شاب.

يقول ليزيك ولفرام نائب الرئيس لشؤون الابحاث في شركة "كليرول" الامريكية لمستحضرات الشعر: "نأمل أن يكون لدينا في غضون عشر سنين مركّب قادر على اعادة النشاط الى الخلايا التي تصنع الألوان." وخلال بضع سنوات ستسوّق الشركة مركّباً يولّد كيميائياً أصباغاً طبيعية داخل "قصبة" الشعرة، وتُخْصَب الشعرة باللون باستخدام الميلانين الطبيعي. ويبدو هذا اللون طبيعياً اكثر كثيراً من أصباغ الشعر الحالية.

فما هي أفضل السبل التي تنتهجها اذا لاحظت الشيب يغزو شعرك اليوم؟ ينصحك العالم النفساني توماس كاش بالآتي: "لا تدع ذلك يقلقك. بعض الناس يركزون اهتمامهم على شيب شعرهم فيما تكمن مشكلتهم الحقيقية في هبوط ثقتهم بأنفسهم. وصبغ الشعر لن يحسِّن حال المرء الا اذا كان لا يزال يتمتع بنظرة طموحة الى الحياة."

وقد اكتشف الباحثون أن كثيرين من الذين يأبون صبغ شعورهم لا يلبثون أن يطمئنوا الى لونها الطبيعي. وها هي بربارة بوش، سيدة أمريكا الاولى التي كلّل الشيب هامتها منذ السن الخامسة والثلاثين، لا يزال شعرها أبيض يضفي عليها أناقة وحيوية ويُلهم كثيرات الاقتداء بها.

أما أولئك الذين يرغبون في تغيير لون شعرهم فأمامهم خيارات واسعة. فالشيب، في كل حال، ليس نعمة ولا هو لعنة. ولئن أخفيته أو تباهيت به، فالمهم الا تجزع متى دهمك، بل واجهه برباطة جأش. وقد جاء في قول مأثور: "الثلج على السطح لا يعني أن النار لا تستعر في الموقد."

لويل بونتي ■

عذرٌ أقبحُ من ذنب

خلال السنوات العشرين التي أمضيتها في ميدان التعليم تلقيت كل ما يمكن تقديمه من أعذار للتغيب عن الامتحانات. أما أطرف هذه الأعذار فرسالة تلقيتها بعد أيام من افتتاح الدكتور أ. حمدي والدكتور م. سالم عيادتهما بالقرب من حرم الجامعة، وحملت لافتتهما اسم "عيادة حمدي سالم." اذ جاءني أحد الطلاب بتقرير طبي مفاده أن وضعه الصحي حال دون خضوعه للامتحان. وقد ذيّل التقرير توقيع "الدكتور حمدي سالم."

ر.ت.

تسممت الضحية بدواء فاسد
فهل في الامر جريمة؟

جريمة يكشفها جرس!

قبيل السادسة صبيحة ١١ يونيو (حزيران) ١٩٨٦، نهضت سو سنو من فراشها متثاقلة، وتوجهت الى المطبخ وتناولت قرصي "إكسدرين" للتخلص من صداعها النابض. وبعد إلقاء تحية الصباح على ابنتها هايلي دخلت الحمام.

في السادسة والدقيقة الاربعين لاحظت هايلي (١٥ عاماً) أن أمها تأخرت في الحمام. فنادتها، لكنها لم تلقَ جواباً... الا صوت تدفق المياه. فتحت الباب، فوجدت أمها على الارض فاقدة الوعي. كانت عيناها مفتوحتين وأصابعها مبسوطة على صدرها. وكانت تتنفس بجهد.

ونقلت سو سنو الى المستشفى على عجل، الا انها توفيت بعد ساعات من غير أن تستعيد وعيها.

ظنّ الاطباء أن السبب هو "انفجار" في الدماغ، الا انهم لم يجدوا أثراً لنزف داخلي. وأشارت الأعراض الى احتمال تناول الفقيدة جرعة مفرطة من الادوية أو المخدرات، لكن هايلي أكدت أن أمها لم تكن تدخن ولا تتعاطى الكحول ولا تتناول أدوية الا في ما ندر. وبسبب تعذر تحديد سبب الوفاة أُمر بتشريح الجثة.

أثناء الفحص شم أحد المساعدين الطبيين رائحة خفيفة تشبه رائحة اللوز المرّ منبعثة من الجثة، وهي اشارة الى السيانيد. ترى هل ماتت سو سنو مسمومة؟

أكد الفحص المخبري ان في القضية تسمماً.

استجوبت الشرطة أفراد العائلة الذاهلين في بيتهم في أوبرن بولاية

PHOTO: © RICH FRISHMAN

واشنطن: أيعقل أن تكون سو سنو سممت نفسها؟ فأنكر هؤلاء هذا الاحتمال، لكنهم تساءلوا: هل يجوز أن تكون أقراص الدواء فاسدة؟ وأكد فحص مخبري آخر صحة هذا الشك: كانت الاقراص تحتوي على السيانيد.

عندما يدخل السيانيد الجسم يمنع الخلايا من استعمال الاوكسيجين. وهو يشبه ملح الطعام شكلا، وجرعة صغيرة منه تؤدي الى موت سريع. انه السم الأمثل للقتلة.

في ١٦ يونيو (حزيران) عمَّمت مديرية الاغذية والادوية في الولايات المتحدة الرقم المتسلسل للدواء "الفاسد." وسارعت الشركة المنتجة "بريستول – مايرز" الى الاتصال بالصيدليات ومخازن الادوية في أنحاء البلاد لوقف بيعه. وفي تلك الاثناء عثرت الشرطة على قمقمين آخرين من الدواء "الفاسد" في ضاحيتي أوبرن وكنت المتجاورتين.

واجتاحت ولاية واشنطن موجة خوف عارمة. ومنعت الشرطة تداول كل الادوية التي تباع من غير وصفة طبية. وأجرى مكتب الطبيب الشرعي في المنطقة تقصياً في شأن حوادث الوفاة الغامضة التي حصلت أخيراً لمعرفة ما اذا كان سببها السيانيد. وأعلنت حال طوارىء في المقاطعة بأسرها.

عقل يدقق في التفاصيل. أحيل التحقيق على مكتب المباحث الاتحادي (إف. بي. آي) فكُلِّف ٦٠ عميلا التحقيق في قضية سنو. وكان جاك كوزاك أحد هؤلاء، وهو في الثالثة والاربعين من عمره وذو شعر أبيض شاب قبل أوانه، وقد خبر حياة الشوارع مدة ست عشرة سنة فبات يعرف كيف "يقرأ" أفكار المجرمين. وكانت جاذبيته وعفويته تغويان الشهود والمشتبه فيهم فيعطونه المعلومات الحساسة.

ظن كوزاك في البداية أن المجرم قد يكون ارهابياً سياسياً أو زميل عمل ناقماً. ولكن لم يتصل أحد ليعلن مسؤوليته. أو يقدم مطالب.

وفي ١٧ يونيو (حزيران) اتصلت بالشرطة سيدة في الثانية والاربعين تدعى ستيلا نيكل، أفادت أن زوجها بروس (٥٢ عاماً) توفي فجأة قبل اثني عشر يوماً إثر تناوله أقراص "إكسدرين."

وكان بروس نيكل دُفن بعدما أظهرت نتائج التشريح أن سبب وفاته انتفاخ في الرئتين. لكن عينة من مصل دمه كانت محفوظة، لأنه أوصى بوهب أعضائه. ودلّ فحص مخبري أجري في ١٩ يونيو (حزيران) على وجود سيانيد في دمه. وعثرت الشرطة في منزله على قمقمين من الدواء الفاسد.

بدا للرأي العام المتوتر أن قاتلا عشوائياً لا يزال طليقاً. وأعلن أحد رجال الشرطة في أوبرن: "ثمة مهووس طليق في مكان ما."

بحث كوزاك عن رابط ما بين بروس نيكل العامل في تشغيل معدات ثقيلة، وسو سنو مديرة أحد المصارف. لكنه لم يجد أي رابط واضح. ثم اكتشف خبير كيميائي يقظ في المختبر الجنائي التابع لمكتب المباحث في العاصمة واشنطن أمراً غريباً في السيانيد المحتوى في القماقم الخمسة الملوثة، اذ كانت كل واحدة منها تحتوي على بلورات خضراء صغيرة جداً. وبعد تحليل هذه البلورات كيميائياً حدد الخبير المادة على أنها مبيد للطحالب يستعمل في احواض السمك.

لقد أقدم أحدهم على مزج السيانيد في وعاء استعمل سابقاً لسحن حبات مبيد الطحالب.

كان ملف القاتل يكبر يوماً بعد يوم، ما تطلّب عميلا خاصاً. فاختير رون نيكولز التحري الموهوب للتحقق من التفاصيل.

ظل أمر واحد يحير نيكولز وهو يقرأ الملف: لقد فحصت مديرية الاغذية والادوية اكثر من ٧٤٠ ألف حبة دواء تباع من غير وصفة طبية في أربع ولايات أمريكية، فلم تجد ملوثاً بالسيانيد الا محتويات خمسة قماقم، اثنان منها في منزل ستيلا نيكل.

ولو أن ستيلا اشترت الزجاجتين في وقت واحد لبدا الأمر كأنه حظ عاثر. لكن المحيِّر هو أن ستيلا اشترتهما في وقتين مختلفين من صيدليتين مختلفتين، كما أفادت. والمصادفة في هذا المجال ضئيلة الاحتمال.

المرأة المجلجلة. بدت ستيلا نيكل في منأى عن الاتهام. فهي جدة وأم لابنتين، تعمل حارسة أمن في مطار سياتل - تاكوما. وبدا أنها كانت تعيش مع زوجها بروس حياة سعيدة في مقطورة على أرض واسعة مشجرة. ووصفها الجيران بأنها مرحة ومحبة للعمل. وهي بدت مصدومة ومفجوعة عندما توفي زوجها.

ثم تذكر أحد العملاء أمراً بدا تافهاً أثناء التحقيق معها، فقال لكوزاك الذي بات مشرفاً على القضية: "تملك ستيلا نيكل حوضاً للسمك داخل مقطورتها."

جال العملاء على مخازن الحيوانات الاليفة سائلين عما اذا كان أحد يتذكر أنه باع ستيلا نيكل مبيداً للطحالب. وفي ٢٥ أغسطس (آب) نجح مسعاهم، اذ تعرّف بائع في كنت الى ستيلا في صورة. وهو تذكرها بسبب جرس صغير كان يتدلى من جزدانها، فأطلق عليها اسم "المرأة المجلجلة." لكن ما تذكره البائع لم يكن كافياً لتثبيت التهمة ولا لاقناع كوزاك بأن هذه الجدة مجرمة. الا أن جانباً آخر من ستيلا نيكل بدأ يظهر تدريجاً. اذ بينت تحقيقات مكتب المباحث أنها دينت في كاليفورنيا بارتكاب أعمال احتيال وتزوير وبسوء معاملة ابنتيها بين العامين ١٩٦٨ و١٩٧١. وكانت عائلة نيكل تعاني مشاكل مادية منذ زمن، وقبل وفاة بروس كان أحد المصارف يهدد بحجز المقطورة.

في نهاية الصيف دقق رجال المباحث

في شهادات التأمين على الحياة الخاصة بآل نيكل. فوجدوا أن "بوليصة" بروس تمنح ستيلا ٣١ ألف دولار في حال وفاته بأسباب طبيعية، أما وفاته "بحادث" فتعطيها ١٠٥ آلاف دولار اضافية. والى ذلك تبين أن ستيلا وقّعت قبل سنة بوليصتي تأمين أخريين على حياة زوجها، قيمة كل منها ٢٠ ألف دولار.

اذاً، كانت ستحصل على ١٧٦ ألف دولار اذا ثبت أن وفاة بروس هي نتيجة حادث. وفي مجال التأمين، تعتبر الوفاة نتيجة التسمم بالسيانيد حادثاً في الولايات المتحدة الامريكية. لكن الطبيب الذي عاين جثة بروس لم يكتشف أثراً للسيانيد. وقد اتصلت به ستيلا غير مرة مستوضحة صحة ما توصل اليه في شأن وفاة زوجها.

وخطرت فكرة مرعبة ببال كوزاك حاول طردها فلم يفلح: ثمة احتمال مخيف أن تكون سو سنو وأشخاص كثيرون آخرون قضوا من أجل أن تبدو وفاة زوج ستيلا كأنها حادث.

الكذبة. في ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) اجتمع كوزاك ونيكولز بالارملة ستيلا نيكل للمرة الاولى في مقر مكتب المباحث الاتحادي في سياتل. وراقبها كوزاك وهي تدخل قاعة الاجتماع. كانت متوسطة العمر سوداء الشعر ترتدي معطفاً جلدياً. وعندما جلست جلجل جرس كان يتدلى من جزدانها.

أراد كوزاك أن يوحي الى ستيلا ان المقابلة أمر روتيني، فأخذ يطرح عليها أسئلة في فيض من الحديث غير المتكلف. استرجع معها تفاصيل وفاة زوجها، ومكان شرائها قمقمي الدواء الفاسد وزمانه. وسألها هل اشترت مرة مبيداً للطحالب، فأجابت بالنفي. وهل "اشترت" بوليصة تأمين اضافية على حياة زوجها؟ فأجابت بالنفي ايضاً. تلك الكذبة أكدت شكوكه.

أخيراً سألها كوزاك عما اذا كانت مستعدة للخضوع لامتحان كشف الكذب. فرفضت منتحبة بحجة أنها لا تستطيع تحمل مزيد من الاسئلة.

انتظر كوزاك بضعة أيام متحيناً الفرصة الملائمة وأملا أن تنهار ستيلا تحت وطأة شكوكها. قال ان ذلك هو أسلوبه المسمى "حصى فوق السطح"، مضيفاً: "يظن المشتبه فيهم أننا نستجوب كل من يعرفون. فيتوهمون أننا نعرف كل خطأ يرتكبونه، كأنهم اذ يوشكون على النوم يتساقط حصى على السطح فوق رؤوسهم."

وبعد أربعة أيام اتصلت به ستيلا موافقة على الخضوع للامتحان.

خلال الامتحان راقبها كوزاك ونيكولز بنظر ثاقب. وعندما سألها كوزاك هل وضعت السيانيد في أقراص الاكسدرين أنكرت الامر بهدوء، لكن "قفزة" في تخطيط النبض والتنفس أقنعت الرجلين بعكس ما ادعت.

لكن الاعتقاد أنها قاتلة أمر، واثبات جرمها أمر آخر. كان الرجلان يعرفان ان معلومات كاشف الكذب لا يؤخذ بها في المحاكم الامريكية. لذا هما في حاجة الى الايقاع بالمشتبه فيها والضغط عليها لكي تعترف بالجرم.

أوقف كوزاك جهاز كشف الكذب وقال بلطف: "اسمعيني يا ستيلا. استناداً الى ردود فعلك الجسدية، أنا متأكد من أنك تسببت في وفاة بروس."

امتقع لون ستيلا ونظرت ببرودة الى كوزاك وقالت: "أريد أن أقابل محاميّ."

قصة رهيبة. أدرك كوزاك أنه لن يحظى باعتراف من ستيلا وعليه أن يتدبر أمره بوسائل أخرى. فعاد يتصل بالشهود سائلا اياهم هل لديهم ما يضيفونه.

وبعد ستة أسابيع اتصل به بعض أصدقاء سيندي هاميلتون ابنة ستيلا. وكانت هذه دافعت عن والدتها عندما استجوبها كوزاك قبل أشهر، أما الآن وقد اطّلعت على نتائج امتحان كشف الكذب، فقد بدأت تعيد النظر في موقفها. وعندما استجوبها كوزاك ثانية انكشفت له قصة رهيبة. قالت سيندي ان أمها كانت تتحدث عن قتل زوجها منذ سنوات. فهي كانت ضجرة من حياتها معه، لكنها لم ترد الطلاق لأنه يفقدها نصف ملكية أرضهما.

حتى ان ستيلا تحدثت عن استئجار قاتل محترف يطلق النار على بروس أو "يُدهْوره" أثناء قيادته سيارته. وحاولت مرة أن تسممه ببذور سامة، لكن هذه لم تسبب له سوى النعاس. وقبل وفاته بأشهر بدأت ستيلا تتحدث عن السيانيد.

وعندما جاءت ستيلا تخبر ابنتها سيندي عن موت بروس، نظرت في عينيها ببرودة قاسية وقالت لها: "أنا أعرف بماذا تفكرين، والجواب هو لا." وهكذا أخفت سيندي شكوكها، حتى كان امتحان كشف الكذب.

ظلت سيندي تتكلم طوال تسع ساعات. وحاول كوزاك أن يحافظ على هدوئه، لكن الافكار كانت تصطرع في رأسه. فهذه الافادة قد توصل الى ادانة ستيلا، لكن سيندي لم ترَ أمها وهي تضيف السيانيد الى الاقراص أو تضع قماقم الدواء في الصيدليات. وظلت الادانة تحتاج الى افادة شاهد عيان.

وافقت سيندي على الشهادة بشرط ألا يُحكم عى أمها بالاعدام. وأكد لها كوزاك أن العقوبة القصوى لجرم التلاعب بالعقاقير هي السجن المؤبد. لكن نذيراً التمع في دماغ كوزاك: ماذا لو كان كلام سيندي وليد حقد دفين بين أم وابنتها؟ هل ستبدل رأيها وتنكر كل شيء في المحكمة؟

جزء واحد من كلام سيندي ظل يشغل بال كوزاك. فهي أسرّت اليه دامعة: "كنت أعرف أن أمي قادرة على هذه الفعلة، لكنني لم أرد أن أصدق ذلك." وأدرك كوزاك فظاعة ما اقترفته ستيلا. انها قتلت ضحية بريئة لكي تبدو وفاة زوجها

"حادثاً" فتتمكن من كسب مزيد من أموال التأمين، حتى انها رفعت دعوى على الشركة المنتجة للدواء بحجة انها "ساهمت" في وفاة زوجها.

وتساءل كوزاك: "ماذا لو أخذت هايلي، ابنة سو سنو، أقراصاً من الدواء هي ايضاً ذلك الصباح؟ ماذا لو اشترى أناس آخرون القمقمين المسممين المضبوطين؟ كم من الناس كانت ستيلا نيكل قتلت عمداً من أجل الحصول على ١٠٥٠٠٠ دولار اضافية؟"

بحلول فبراير (شباط) ١٩٨٧ تقلص فريق مكتب المباحث الاتحادي المحقق في القضية ليقتصر على كوزاك محققاً ونيكولز محللا وأحد العملاء المبتدئين النشطين ويدعى مارشال ستون. وكل ما كانوا يحتاجون اليه هو الحلقة الاخيرة في سلسلة الاثباتات ضد ستيلا نيكل. لكن معظم الادلة التي محّصوها لم تفِدْهم.

ثم تذكر كوزاك أمراً أخبرته به سيندي. فخلال الأشهر التي سبقت وفاة بروس أجرت أمها دراسة عن السيانيد في المكتبات. وتطوع ستون للتدقيق في المكتبات المحلية. وكانت الاولى التي زارها في أوبرن، بلدة ستيلا.

سأل ستون أمينة المكتبة: "هل في سجلاتكم بطاقة باسم ستيلا نيكل؟" فبحثت المرأة في ملفات المكتبة وعادت بقصاصة سلمتها الى ستون. كانت اشعاراً بالتأخر في رد كتاب استعارته ستيلا ولم تعده أبداً، وعنوانه "تسمم البشر."

حمل ستون رقم بطاقة اشتراك ستيلا وراح يمشط رفوف المكتبة بحثاً عن كتب أخرى استعارتها. وفتح مجلداً عن النباتات السامة بعنوان "الحصاد المميت" فوجد رقم ستيلا مختوماً مرتين على بطاقة الاعارة، وكلا التاريخين يعودان الى ما قبل وفاة بروس.

أخذ ستون الكتاب وأرسله الى المختبر الجنائي. وأظهر تحليل بصمات الاصابع وجود ٨٤ بصمة لستيلا على الكتاب، تركز معظمها في الصفحات التي تتحدث عن السيانيد.

ادعت ستيلا نيكل أنها بريئة في محاكمة بدأت في ابريل (نيسان) ١٩٨٨. واستمعت هيئة المحكمة الى واحد وثلاثين شاهداً رسموا شخصية امرأة تعيسة في زواجها وبائسة مالياً رأت في الجريمة حلا لمشاكلها.

وحكمت هيئة المحلفين بأن ستيلا "مذنبة" في التاسع من مايو (أيار). وحكم عليها القاضي وليم دواير بالسجن مدة تسعين سنة، على ألا تطلق قبل ثلاثين سنة على الاقل.

واليوم، عندما يفكر كوزاك في القضية، تراوده أسئلة كثيرة. ماذا لو لم يكتشف ذلك الكيميائي الفضولي بلورات مبيد الطحالب؟ لكانت ستيلا نيكل نجحت في ارتكاب الجريمة الكاملة. لكنها لم تنجح. يقول كوزاك: "انها الامثولة القديمة ذاتها: اقلب كل حجر ولا تترك شيئاً للحظ."

دونالد ديل جاكسون ■

"من فضلك، اطلبي من القبطان
أن يبقى تحت جدار الصوت،
لاننا نريد أن ندردش قليلا."

IN DIE WELT

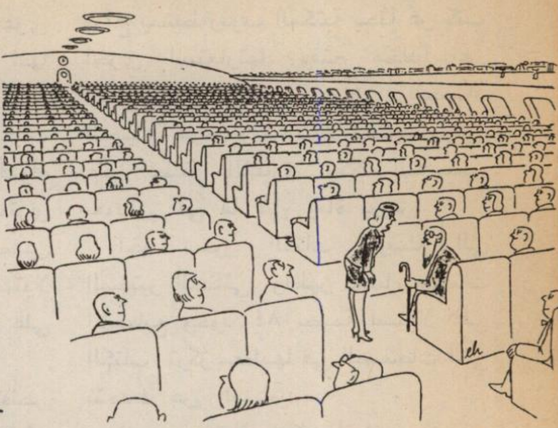

"هذا ليس مسرح تيفولي. هذه طائرة جمبو
متوجهة الى جزر كناري."

EDERHARD HOLZ IN HEITERE FEDERSTRICHE

"قلة من الطيارين تؤدي قلْبة انتصار
لدى اجتياز خط الاستواء."

BANX

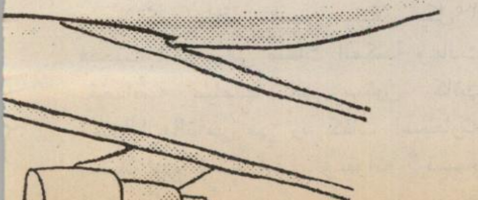

"لا، لا، حقائبكما هنا،
لكن أولادكما هم في طريقهم
الى بودابست."

c MEDICAL ECONOMICS APRIL 18, 1988

ثرثرة فوق السحاب

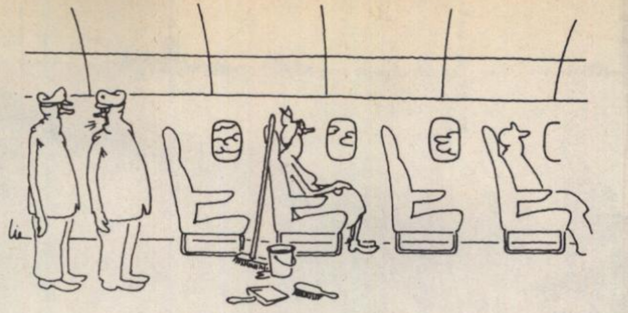

"للمرة الثالثة لم تنته
من التنظيف قبل الاقلاع "

ERIK LIEBMANN IN CARTOONS

"لقد اقتصدنا طويلا لكي نتمتع بهذه الرحلة،
وها انت الآن تشعرين بالغثيان!"

BUSCH IN FRANKFURTER ALLGEMEINE ZEITUNG

"اتسمح لي بالجلوس قرب النافذة؟
فالتي الحاسبة تعمل بالطاقة الشمسية "

NICK IN BUNTE

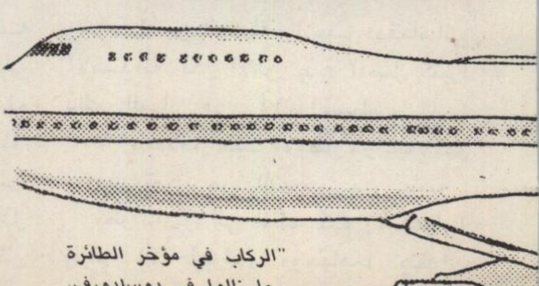

"الركاب في مؤخر الطائرة
ما زالوا في دوسلدورف،
والركاب الاماميون يقتربون الآن
من جزيرة مايوركا. "

BUSCH IN FRANKFURTER ALLGEMEINE ZEITUNG

قصة من واقع الحياة

نسيج الموت

علا صوت الطفل المذعور فوق فرقعة التيار الكهربائي الصاعق وتوسلت عيناد الى ابيه "انقذني"

انطلق داريل تري بسيارته الـ"لاندروفر" في طريق ترابية على أرض مزرعته "دامبردايل" التي تبلغ مساحتها ١٦٠٠ هكتار. كان يبتسم هانئاً، فالمراعي على جانبي الطريق نضرة وخضراء، وهذا منظر ندرت رؤيته خلال الاعوام الثمانية منذ اشترى هذه الارض التي تبعد ٨٠ كيلومتراً عن أليستون في شبه جزيرة آير في جنوب أوستراليا. فلطالما أتلف الجفاف وحرائق الادغال محاصيله من الحنطة والشعير ودفعاه الى الاستدانة. لكن الامور بدت أفضل كثيراً ذلك النهار في ١٤ أغسطس (آب) ١٩٨٤، بعدما أحيت الامطار مراعيه. فهو سوف يتمكن من النهوض من عثرته.

نظر داريل الى طفليه كيم (٧ أعوام) وليام (٤ اعوام) ووجهاهما يتقدان حماسة، وقال في سرّه: "يبدو أن الحياة ابتسمت لنا ثانية." وكان ولداه وابن اخته أنطوني دولفين (١٨ عاماً) يرافقونه

ILLUSTRATION: DAVID NASEBY

لمشاهدة عملية اقتلاع ٣٢ عمود تلغراف ملغاة في طريق تحوط بالمزرعة. وطلب داريل من صديقه جو هونر مساعدته، وهو يملك رافعة سيارة (ونشاً) من طراز "بدفورد."

"ها هو جو!" هتف داريل اذ لمح الرافعة بلونيها الاحمر والاسود على بعد حوالى كيلومتر أمامه. وسرعان ما وافاهم هونر، وهو رجل ربعة ذو شعر أحمر، وحياهم بابتسامة. وفيما داريل يوقف سيارته الى جانب الرافعة لاحظ أن ابن جو الذي يبلغ الثالثة من عمره، يجلس في صندوق العدة خلف مقصورة القيادة، فسأل جو: "هل نضعه في اللاندروفر مع الاولاد؟"

أجاب جو: "شكراً يا صديقي، ريان ولد عاقل، وسيكون على ما يرام."

وكانت الاعمدة التي اشتراها داريل من شركة الهاتف لتقطيعها واستخدامها في بناء سياج، مثبتة على مسافات بحيث تفصل بين الواحد والآخر ١٠٠ متر. وعلى بعد ٥٠٠ متر من النقطة التي توقفت فيها اللاندروفر والرافعة، كان خط الاعمدة يتقاطع مع خط للطاقة الكهربائية: ثلاثة أسلاك فولاذية مجدولة تحمل تياراً بقوة ١٩ ألف فولت الى المزارع المجاورة.

وكان جو اقتلع سبعة أعمدة، فقال لداريل: "علينا أن نسرع، فما زال أمامنا خمسة وعشرون." ثم قفز الى مقصورة القيادة وأدار المحرك وتقدم بالرافعة الى العمود التالي. وعلّى ذراع الرافعة التي يبلغ طولها ١١ متراً، فيما لفّ داريل سلسلة حول العمود وأثبت فيها خطافاً. وأرجع جو الرافعة قليلا ثم بدأ بهز العمود العملاق كما يفعل طبيب أسنان عند اقتلاع ضرس. وبعدما تخلخلت "جذور" العمود شبك جو ذراع الرفع بالسلسلة الملفوفة واقتلع العمود وألقاه على الارض. ثم نزل من مقصورته ليحلّ السلسلة. فهتف له داريل مبتسماً: "أربعة وعشرون، وننتهي."

شرك مرعب. تقدم جو بالرافعة بطيئاً نحو العمود التالي، يتبعه داريل في اللاندروفر. وخلال دقائق اقتلع أربعة أعمدة أخرى. كانت شمس الظهيرة متوهجة، وعلى بعد ثمانين متراً امتدت خطوط الكهرباء وهي تكاد لا ترى تحت السماء الساطعة. قاد داريل سيارته نحو عمود جديد. وفيما هو يلفّ السلسلة حوله سمع أزيزاً غريباً. فتلفت حواليه فرأى حلقة كهربائية زرقاء بثخانة فخذ انسان، تتراقص وتفرقع حول قاعدة الاطارين الاماميين للرافعة، فيما حوّمت فوق الارض حلقة اخرى أقل ثخانة وأقل زرقة.

يا الهي! خط الكهرباء! تطلع داريل الى أعلى محدقاً في وهج الشمس، ورأى ذراع الرافعة قد اشتبكت بالاسلاك الكهربائية. فألقى السلسلة من يده وهرع الى جهة السائق. كانت أقواس كهربائية تشبه البرق تحوط بالاطارين من هذه

الناحية أيضاً، فصرخ في جو: "انك عالق في خط الكهرباء!"

قفز جو الى الارض بردّ فعل غريزي. ثم تذكر أن ابنه لا يزال داخل السيارة. فهتف منادياً: "ريان!" وحالما لامست قدماه الارض استدار ليعود الى الصبي، لكن داريل وقف في طريقه وقد أدرك انه، في اللحظة التي يلمس جو ريان سيمر التيار عبره الى الارض ويقتل الاثنين.

توسل داريل الى جو: "أرجوك، لا تلمسه! اذا فعلت فسوف تموتان كلاكما!" ودفعه بعيداً عن الاقواس الكهربائية القاتلة التي أصبحت قريبة جداً بحيث أحس بحرارتها تلفح مؤخر ساقه.

في هذه اللحظة سمع الرجلان صوت ريان الصغير يعلو مذعوراً فوق فرقعة الكهرباء: "أبي!"

اندفع جو نحو الرافعة، لكن داريل امسك به وشده الى الخلف راجياً: "لا تفعل، سيصعقكما التيار."

أذعن جو وسمح لداريل بأن يرجعه خطوات. وكان الصبي المذعور يقف على جانب الرافعة والدموع تنهمر على وجهه. ورفع يديه هاتفاً: "أبي!" وعيناه تتوسلان الى والده لينزله. لكن جو تسمر في مكانه يعصره الالم، وهو يفتح قبضتيه ويطبقهما بعصبية وبصره مثبت على الشرك المرعب الذي نسجه التيار حول قاعدة الرافعة.

صراع داخل التيار. قال داريل في نفسه: "فكر يا رجل. لا بد أن ثمة طريقة ما." ثم تذكر حبلا في سيارته. فوضع يده على كتف جو قائلا: "سأذهب لاحضار حبل من السيارة. انتظرني."

فهز جو رأسه وعيناه لا تزالان على ابنه.

ركض داريل نحو السيارة، لكن احساساً خفياً جعله يستدير في الوقت المناسب ليرى جو يمد يديه الى ريان. فصرخ: "لا! لا تفعل ذلك!" لكن صديقه كان أمسك بقميص ريان، فوجد فيه التيار الكهربائي موصلا الى الارض. ورأى داريل رأس صديقه ينثني الى الخلف وقد تقوست عنقه وبرزت أسنانه في تكشيرة مخيفة وارتجّ جسمه بعنف فيما التيار الهائل يتدفق عبر جسده. وكانت يداه تحوطان ريان مثل كلّاب، والصبي يرتعد كدمية من خرق.

عصفت الافكار برأس داريل، فهو أدرك أن التيار سيصعقه اذا حاول ملامسة جو أو ريان. وحاول اقناع نفسه بالآتي: "اذا اندفعت نحو جو بكل قواي، فقد يتجمع لدي زخم كاف لدفعه بعيداً عن الخطر."

انقضّ داريل على صديقه وقد حنى رأسه ومد كتفه في حركة كان يعتمدها قبل عقدين عندما كان يلعب جناح هجوم في فريق الكرة. وضربه التيار كمطرقة فأفقده الوعي، لكن قوة اندفاعه رمته هو وجو بعيداً عن الرافعة. ووقع ريان الذي أفلت من قبضة أبيه، على "رفرف"

الاطار حيث جثم وهو يبكي مرتاعاً. ووقع داريل قرب أحد اطارات الرافعة، وعندما حاول النهوض رأى جو يعود مترنحاً في اتجاه ريان.

ناداه: "لا، توقف!" وبذل قصاراه ليحول بين جو والرافعة. وتماسك الصديقان: داريل يحاول يائساً أن يوقف جو، وهذا يحاول غريزياً الوصول الى طفله.

وكان جو أقوى، فأمسك ريان وأنزله الى أسفل غطاء الرفرف. وفي هذه الاثناء لمس الرجلان جانب الرافعة، فصدمهما التيار والقاهما على الارض فاقدي الوعي وقد سقط جو فوق داريل. وتسلل قوس كهربائي أزرق مثل أفعى من "طاسة" اطار في الرافعة الى جسد داريل، فأعاده الالم المبرح في ظهره الى وعيه، وفكر: "يجب أن نهرب من هنا." لكن جو كان لا يزال فوقه بلا حراك.

مناورة رياضية. هرع أنطوني من اللاندروفر الى داريل ويداه ممدودتان، لكن داريل قال له مجهداً: "لا، لا تلمسني." ونظر أنطوني الى الرافعة فرأى ريان لا يزال منطرحاً على الرفرف فاقد الوعي والزبد يرغي حول شفتيه.

عاد أنطوني الى السيارة وقال لابني داريل: "لا تغادرا السيارة مهما حدث." ثم التقط خرطوماً من البلاستيك يبلغ طوله حوالى مترين كان في مؤخر السيارة، واقترب بحذر من الثلاثة الممددين على الارض محاولا دفع ريان عن الرافعة. وسرعان ما انتفض بصدمة قوية في ذراعه اليسرى، فتراجع خائفاً محبطاً، تاركاً ريان على الرافعة.

بدأ داريل يتحرك فقال له انطوني: "انني ذاهب لاحضار سيارة اسعاف." فأومأ داريل برأسه علامة الموافقة.

واذ انطلق أنطوني في اللاندروفر، تملّص داريل من تحت جسم جو الهامد وتدحرج مبتعداً عن الرافعة. ثم تذكر ريان، فاستند الى مرفقه رافعاً رأسه عن الارض واستدار ناحية الرافعة، وهتف مذهولا: "يا الهي!"

كان الطفل قد انزلق عن الرفرف وتكوَّر على الارض. وكانت أقواس كهربائية متوهجة تنطلق من اطار الرافعة الى رأسه وأذنه اليمنى ثم تخرج الى الارض عبر قدمه اليمنى. وكان حذاؤه مشتعلا!

وقف داريل مترنحاً وتحرك في اتجاه الصبي مفكراً: "سأنحني الى الخلف، وبهذه الطريقة أقع بعيداً عن الرافعة عندما يصدمني التيار."

تقدم داريل من الرافعة وجسده مقوَّس الى خلف كراقص يحاول المرور من تحت عارضة. وأمسك بقميص ريان وألقى به بعيداً عن التيار في حركة يائسة واحدة. لكنه، وهو يفعل ذلك، وقع هو نفسه في شرك التيار.

عندما يتعرض الجسم البشري لصدمة كهربائية قوية، تتعطل النبضات الكهربائية الواهية التي تتحكم بالجهاز

داريل تري عند النصب التذكاري لصديقه جو هونر.

الخلف مطيحة جسده خارج نطاق التيار الكهربائي.

لم يسجل دماغ داريل ظلاماً، بل بهره نور ساطع، وأيقن أنه سوف يموت. وتدافعت في تفكيره صور زوجته جوزي وطفليه، ثم طغت عليه فكرة عنيدة: ان المعركة لما تنتهِ بعد.

عمل لا مفر منه. "لن أستسلم!" هكذا فكر داريل وهو يرفع جسده على يديه وركبتيه. وعصف به دوار، الا أنه أجبر نفسه على التركيز على صديقه. لكن جو لا يتنفس! وحاول داريل جس نبض جو بيديه المرتجفتين. ثم تذكر دورة في الاسعاف الاولي تلقاها قبل خمس سنوات، فانحنى الى الامام، وسد أنف جو باصبعيه، ثم بدأ يتنفس بانتظام في فمه. ومرت دقائق، وأخيراً تحرك صدر جو، فاستنشق دفعة بسيطة من الهواء، ثم تنفس عميقاً، فأعمق!

تلفت داريل حواليه بحثاً عن ريان، فرآه ملقى على بعد مترين منه وقد فقد وعيه. فابتهل: "يا رب، نجِّ هذا الصغير." وقلبه على ظهره ليبدأ عملية التنفس الاصطناعي. فاستجاب الصبي بسرعة وعاد تدريجاً الى التنفس الطبيعي.

نهض داريل مجهداً. وفي هذه اللحظة أطلق جو تنهيدة عميقة، ثم توقفت حركة صدره. فركع داريل فوقه وعاد الى تطبيق عملية التنفس "من فم الى فم." لكن محاولاته لم تجدِ هذه المرة. فضرب صدر

العصبي، مما يؤدي الى توقف التنفس. ولا يقتصر الامر على ذلك، فالاطباء الذين يحاولون اعادة النشاط الى قلب توقف عن النبض يستخدمون عادة جهازاً يطلق شحنة كهربائية قوية. لكن العكس يصحّ عندما يصاب قلب نابض بصدمة كهربائية، اذ انه يتوقف ويموت المصاب ما لم يعالج فوراً بالتنفس الاصطناعي.

وكان داريل نجا بأعجوبة من الصدمة الاولى، لكن فرصته في النجاة تضاءلت كثيراً عندما ضربه التيار للمرة الثانية. ومع ان قوة الصدمة أفقدته وعيه، فقد نجحت مناورته وأسقطته الصدمة الى

PHOTO: PRUNELLA WEBBER

صديقه براحتيه في محاولة لتدليك القلب وتنشيطه. لكن جو بقي ساكناً.

كان داريل لا يزال يدلك صدر جو ويتنفس في فمه باهتياج، عندما عاد أنطوني وقد طلب سيارة اسعاف. وكان مضى على داريل ١٥ دقيقة وهو يحاول احياء صديقه من دون جدوى. وأخيراً قال في نفسه: "لقد فعلت ما في وسعي." ثم نهض متثاقلا ونظر الى جسد صديقه يائساً وتحول ليفحص ريان الذي استعاد وعيه. كان الصبي يتنفس طبيعياً ويبكي بهدوء، فقال له داريل: "هيا، لنضعك في السيارة." وحمله بمساعدة أنطوني ووضعه بلطف داخل اللاندروفر.

عولج داريل وريان في مستشفى أليستون قبل نقلهما جواً الى اديلايد. واضطر الاطباء الى بتر اصبعين من قدم ريان اليمنى، وقسم من القدم، لكنهم نجحوا في رأب الحروق العميقة في قدمه وساقه بواسطة الترقيع الجلدي. وهو الآن صبي نشط في الخامسة من عمره، ومشكلته الوحيدة خوف من المصابيح الومضية (الفلاش).

أما داريل فاحتاج الى ٩٦ قطبة والى عملية ترقيع جلدي في ذراعه وقدمه، كما انكسرت أربع فقرات بسبب تقلص عضلات ظهره بفعل الصدمات الكهربائية، فبقي ثلاثة أشهر طريح الفراش. وخلال هذه الفترة تبرع جيرانه، وأنطوني الذي بقي في المزرعة، بجني محاصيله والاهتمام بأغنامه.

وفي الذكرى الاولى لوفاة جو في أغسطس (آب) ١٩٨٩ اجتمع داريل وريان وجودي هونر، أرملة جو، لازاحة الستار عن لوحة تذكارية أقيمت في مكان الحادث.

وفي أكتوبر (تشرين الاول) مُنح داريل تري "وسام الشجاعة" فكان أول مواطن ينال هذا الوسام الذي استُحدث عام ١٩٧٥. وخلال حفلة تقليده الوسام ألقى الحاكم بيل هايدن كلمة نوَّه فيها بمأثرة داريل قائلا انها "احدى أنبل المآثر الانسانية."

لكن داريل ينظر الى الامر ببساطة: "كان ذلك عملا لا مفر منه."

طوني ماغير ■

واحد... اثنان!

لاقاني زوجي الى عيادة الطبيب حيث خضعت لكشف روتيني. ومن هناك قررنا التوجه الى مطعم لتناول طعام العشاء. فقد كل منا سيارته، ووصلت الى المطعم قبل زوجي.

اقتربت مني النادلة تسألني: "أتريدين طاولة لشخص واحد؟" فأجبتها: "لا، فبعد دقائق نصبح شخصين." واذ رأيت الذعر يرتسم على قسمات وجهها أدركت ما فاتني، فقد كنت حاملا في شهري الثامن.

ل.ب.

صور من الحياة

ترقية أم

■ بعد ولادة ابنتي الاولى سمر عدت الى وظيفتي كمديرة في محطة تلفزيونية. وعندما ولدت ابنتي الثانية لمياء بعد ثلاث سنوات باتت حياتي معقدة. فحاولت التوفيق بين عملي وعائلتي، وفي النهاية قررت أن أتوقف موقتاً عن العمل.

وكان التخلي عن منصب جيد كهذا قراراً صعباً. لكن كل أسف زال من بالي عندما وصَلت الى مكتبي، في آخر يوم عمل لي، باقة زهور مع بطاقة بخط زوجي جاء فيها: "نحن سعيدتان لأنك ستعملين لدينا. المحبتان سمر ولمياء."

ك.ش.

قبلة تدير سيارة!

■ كان أبي أيامَ العُطَل يوقظني في السابعة والنصف لتناول الفطور، ثم نخرج في نزهة بالسيارة. فيركب أبي السيارة ويدير مفتاح الاشعال. وكما في كل مرة، لا يحدث شيء. فيعمد الى العبث بأزرار لوحة القيادة ويحرّك جميع المقابض يمنة ويسرة ويضغط دوّاسة الوقود مراراً، لكن المحرّك كان يبقى ساكناً. واذ يطول الأمر به كان يشير اليّ قائلا: "حبيبتي، لن تدور السيارة ما لم تعطيني قبلة." وهذا ما كنت أفعله، فتدور السيارة وننطلق. ولطالما اعتقدت ان ثمة علاقة علميَّة بين التقبيل وادارة محرّك السيارة.

جون بيني، ابنة الكوميدي الامريكي جاك بيني

خدمة وابتسامة

■ كان دوان راث، رئيس شركة "راث" لتصنيع أنابيب الفولاذ، في السابعة من عمره حين لقنته هرّة درساً في الانتاجية العملية.

كان راث الصغير يجرّ عربته الحمراء من باب الى باب بائعاً زلابية. ويطيب له أن يتذكّر: "كانت هناك عجوز لا تكلّف نفسها عناء فتح الباب. لكنها خرجت الي يوماً لتقول لي انها ستبتاع زلابيتي اذا ما استطعت انزال هرّتها العالقة فوق احدى الاشجار. كنت في السابعة من عمري، لكنني تسلقت تلك الشجرة وأنزلت الهرّة." ويضيف راث مبتسماً: "لا أظن أن تلك العجوز قدرت على أكل كل الزلابية التي بعتها اياها."

ويقول راث انه ما زال، بعد اثنين واربعين عاماً، يطبّق الأمثولة التي تعلّمها في ذلك اليوم، وهي ألا يستخف اطلاقاً بخدمة زبون.

ج.ب.

سهرة طويلة

■ يقرأ زوجي الجريدة بعد العشاء، ثم يغفو على الأريكة قرابة التاسعة، فأوقظه في الحادية عشرة ونذهب الى الفراش. ومرة تأخرت نصف ساعة عن ايقاظه لانشغالي في انجاز بعض الأعمال. وفيما هو يخلد الى فراشه قال لي متثائباً: "يا لتعبي، فأنا لست معتاداً السهر حتى الحادية عشرة والنصف."

ر.ف.

"ساحر" عصري يخترع آلات "ذكية" تسهل حياة المكفوفين

أنا أعمى إقرأ لي يا شاطر!

جلست المحامية ميليا رودجرز الى مكتبها في مدينة ديكاتور بألاباما. وهي شابة نحيفة، أنيقة، ذات شعر طويل أشقر. تناولت بريد الصباح، وفضّت الرسالة الاولى، ثم ضغطت مفتاحاً في آلة على مكتبها بحجم حافظة أوراق. فاذا بصوت رجل ينطلق رناناً من الآلة: "هالو، هنا بول الشاطر. أنا مستعد."

التقطت رودجرز أداة "سكانر"[1] بحجم راحة اليد وراحت تزلقها جيئة وذهاباً على الرسالة. وما هي الا لحظة حتى تابع "بول الشاطر" قراءة الرسالة بكاملها:

فقدت ميليا رودجرز بصرها قبل سنوات لاصابتها بداء السكري. والى حين حصولها على "قارىء كورتسفيل الشخصي"[2] ظلت تعتمد على والدتها وزملائها في العمل لقراءة رسائلها اليومية وألوف الصفحات الخاصة بالانظمة والوثائق القضائية.

اما الآن فتستطيع رودجرز سماع قراءة أي صفحة عالياً، بالصوت الذي تختاره من ضمن تسعة أصوات متميزة، من العميق الخفيض لـ"هاري الضخم" الى الحالم لـ"وندي الهامسة." وتؤكد رودجرز: "منذ تسلمي قارىء كورتسفيل العام الماضي بتُّ مستقلة بذاتي. وانه لشعور رائع!"

أما صاحب الاسم الذي يزيّن الآلة فهو ريموند كورتسفيل أحد أبرز المخترعين في أيامنا. انه عالم ورجل أعمال يعيش في والثام بولاية مساتشوستس، خفيض الصوت، ولطالما أدهش زملاءه ومنافسيه بآلاته "الذكية" التي أدت الى تغيير حياة الملايين من الناس.

وثمة قصص كثيرة مشابهة:

بول شير مستشار في خدمات التأهيل لدى شركة "سيرز" في شيكاغو. وهو ضرير، لكنه بات يتمتع بأمسياته بدلا من قضائها منهمكاً في انجاز المتأخر من

---

(١) Scanner . وهي أداة اوتوماتيكية فاحصة.
(٢) Kurzweil Personal Reader

راي كورتسفيل وقارئه الشخصي (الى اليسار) و"سكانر" لمسح صفحات الكتب (الى اليمين).

أعمال المكتب. ويقول: "كان اعتمادي على آلة تحوّل المواد المكتوبة نماذج لمسية، مما يستلزم وقتاً طويلا جداً. ان قارىء كورتسفيل انجاز هائل."

وفي آن آربور بولاية ميشيغان يبتهج فيليب جونز (٧٩ عاماً) بقدرة قارئه الشخصي على تضمين صوته نبرة اثارة لدى التوقف عند علامات تعجب في النصوص، كما يستسيغ قدرة القارىء على تلاوة النصوص الالمانية أو الايطالية بلكنة أمريكية، ويقول: "يسهل علي الفهم، لأن الآلة تقرأ هاتين اللغتين كما لو كنت أنا القارىء."

ويعاني القاضي غريغ ألستون من باي سيتي بولاية ميشيغان، مرضاً انحلالياً في العينين. ومع أنه أصبح ضريراً فما زال يلقي محاضرات في الطلاب والمواطنين لتنبيههم الى أخطار قيادة السيارات تحت تأثير الكحول. ولكي يكون لتحذيراته وقع اكثر اثارة في النفوس، يحمل أحياناً قارئه الشخصي. فيتلو "بول الشاطر" على الحضور تقارير طبية وعلمية وأخرى متعلقة بحوادث سير.

ليس ثمة ما يُشعر راي كورتسفيل بلذة الانجاز أفضل من سماعه قصصاً كهذه. وهو يقول: "تلقيت مئات الرسائل من مكفوفين يخبرونني فيها انهم لولا القارىء الشخصي لما استطاعوا نيل شهادة جامعية أو الاحتفاظ بوظيفة. انه حقاً لشعور رائع."

بين فكي كلب! نشأ كورتسفيل في مدينة نيويورك، وكان يمارس ألعاب السحر منذ صغره. وفي العام ١٩٦٠ اكتشف الكمبيوتر وهو في السن الثانية عشرة. وفي غضون ثلاث سنوات حضر برنامجاً يقتصد وقتاً كثيراً في اجراء التحاليل الاحصائية، مما حمل شركة آي. بي. أم. (IBM) على توزيع البرنامج على زبائنها في أنحاء الولايات المتحدة.

ويقول كورتسفيل: "كان اهتمامي منصباً على طريقة تمييزنا الاشياء وتعرفنا اليها، أي طريقة التقاطنا الاشكال والانماط. فذلك في نظري هو مفتاح الذكاء. وبدأت أحلم بجعل تقنية التمييز الحقل الذي اختصّ به."

التحق كورتسفيل بمعهد مساتشوستس للتكنولوجيا حيث لقب

PHOTO: © MLS / A-DAN MURRAY

"الشبح" لتواريه دائماً عاملا في مشاريعه الخاصة. وهو يتذكر: "في أحد الفصول الدراسية أنشأت شركة قائمة على برنامج طوّرته بنفسي وهدفه تحديد الجامعات التي تلائم خريجي المدارس الثانوية: يملأ الطالب استمارة تتضمن ٣٠٠ سؤال، وعلى أساس أجوبته يتلقى قائمة بأسماء ١٥ جامعة مناسبة."

وقرأ كورتسفيل كتاب "علم الضبط"[٣] للرياضي وعالم الكمبيوتر نوربرت فاينر، واستلهمه الطريق التي سلكها. وقد ورد في الكتاب أن ثمة أمراً واحداً ينبغي على الكمبيوتر "الذكي" اتقانه، وهو تمييز حروف الابجدية مهما تعددت أشكال طبعها. ويقول كورتسفيل: "كان التصدي لذلك التحدي المثير أمراً مشوقاً."

بعد التخرج في المعهد عام ١٩٧٠ أنشأ كورتسفيل شركته الخاصة لتحضير برامج الكمبيوتر. ثم أسس عام ١٩٧٤ "شركة كورتسفيل لمنتجات الكمبيوتر" بمساعدة مالية من أهله وأصدقائه. وفي غضون سنتين أفلح في تمكين الكمبيوتر من قراءة الكلام المطبوع بواسطة "سكانر" ونطق الكلمات بواسطة وحدة لاصطناع الصوت. ولكن صعُبَ على الكمبيوتر التمييز بين ألوف الكلمات المتشابهة شكلا والمختلفة لفظاً (مثل doll و roll بالانكليزية).

وواجه كورتسفيل مآزق مالية اضطرته الى بيع سيارته ورهن آلات التسجيل التي اقتناها. وذات يوم هاجمه كلب فيما كان داخلا أحد المتاجر، فمزق سرواله. فارتاع صاحب الكلب ودفع له ٥٠ دولاراً تعويضاً للأذى الذي لحقه. ويتذكر كورتسفيل: "دفعت المبلغ من فوري تسديداً لفاتورة الهاتف التي فات تاريخ استحقاقها."

عينا ستيفي وندر. صباح يوم جليدي من يناير (كانون الثاني) ١٩٧٦ أقام المخترع الشاب عرضاً مثيراً أمام مندوبي الصحافة. وفي مساء ذلك اليوم تلا النموذجُ الاولي لآلته القارئة نشرة الاخبار المسائية التي كان يذيعها والتر كرونكايت على شاشة محطة التلفزة «CBS».

وفي اليوم التالي سمع المغني الضرير ستيفي وندر المخترع كورتسفيل يشرح خصائص آلته القارئة على شاشة التلفزة، فهرع الى مدينة كمبريدج ليلتقيه. ويقول كورتسفيل: "طلب ستيفي الحصول على قارىء للحال. وكان وزن النموذج الاول نحو ١٦٠ كيلوغراماً وثمنه ٥٠ ألف دولار. لكننا استطعنا وضعه في سيارته." وبقي ستيفي ساهراً "يقرأ" طوال تلك الليلة، وهو يقرّ بالآتي: "منذ ذلك الحين أصبح قارىء كورتسفيل أخا لي وصديقاً."

ويزن القارىء الشخصي الحديث أقل من تسعة كيلوغرامات، وثمنه ٨٠٠٠ دولار. وهو، خلافاً لسلفه الاصلي البطيء، يستطيع قراءة ٣٥٠ كلمة في الدقيقة. ويتوقع كورتسفيل أن تتوافر في

(٣) Cybernetics

المستقبل آلة قارئة بحجم كتاب لا يتعدى ثمنها ١٠٠٠ دولار وتكون أسهل نقلا.

عام ١٩٨٠ باع كورتسفيل اختراعه الى شركة "زيروكس" التي تؤمن، بمشاركة "المؤسسة الامريكية للعميان" ومصرف بوسطن، فروضاً بفائدة متدنية للمعاقين بصرياً الذين يحتاجون الى قارىء شخصي.

ويستخدم القارىء الشخصي أيضاً في المدارس لمساعدة التلاميذ الذين يشكون من اعاقة في القراءة. واكتشف الباحثون أن بعض هؤلاء التلاميذ يستطيعون التغلب على اعاقتهم اذا أنعموا النظر في صفحة كتاب ثم تابعوا القراءة مع "بول الشاطر" وهو يلفظ كل كلمة كمعلم حليم طويل الاناة.

طبيب ومترجم. يكرس راي كورتسفيل وقته حالياً لابداع آلات جديدة تختلف عن سابقاتها. فقد أصبحت "آلة كورتسفيل لاصطناع الموسيقى"[٤] رائجة بين نجوم الغناء أمثال ستيفي وندر وكيني رودجرز ونيل دياموند. واخترع كورتسفيل أيضاً آليَّة لادراك الصوت تتيح للطبيب المشغول التكلم عبر أداة في يده بعد اتمام معاينة مريض، وتلقي تقرير مكتوب خلال دقائق.

وفي مستشفى "كوميونيتي" في سيراكيوز بولاية نيويورك كانت دائرة الطب الاشعاعي (الراديولوجيا) تعاني تراكماً دائماً للتقارير غير المنجزة. ويقول رئيس الدائرة الدكتور ديفيد تشيريس: "بعد اعتمادنا جهاز التقرير الصوتي[٥] الذي اخترعه كورتسفيل صار في امكاننا انجاز ٩٠ في المئة من تقارير المرضى خلال ٢٤ ساعة بعد الفحص."

وتساعد تكنولوجيا تمييز الصوت التي طورها كورتسفيل في اختراع أدوات تُعين مشلولي الاطراف الاربعة، وهي تُضبط بواسطة الصوت وتعمل آلياً كما يعمل الروبوت.[٦] ويعكف مستشفى الاطفال في بوسطن على اختبار هذه التكنولوجيا لترجمة الكلام غير الواضح للمصابين بشلل مخي كتابة مقروءة.

ويتطلـع كورتسفيـل في خططـه المستقبلية الى استنباط أداة للسمع: "تصور شاشة صغيرة في نظاراتك أو أداة تمسكها بيدك تستطيع من خلالها رؤية ما يكلمك به أحدهم، تماماً كما تشاهد ترجمة الافلام الاجنبية."

ولم ينسَ كورتسفيل ماضيه، وهو يقول: "حين كنت صبياً كنت أحب تأدية ألعاب "سحرية" ومشاهدة علامات الدهشة على وجوه الناس. ولكن حين كبرت اكتشفت طاقة سحرية أعظم هي الكمبيوتر."

ادوارد زيغلر ■

---

(٤) Kurzweil Music Synthesizer
(٥) Kurzweil Voice Report
(٦) الروبوت (robot). وهو ما يعرف بالرجل الآلي.

الحظ هو اجمالا مسألة انتباه.

س.د.

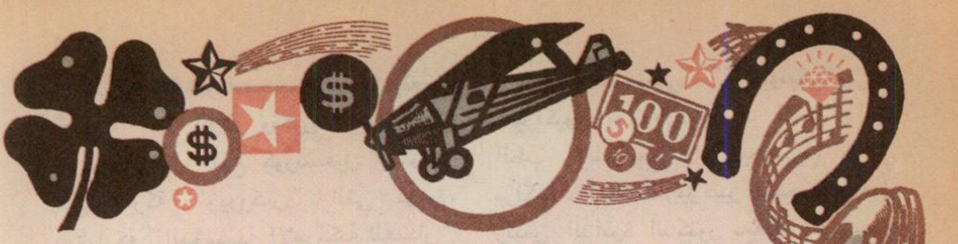

كيف ينجح المحظوظون

يعرفون متى يغامرون ومتى يحجمون

لماذا يحصل بعض الناس على كل ما يبتغون؟
أهي مسألة حظ أعمى فقط؟
الحقيقة أن "المحظوظين" يسيرون في الحياةِ وفقاً لنظرة تختلف عن نظرة معظم الناس. انهم يحضرون للفرص المؤاتية، ويُنمّون عادات تفيد من الحظ الجيد.
وسواء أكنت تباشر عملا جديداً أم تبدل وظيفتك أم تحاول تحسين وضعك العام، فان تبني هذه العادات يعزّز فرص نجاحك.

١ قم بمجازفات مدروسة. اعتُبِرَ تحليق تشارلز ليندبرغ المنفرد عبر المحيط الاطلسي في طائرة ذات محرك واحد عملا بطولياً خارقاً، وأصبح ليندبرغ واحداً من أبطال هذا العصر. لكن الحظ لم يؤدّ دوراً أساسياً في ذلك الانجاز العظيم. كان ليندبرغ طياراً وميكانيكياً واسع الخبرة، فانطلق من ايمان متفائل بأن "الطائرات قد تحسنت

ILLUSTRATION: CHRIS SPOLLEN

الى درجة أصبح معها مثل هذا التحليق ممكناً." وكان تحليقه تتويجاً لأشهر من الجهد المركز أشرف خلالها ليندبرغ على كل تفصيل في تركيب طائرته، واحتسب كل جانب من جوانب رحلته. وهو حطّ في باريس قبل الموعد المقدّر، وبقي في طائرته وقود يكفي الطيران مسافة ١٦٠٠ كيلومتر أخرى.

المحظوظون يعـرفون الفـرق بين المجازفة والتهور، وبين الحدس العالِم والأمل الفارغ. عرّف المؤلف ماكس غانتر الحدس على أنه "استنتاج يستند الى حقائق مخزونة في مستوى معيّن من اللاوعي."

والناجحون يجمعون معلومات كهذه بنهم دائم ليعززوا حدسهم. وهذا ما عناه الشاعر الامريكي روبرت فروست عندما قال: "كل الصور الفضلى التي يوردها الشاعر هي صور لم يدرك أنه يحصل عليها عندما كان يحصل عليها."

المحظوظون يقدمون على أعمال تبدو جريئة، لكنهم في الواقع ينفذون حدسهم الواعي مع حس واضح بامكان النجاح.

في العام ١٩٤٧ كان بوب بيترسن أجيراً في محطة وقود. وذات يوم قرر أن يتبع حدسه الذي أنبأه أن هناك شباناً كثيرين مثله يحبون التحدث عن السيارات وزيادة معلوماتهم حولها. فجازف مع صديق له بكل ما كانا يملكان (٤٠٠ دولار) لتحويل تلك الحماسة مجلة هزيلة بعنوان "هوت رود."[١] وحمل بيترسن نسخاً من المجلة الى حلبات سباق السيارات في كاليفورنيا وباع كل نسخة بربع دولار. واليوم تنتج "دار بيترسن للنشر" العملاقة ثلاثاً وعشرين مجلة متخصصة بالسيارات والهوايات، وتقدر ثروة بيترسن الشخصية بأكثر من ٣٥٠ مليون دولار.

٢. حوِّل مشاكلك فرصاً للنجاح.

المحظوظون يعيدون النظر في كل الامور، في حين يكاد الآخرون لا ينظرون الى الامور مرة أولى.

اطلع عدد من المخرجين الكبار على نص فيلم "رجل المطر"،[٢] فاستخلصوا أن قصة رجل متوحّد في مصحّ مع أخيه الاصغر لن تجذب جمهوراً كبيراً. لكن المخرج باري لفينسون رأى فيها امكان نجاح هائلا اذا تمكن الحوار والأداء من استغلال الطرافة والتضارب في العلاقة بين الشقيقين. قال لفينسون للممثل داستن هوفمن: "فلنجرّب عدم المغالاة في العصبية والتوتر" لدى ابرازنا شخصية رايموند بابيت. وصحّ حدسه، فأسَرَ أداء هوفمن البارع جماهير السينما في أنحاء العالم، وزادت مداخيل الفيلم على نصف مليار دولار.

٣. إعرف متى تتراجع. غالباً ما يكون غير المحظوظين أشخاصاً عنيدين،

---

(١) Hot Rod

(٢) Rain Man

إما بسبب غرورهم واما بسبب جهلهم.

أما المحظوظون فيعرفون متى يكون التراجع حسناً. يقول الملياردير جون فرنر كلوج: "القدرة على تقدير مدى المجازفة أمر حاسم. أنا لا أقدم على أمور لا أرى لها نهاية." وكلوج رئيس شركة "متروميديا"، وهو برهن عن قدرته على التوقيت في العام ١٩٨٦ عندما باع سبع محطات تلفزة بملياري دولار قبل أن تشكل محطات الـ"كابل"[٣] ضغوطاً جديدة على الصناعة التلفزيونية.

المحظوظون هم على استعداد دائم لتغيير مسارهم في اتجاه فرصة سانحة. لنأخذ مثلا قصة عازف في فرقة موسيقية فكَّر ملياً في مهنته وأعاد النظر في قراراته. انه صرف كثيراً من وقته وماله وموهبته في "معهد نيويورك للفن الموسيقي" الذي أصبح في ما بعد جزءاً من "معهد جوليار للموسيقى." فهل يثبت في هذه المهنة أم يتخلى عنها منعاً لخسارة اضافية؟

قرر العازف آلن غرينسبان أن يقرأ كتباً في الاقتصاد خلال أوقات فراغه. وفي النهاية عاد الى الجامعة. وهو اليوم رئيس "مجلس الاحتياط الاتحادي" بعدما شغل منصب رئيس "مجلس المستشارين الاقتصاديين" للرئيس الامريكي جورج بوش.

٤. تقرَّب من الناس. خلافاً للاسلوب المتحفظ الذي يعتمده كثير من المفكرين، دأب المفكر الكبير هرمن على استغلال كل فرصة للتحدث الى عمال المصاعد وسائقي سيارات الاجرة ونُدل المطاعم وكل من يصادف. ومكّنه حسه الاجتماعي هذا من مشاهدة حقيقة الناس الذين تتحدث عنهم الاحصاءات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في دراساته. وهو قال مرة: "لا يسع المرء أن يتوقع أي رؤية أو حل قد يأتيه عبر اتصالات غير متوقعة بالناس."

مارك ماكورماك مدير أعمال لاعب الغولف ورجل الاعمال أرنولد بالمر. وهو يعزو نجاح بالمر المستمر الى أسلوبه المنفتح واللطيف مع الناس، من معجب يطلب توقيعه الى رجل أعمال يوقع واياه صفقة بمليون دولار.

ولا يدع المحظوظون مشاغلهم تثنيهم عن مقابلة أناس جدد أو عن المحافظة على صداقاتهم القديمة. فهم يتحدثون الى جلسائهم في الطائرة ويتبادلون واياهم بطاقاتهم الشخصية. وينضمون الى الاندية والمنظمات المهنية، ويتحدثون ويُتحدث عنهم. قال رئيس أحد مكاتب التوظيف في نيويورك ان كثيرين من المرشحين لوظائف عليا هم "أناس عرّفوا أناساً آخرين بأنفسهم."

٥. ثابر بابداع. يملك الناجحون عزماً على أن "ينطحوا الجدار

(٣) الكابل (cable) محطات تلفزة يفيد منها مشتركون في مقابل رسوم شهرية.

برؤوسهم.» لكنهم يستغلون ذلك التصميم بفاعلية كبرى من خلال تمعُّنهم في الجدار بحثاً عن حجار متقلقلة.

كان "حظ" الرئيس الامريكي السابق رونالد ريغان كبيراً نتيجة تصميمه القوي وايمانه الراسخ بإمكان تحقيق نظام دفاعي ضد الصواريخ النووية، فعمد الى "مبادرة الدفاع الاستراتيجي."[٤] يومئذ، علت أصوات التشكيك في الكونغرس الامريكي ووسائل الاعلام والجماعات الضاغطة المناهضة لسياسة الدفاع.

وحاول الرئيس السوفييتي ميخائيل غورباتشيف ارغام ريغان على التخلي عن مبادرته، وركز في قمة ريكيافيك (ايسلندا) على استعدادات مغرية لخفض التسلح بحيث يتعذر على ريغان رفضها والا أصبحت رغبته في السلام موضع شك. وكانت غايته من ذلك إجبار ريغان على اجهاض مبادرته.

خرج ريغان من اللقاء بغضب بارد، وهو عادة مثال الكياسة في المفاوضات. وكتب في مفكرته: "أخذت على نفسي عهداً بألا أتخلى عن مبادرتي، وحافظت على العهد." واستمر في مناهضته الذكية للسوفييت، مستغلا مشاكلهم الاقتصادية المتفاقمة لاجبارهم على تقديم تنازلات. وفي النهاية رضخ غورباتشيف ووقع المعاهدة الاولى في التاريخ التي نصَّت على خفض حقيقي في الترسانة النووية.

(٤) Strategic Defense Initiative

٦. إعملْ تصبح محظوظاً. في الخمسينات، وظَّف ادوارد جون دوبارتولو أمواله بذكاء في مخازن كبرى، فكان المردود سخياً، اذ تقدر ثروته اليوم بأكثر من مليار دولار. وهو يملك فنادق ومباني تجارية ويتعهد فرقاً رياضية. ويداوم في مكتبه كل يوم منذ الخامسة والنصف صباحاً. انه في الثانية والثمانين من عمره، ويحاول اطالة مساره "المحظوظ."

إن هذا لمن أصعب الدروس على الفهم، لأن بعض الناس يجعلون "الحظ" يبدو أمراً ولا أسهل. فنراهم يتمتعون بالثمار وليست لديهم أدنى فكرة عما تتطلبه زراعة الشجرة ورعايتها. روى الممثل الراحل جايمس كاغني أنه كان حاضراً في خلفية أحد المسارح خلال الحرب العالمية الثانية يراقب المغني بينغ كروسبي عن كثب وهو يتحدث الى الجمهور من دون جهد وينشد بعضاً من أغنياته. كان يبدو مثال المغني المرتاح. لكنه حين غادر خشبة المسرح كان يتصبب عرقاً. قال كاغني: "كان منظر العرق المتصبب منه الهاماً مفاجئاً، فهو كان يَهَب كل طاقته في كل لحن غناه. أما ارتياحه الظاهري فكان جزءاً من عمله الشاق جداً."

ان أسرار النجاح ليست بالمظلمة ولا بالعميقة. فهي لا تستبعد الحظ المبتسم ولا الظروف العاثرة، لكنها ترفض السماح لهذه الامور بأن تتحكم في حياتنا.

رالف كيني بينيت ■

مبادئ وقوانين لكل زمان ومكان

القوانين التي تنظم الكون يكتنفها الغموض، لكنها لا تعصى على ادراكنا. لقد استطاع المؤلف بول ديكسون، بمساعدة ألوف الاشخاص، أن يجمع عدداً من القواعد "غير العلمية تماماً" حول التناقضات والمنغصات التي تحفل بها حياتنا اليومية. وهذه القواعد مزيج من الحكم الشعبية والخبرات الشخصية. وقد تكون مرشداً نافعاً لنا جميعاً اذ نشق دربنا الى القرن الحادي والعشرين.

إيضاح أبلي

الزواج هو الاتحاد الوحيد الذي لا يمكن تنظيمه، فكل من الطرفين يعتقد أنه الادارة المسؤولة.

ولد ج. أبلي

قانون بيكر في الاقتصاد

إنك عازف عما يمكنك الحصول عليه.

سكوت ر. بيكر

مبدأ بيست

كلما كان اسم السلعة برّاقاً، تدنت نوعيتها. فجهاز الستيريو الرخيص، مثلا، تزينه غالباً كلمة "سوپر" مقرونة باسمه، في حين تطلق على أفضل الاجهزة أسماء تشبه أسماء شركات استشارات.

ايان بيست

ملاحظة بوركون

يقاس تأخر وصول المرء الى المسرح ببعد مقعده عن الممشى في الوسط.

برنارد بوركون

قاعدة بوسويل

لا أحد يؤكد أن السيارة المستعملة تقتصد في الوقود، الا البائع.

بيلي بوسويل

في صحيفة "واشنطن بوست"

دستور المحادثة

ان لم تود أن يسمع أولادك ما تقول، فتظاهر بأنك تخاطبهم.

مجهول

CONDENSED FROM «THE NEW OFFICIAL RULES,» COPYRIGHT © 1989 BY PAUL DICKSON,
PUBLISHED BY ADDISON-WESLEY PUBLISHING CO., READING, MASS. ILLUSTRATIONS: KEITH BENDIS

قاعدة ديكسون لعمر الـ٤٩

أكبر عزاء لمن بلغ التاسعة والأربعين ادراكه أنه شاخ ولن يموت شاباً.

بول ديكسون

قاعدة غيست للسفر مع الأولاد

لا تذهب واياهم في اتجاه واحد أبداً.

وليم غيست

في صحيفة "نيويورك تايمز"

بشارة غيلبرت

أصدق مؤشر على أنك في ورطة في العمل، أن أحداً لا يحاول تعليمك كيف تنجز عملك.

مجهول

لغز غريسوم

أصغر ثقب يفرغ أكبر إناء، إلا اذا أُعدّ عمداً للتصريف، فهو حينئذ ينسدّ.

ديف غريسوم

مبدأ هارييت في المطاعم

في كل المطاعم، تزداد قساوة قطع الزبدة بازدياد طراوة الخبز المقدم على المائدة.

هارييت ماركمان

قانون هربرغر للمحامين

عندما يعمل محام واحد في بلدة فانه لا يستطيع كسب عيشه. أما اذا كان هناك محاميان فسوف يكسب كلاهما رزقه وزيادة.

كالفن ديونيير

قاعدة هوف في المسؤولية

توزيع المسؤولية مئة في المئة على اثنين، يعطي كلا منهما عشرة في المئة.

أكسل هوف

قانون جست في آداب القيادة

تزداد رعونة السائق بازدياد هلهلة السيارة.

كريستيان جست

مؤشر كينوورثي

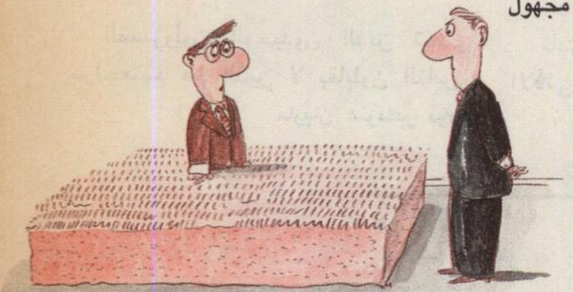

كثافة السجادة في مكتب المسؤول الذي استدعاك مقياس لفداحة المشكلة التي تواجهها.

جيم كينوورثي

وصيتا لاوسن للأسفار

١. اذا وصلت الى المحطة باكراً، تأخر القطار.

٢. اذا كنت مستعجلا، فاتك القطار.

سارة لاوسن

قانون ميل

لولا اللحظة الاخيرة لما أنجز أي عمل.

مجهول

قانون ويبر

اذا لم تجد صعوبة في العثور على موقف لسيارتك، فسيتعذر عليك العثور عليها لاحقاً.

فيليب ويبر

قاعدة موراي

أي بلد تدخل "الديموقراطية" اسمه ليس ديموقراطياً.

جيم موراي

في صحيفة "لوس انجلس تايمز"

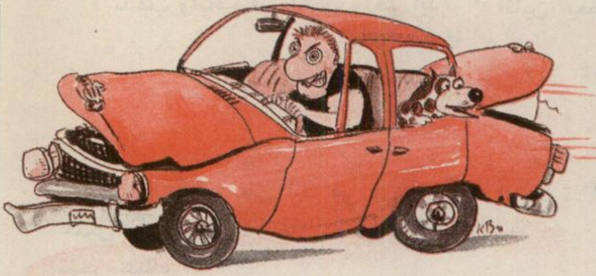

نظام نودل

المسؤولون الوحيدون الذين تجدي مراجعتهم هم الذين لا يقابلون الناس.

ماريان هنريكيز نودل

نظرية وبستر

نادراً ما تتجاوز أضرار الحوادث الحد الادنى الذي تغطيه شركات التأمين.

دوغ وبستر

ما السر...

... في أن الذاكرة الضعيفة تستعيد الامور الجديرة بالنسيان؟

... في أن أسهل الطرق لانجاز عمل ما هو الطريق الخاطىء؟

... في أن الميزان في عيادة الطبيب يسجِّل عدة كيلوغرامات أكثر من ميزانك؟

... في أن الجرائد التي تنشرها على الارض لالتقاط بقع الطلاء تغريك بقراءة ممتعة؟

... في أن الناس الذين يتذكرون نكتة ما لا يتذكرون كم مرة أخبروك اياها من قبل؟

ج.غ.

الغضب القاتل

تشبه سورة الغضب أحياناً القفز داخل سيارة رياضية سريعة وتلقيم محركها وقوداً، والانطلاق بها بسرعة قصوى، ثم الاكتشاف فجأة أن كوابحها معطّلة.

صحيفة "نيويورك تايمز"

لايول صانعة النصال

سكين الجيب الفرنسية "صديقة المزارع" تعود الى الواجهة

ما الذي أوحى فكرة ذلك الشكل المحدد؟ تلك الاستدارة التي تتلاءم واليد تماماً، والنحلة المنقوشة على قاعدة النصل؟

الجدل لا ينتهي في بلدة لايول الفرنسية الصغيرة في شمال مقاطعة أفيرون، حول أصول سكاكينها ذات المقابض القرنية والنصال الحادة الرهيبة.

الروايات التي تغذي الجدل كثيرة. فبعض الأهالي يؤكد أن النحلة المحفورة على النصل أهداها نابوليون بونابرت الى البلدة "تقديراً لخدمات أبنائها." غير أن الباحثين المحليين لم يجدوا أثراً يشير إلى هذه "الجهود." لكن "لايول" حفرت مركزاً في التاريخ.

يباع في فرنسا سنوياً نحو ٦٠٠ ألف سكين من نوع لايول. وتراها في أي من محال الادوات القاطعة وأسلحة الصيد. وتراها كذلك الى جانب الساعات والولاعات في محال "التنباك" المنتشرة في أنحاء البلاد. ولا يستعملها صيادو الطيور والأسماك فحسب، بل هي تزداد ظهوراً على الموائد الأنيقة.

وعلى مر السنين افتتنت باريس بهذه السكين، وصارت لها طائفة من المعجبين الغلاة. وغدا مقتنوها يُكْنون بها.

طقّة أمر. اخترعت سكين الجيب هذه عام ١٨٢٩ عندما عمد بيار - جان كالمل،

TOP / ARCIS

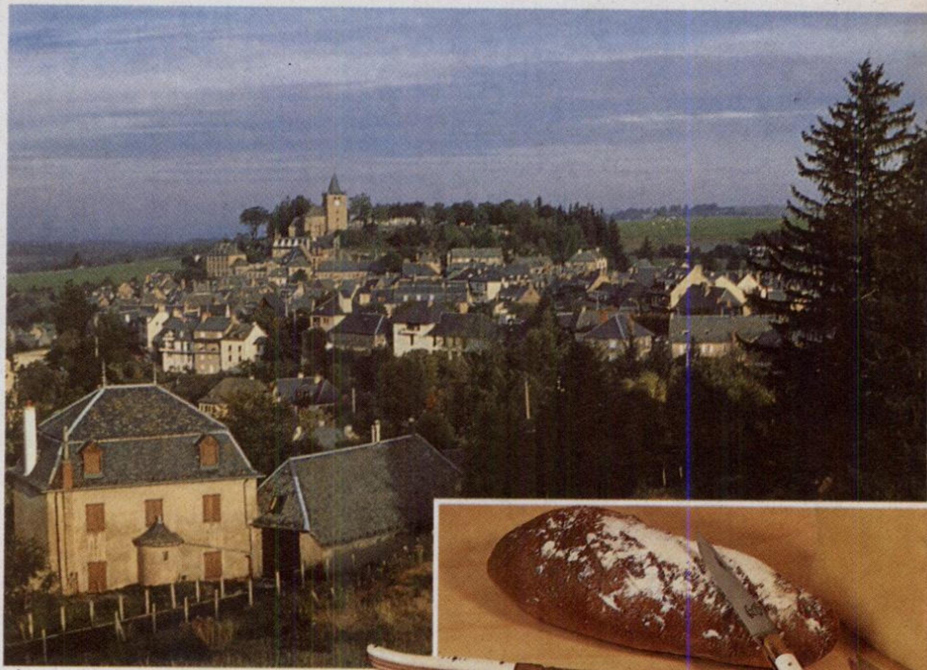

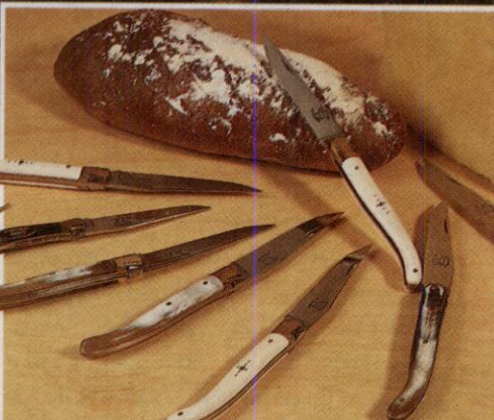

بلدة لايول القابعة وسط سهل أوبراك في شمال مقاطعة أفيرون. والى اليمين بعض من سكاكينها الشهيرة.

SRD / J.P. GERMAIN

وهو سليل أسرة عريقة من صنَّاع الادوات القاطعة الذين بنوا شهرة لايول، الى تركيب نصل من الفولاذ المصوغ يدوياً في قرن بقرة من مقاطعة اوبراك. ومنذ ابتكارها طُبعت هذه السكين بالصفات التي شهرتها. كان نصلها المصمم للاختراق والقطع في آن مثالياً للاستعمال في تلك المقاطعة حيث تنتشر الزراعة وتربية المواشي. وكان نابضها قوياً جداً بحيث يمكن استعمالها، حين تُفتح، على نحو يراعي السلامة في كل الظروف. وكانت ملساء تنسلّ وهي مقفلة في أكثر الجيوب اكتظاظاً. كما تميزت بأناقة تجمع بين الفاعلية والجمال.

الا أن سكين لايول هي في الأساس أداة نافعة. واضافة مخرمة ونازعة سدادات فلّين اليها لم تكن لمجرد الزخرفة، بل لأنهما جعلتاها من أوفى

اصدقاء المزارع. واستعملت لايول في قطع أربطة الثيران بسرعة حين تتعرض لخطر الاختناق من جراء شرودها عن النير. كما استخدمت في فَصْد بقرات تنازع مصابة بالسكتة الدماغية.

كذلك غدت سكين الجيب هذه رمزاً للسلطة بفعل طقّة نصلها الحادة التي كانت مؤشراً الى انتهاء فترة الطعام ولزوم العودة الى العمل. يقول أندريه فالادييه الخبير باستيلاد الماشية: "لا يلجأ الى ذلك سوى كبير قوم ، وإن فعل فلا يضيف كلمة واحدة، إذ يذعن الجميع لأمره من دون تلكؤ."

وكانت نازعة سدادات الفلين نافعة في وقت تلازَم بيع الأجبان والشراب المحفوظ في زجاجات. اذ ليس أشهى من قطعة جبن وكأس شراب في الحفلات. أداة واحدة فقط كانت ترافق المحتفلين طوال الوليمة: السكين، طبعاً.

حرفة عائلية. كانت صناعة أدوات القطع تشغل عام ١٨٤٠ نحو ٢٦ عاملا في بلدة لا يزيد عدد سكانها على ألفين. وجاءت الصناعة الجديدة في وقت حاسم تزامن ونهاية الهجرة نحو الجنوب.

وكانت عائلات أوبراك الكبيرة على مر الأجيال ترسل أولادها الى العمل في مناشر الخشب في كاتالونيا. ثم راحت تتطلع نحو الشمال، وتحديداً الى باريس. فخسرت المقاطعة بعض سكانها لدى انبثاق الثورة الصناعية في فرنسا.

أما من بقي في البلدة فكان يمضي أشهر الشتاء الطويلة يصنع السكاكين التي درج المهاجرون على حملها معزِّزين، عن غير قصد، شهرة سكين لايول كلما فتحوها في مقهى. وتوارثت أجيال عائلة كالمل هذه الصناعة، وبنت عائلات أخرى، مثل عائلة غلانديير، شهرة في هذا المضمار.

لكن هذه الصناعة العائلية لم تتطور جدياً. وحين ازداد الطلب على السكاكين اكتسحت بلدة تيير التي تعتبر عاصمة صناعة أدوات القطع في فرنسا، معظم أسواق سكين كالمل الصغيرة. ويقول جان - لوي كروميير وهو مزارع كان عمدة لايول بين ١٩٧٩ و١٩٨٨: "في غياب الاسماء التجارية وبراءات الاختراع، غدا في وسع أي كان أن يقلد شكل لايول ويستعمل اسمها. إن إفادة تيير من هذه الصناعة أمر مشروع. وقد يأتي يوم نشكرها لتخليد تقاليدنا والمحافظة على اسمنا وإشهاره ربطاً بالمنتجات الرفيعة النوعية. لكننا وضعنا حداً فاصلا حين رأينا نتاجاً سَقَطاً يُصنع في آسيا بنصال من صفيح ومقابض من بلاستيك وردي أو أخضر حفر عليها: "تذكار من لورد."

لذا قرر أهل البلدة عام ١٩٧٩ معاودة انتاج سكين لايول. وبعد سنتين أسسوا هيئة ضمت مواطنين متعصبين للخدمة العامة بهدف اجتذاب عمال الى هذه الحرفة، بالتعاون مع "مكتب روديز للحرف" و"لجنة التنمية الادارية" و"هيئة شمال أفيرون الأهلية" و"مصرف التسليف الزراعي" وسواها. يقول كروميير: "لم يصدق شباب المقاطعة

مصنع "لايول" المطل على البلدة. صممه فيليب ستارك وبني عام ١٩٨٧، وأثارت هندسته الغريبة جدلا لا يزال قائماً.
(أعلى اليسار) شرر يتطاير من شحذ سكين.

إمكان احياء هذه الحرفة. لذا اضطررنا الى البحث عن عمال بواسطة مكتب التوظيف الوطني الذي أرسل الينا ١٨ عاملا مدربين على تشغيل الآلات وتركيب السكاكين. فأبدى خمسة منهم رغبة في تعلم الصنعة."

كان جان - بيار دوما أول الراغبين. قال: "جئت كالآخرين لأرى ما هنالك، ولم أكن عارفاً وجهتنا الحقيقية لأن مصانع تيير رفضتنا لقطع دابر المنافسة. لكن هيئة التوظيف يسَّرت لنا الالتحاق ببرنامج للتدريب في بلدة نوجان - آن - باسيني في مقاطعة هوت - مارن لمدة تسعة أشهر بدأت في مايو (أيار) ١٩٨٥."

إتقان يدوي. أراد مجلس البلدة تفعيل العمل من دون التفات الى ما قد يحدث لاحقاً. وهذا ما حصل عندما باشر أحد المتدربين الخمسة العمل منفرداً في بلدة استان. وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٥ تعاون الباقون على تأسيس "شركة لايول للسكاكين" حيث ينهمك عشرة عمال في جمع نحو ٤٠ سكيناً يومياً وصقلها وتركيبها. ولا تمتلك هذه الشركة الصغيرة مشغل حدادة، لكنها مرحلة أولى في إحياء صناعة لايول.

PHOTOS: GAMMA / VIOUJARD; (INSET) C. DEMONFAUCON

ومنذ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٧ يشاد على المرتفع المطل على البلدة مصنع لشركة ثانية سميت ببساطة "لايول." وأثار هيكل البناء الذي صممه المهندس الشهير فيليب ستارك جدلا صاخباً في البلدة المحافظة. فالناس يتساءلون هل من الضروري اختراق المبنى بنصل عملاق من الألومنيوم يشق القاعة الرئيسية ويخرج من السطح؟

يقول مدير الشركة جيرار بواسان الذي كان يعمل في "مكتب روديز للحرف"، إن برنامج إحياء صناعة لايول اجتذبه بعد دراسة مفيضة لملف المشروع. ويضيف: "إن اقتصار نشاط البلدة على ورشة تجميع واحدة يتركنا متكلين على تيير التي تستطيع قطع امداداتنا بين ليلة وضحاها. كان ينقصنا مشغل حدادة، ولدينا واحد الآن. وكنا نحتاج الى مصانع اضافية، وهذا مصنع جديد."

والمصنع بداية مرحلة جديدة من تاريخ بلدة لايول، حيث باتت النصال والغلافات والنوابض والمخارم والنحلة الشهيرة تطرَّق للمرة الأولى بأسلوب صناعي. يقول بواسان: "يمكننا انتاج عشرة آلاف نصل في ثلاثة أيام وخزن الفائض لتلبية طلبات كبيرة. وفي وسعنا أيضاً معالجة الفولاذ المكربَن المعرض للصدأ، والفولاذ - ٤٤٠ الجديد الذي يحتفظ بلمعانه وحدَّة نصاله. ويتم كل ذلك بواسطة مكبس يزيد وزنه على ٢٠٠ طن. ولكن متى اكتملت عملية الصوغ، تُجمع القطع وتصقل يدوياً كما تقضي التقاليد."

ويتابع بواسان: "أما تصميم منتجات رفيعة المستوى وتسويقها، مثل "ستارك" التي تحمل اسم مصممها و"ميشال برا" التي تحمل اسم طاه شهير من لايول، فيتيحان لنا تلبية حاجات المحال التي تبيع منتجات قيّمة، كذلك التفكير في التصدير، علماً أن "ستارك" تباع الآن في أسواق اليابان."

والنتائج الاولية مشجعة. فالشركة التي بدأت بسبعة عمال توظف اليوم ٢٦ عاملا، وتنتج نحو ٣٠٠٠ سكين شهرياً في مقابل ١٥٠٠ في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٩. فهل اقتنع سكان لايول بنمو صناعتهم؟ رقمان يجيبان: في الخمسينات كان ثلاثة أشخاص يبيعون السكاكين هناك. واليوم عددهم تسعة عشر. وليس أدل على ذلك من تحويل مصوِّر البلدة واجهة محلّه معرضاً للسكاكين.

باتريس بورنا ■

بطيء الفهم

قال الشاب لصديقته على العشاء: "لنرَ اذا كنتُ فهمتُ ما تقولين: انك ترغبين في التقليل من لقاءاتنا وفي التعرف الى شبان آخرين. هل يعني ذلك أنك ترفضين الزواج بي؟"

س.أ.ب.

نشوة الهبوط بالمظلة

خلال تحليقنا الى "المغامرة الكبرى"، قال لنا دون بالش صاحب مدرسة "سكاي دايفنغ أدفنشرز" لتعليم الهبوط بالمظلات في هيميت بكاليفورنيا: "أرجو ألا تحدثوا حفراً في الأرض لدى هبوطكم في قطاعي."

كان التحليق الى علو ٣٢٠٠ متر أمراً مكرباً: هدير المحركات، وهتافات الموشكين على الهبوط، وتقزُّم الاشياء المألوفة على الارض. فوداعاً يا سيارات ويا منازل. ووداعاً يا حبيبة!

لتهدئة مخاوفي رحت أردد في نفسي أن المظلات أمنة جداً وهي تبقي المرء حياً، معلقاً في الهواء وقتاً أطول مما تبقيه الطائرة. وتزعم أسطورة صينية أن الامبراطور شون وجد نفسه مرة محاصراً بالنار في أحد الاهراءات، فاستنبط "مظلة" بربط قبعات قش بعضها ببعض، وهبط بها ونجا. وفي القرن السابع عشر في سيام (تايلاند حالياً) أفاد أحد المبعوثين الفرنسيين أنه شاهد بهلواناً في قصر الملك يهبط بمظلتين واسعتين من مكان مرتفع.

جاهزون؟ "ولدت" مظلة الهبوط العصرية (الباراشوت) عام ١٧٨٥ حين ابتكر ج.ب. بلانشار قُبَّة حريرية قابلة للطيّ. وقد دوَّن دان بوينتر مؤلف كتب عدة عن الهبوط بالمظلات: "ان ثمة دليلا على أنه قفز من منطاد عام ١٧٩٣ وكسر ساقه." ولعلّ بلانشار هو الذي ابتدع

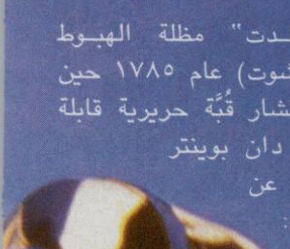

© 1990 BY MICHAEL PARFIT. CONDENSED FROM SMITHSONIAN (AUGUST '90). WASHINGTON, D.C.
PHOTO: © HEINZ FISCHER / THE IMAGE BANK

القفز بالمظلة مغامرة تمنح الهابط نشوة لا مثيل لها

الجواب السريع البارع الذي يرد به المظليون المعطوبون حين يُسألون: "هل كسرت ساقك عند القفز؟" فيجيبون: "كلا، كسرتها عند الهبوط."

فيما كانت الطائرة تعلو بنا هادرة مخترقة الاجواء العليا تذكرت ما حل بأندريه – جاك غارنيران حين قفز من منطاد أواخر القرن الثامن عشر. فقد راحت المظلة التي بلغ قطرها سبعة أمتار، ترجِّحه بعنف من جانب الى جانب الى أن هبط على الارض منهكاً مريضاً.

كانت مشكلة غارنيران سهلة الحل، فعند الهبوط تمتلىء المظلة بالهواء الذي ينحبس داخلها. وتتوقف سرعة هبوطها على مقدار الهواء الذي يخرج من خلال القماش أو من الاطراف. فاذا كان القماش متينا ضابطا فلا بد للهواء من

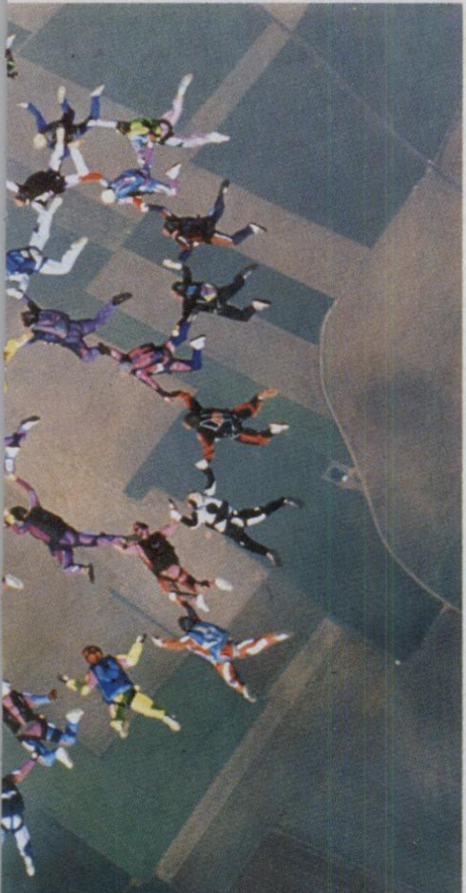

٨٨ مظلياً يشبكون أيديهم في مناورة جريئة.

الاندفاع من جانب واحد ثم من آخر، مما يفقد المظلة توازنها فترجِّح الهابط الذي يصاب بالغثيان. وقد حُلّت المشكلة لاحقاً باحداث فتحة في أعلى المظلة.

توقفت الطائرة عن الارتفاع وراحت تحلق على علو ٣٠٠٠ متر. وصاح بالش: "جاهزون؟" فكذبت مجيباً: "جاهزون!" ففتح الباب وصرخ مبتهجاً اذ عصفت بنا الريح وطالعنا فراغ الفضاء كأنه متوثب لابتلاعنا. ركعنا كما عُلِّمنا ووجوهنا الى الامام. ووفقاً للارشادات، تأبّطت حبلَي فتح المظلة خشية شدهما عرضياً وأنا ما زلت في الطائرة.

يتم فتح المظلة بواسطة حبل يحفظها مطوية حتى يُشدّ، وهو اختُرع عام ١٩٠٨ لكنه لم يتح للمظلّي فتح مظلته بعد الهبوط من الطائرة حتى العام ١٩١٩. فلو استخدم هذا الاختراع في الحرب العالمية الاولى لأنقذ طيارين كثيرين. لكن فكرة مغادرة طائرة "مشلولة" خلال طيرانها تبلورت لاحقاً. فكلِّف فلويد سميث، وهو مظلي مغامر، ابتكار مظلات طوارىء للجيش الامريكي. فصمم عام ١٩١٩ تركيبة من مظلة وصُرَّة، بحيث يشدّ الهابطُ الحبل فتطلق "مظلة رائدة" صغيرة مزوَّدة نوابض، تنفتح بفعل اندفاع الهواء فتشدّ المظلة الرئيسية وتفتحها. وقد لاقت هذه الطريقة نجاحاً كبيراً وهي لا تزال الأساس المعتمد في تصاميم معظم المظلات.

عرس في الجو. في الماضي كان أحد الاخطار الكبرى على المظليين ماثلا في انفتاح المظلة بعنف شديد، فامتلاؤها بالهواء بغتة يبطىء الهبوط على نحو مفاجىء مما يتسبب في أذى للمظلّي.

وتجهَّز مظلات رياضية كثيرة بقطعة من القماش في زواياها عرى كبيرة،

فتُدفع القماشة عالياً على أسلاك المظلة عند توضيبها. وبما أن القماشة تستلزم بضع ثوان لكي تنزلق على الاسلاك، تنفتح المظلة تدريجاً فلا يحدث انفتاحها صدمة عنيفة للهابط.

والمظليون الرياضيون هم من المغامرين الذين أدّوا في السنوات الاخيرة عروضاً غريبة ومثيرة، كأن تهبط جماعة منهم من طائرة كبيرة فيعقدون حفلة زفاف أو غير ذلك وهم معلّقون في الجو. ويمارس بعضهم القفز عن الاجراف والأبنية والهوائيات والجسور. وقبل سنتين أصبحت جان ديفيس المرأة الاولى التي تقفز من أعلى شلالات أنجل

PHOTO: © ALLSPORT / VANDYSTADT

في فنزويلا التي ترتفع ٩٧٩ متراً.

قالت لي ديفيس: "إرمِ جسدك في الهواء، فهذه أروع قفزة على وجه البسيطة." وقد دام هبوطها ١٢ ثانية في محاذاة الصخر والماء وهي منعمة النظر الى شلال آخر عبر الوادي. وحين شدّت الحبل انفتحت المظلة، فاذا هي معلقة تتهادى في غمار السديم والسكينة. ثم هبطت في الغابة وهدير الشلالات يصم أذنيها.

لم يطرأ أي خلل يعكر القفزة فوق شلالات أنجل. لكني رأيت ديفيس في منزلها بعد مدة وهي تعرج واحدى ساقيها في قالب من الجص، فسألتها: "أحدث لك ذلك خلال قفزة؟"

أجابت: "كلا، بل خلال هبوط."

جناح سلام. حان دوري للقفز من الطائرة. الخروج سهل، فما عليك الا أن تجر قدميك قليلا فتفتح الباب وتدلف جانبياً الى درجة صغيرة خارج الطائرة تقف عليها.

صرت في الخارج، فأمسكت بدعامة الطائرة. كان بالش الى يميني وقد تحولت ابتسامته العريضة تكشيرة في وجه الريح، ووقف مدرب آخر الى يساري. كنا نعلو ٣٠٠٠ متر عن الارض ونقف خارجاً في عباب الفضاء تلفّنا زوبعة من الصخب والريح. تبادلنا ايماءات الموافقة ثم قفزنا معاً.

صدمتني موجة أولى من الرعب فاقت كل المخاوف التي عرفتها سابقاً. وجدت نفسي هابطاً في الفراغ الى اللاشيء، الى اللانهاية، الى ثقب في الارض. احتبس الكلام والصوت داخلي وضجّ جسمي كله وانحلّ. وأطبقَتْ عيناي وأنا أسقط.

وبعد برهة خلتها دهراً فتحت عيني متسائلا: "أحيّ أنا؟" وتابعت سقوطي، فاذا بالفراغ قد تحول وسادة حيَّة ثابتة، وغاب عني الاحساس الرهيب بالهبوط عندما هدأ جسمي. كان الهواء حسّياً، واقعياً، نقياً، كأنه مكعّب بلَّوري استلقيت عليه.

لقد انحسر الموت، لكن الحلم الذي تبعه كان مقلقاً ومتقلباً. كنت محمولا في الجو، هدير السماء يصم أذني والارض تشدّني الى عناق ساحق. كنت مستيقظاً، وبي شعور بعيد غامض بأني أهوي مخلفاً ذاتي ورائي مثل طائرة تسابق صوتها.

بعد هبوط ٣٠ ثانية أصبحت على علو ١٥٠٠ متر، فتلمست حبل الفتح وشددته، واذا بالمظلة تنفتح وتختطفني من وسادتي البلّورية كأنها مخالب صقر.

رفعت نظري الى أعلى فشاهدت المظلة بلونيها الازرق والاصفر، صغيرة، أنيقة. انها جناحي، يخترقه النور. لكنها متينة، واسعة، حميمة، تخفق كراية صغيرة في مهب النسيم.

فغمرتني موجة من السكينة والطمأنينة والعذوبة، وعدت الى الحياة.

وبسطت جناحي النايلون وعدت الى الارض بمحبة وشوق.

مايكل بارفيت ■

تأملات معاصرة

صراع الآباء

■ أدرك والداي سبيل سلوك الحياة. كانا واثقين من اختياراتهما، وجعلانا نحسّ أن علينا الوثوق بها نحن أيضاً. ولا يمكنني، حتى اليوم، أن أحتمل رؤية والدين يتخبطان في مصاعب الحياة أمام أولادهما. لا بدّ أن والديّ أقدما على أخذ قرارات في غاية الصعوبة، لكنهما لم يشركاني قط في قلقهما وهواجسهما. قد يبدو الأمر للبعض نوعاً من الكبح، لكن للكبح في اعتقادي قيمة ايجابية.

طوم ولف، كاتب وصحافي أمريكي

التراث القروي

■ معظم أصدقائي في المدن مستهلكو ثقافة وليسوا خلّاقين، فهم يبتاعون سبيلهم الى دار أوبرا أو الى متحف تماماً كما يبتاعون بقالتهم. لكن الوشائج الانسانية في القرى مرهفة جداً، حتى انك تشعر بأن من واجبك أن تساعد في ارسائها وتوثيق عراها. فكل ما يحدث في القرى والبلدات الصغيرة، من مهرجانات وحلقات تسلية وعروض وسباقات خيل وحفلات موسيقية ومسرحيات في الهواء الطلق، يحدث لأن أشخاصاً تعرفهم يُحدثونه، أو ربما أنت نفسك تحدثه. هذه ثقافة مرتجلة، سِمَتها البساطة، لكنها مختَلَجة في القلب، منبثقة من المواهب المحليَّة.

س.س.

الاعتذار السامي

■ ان أعظم انجاز أخلاقي في حياتي هو قدرتي على الاعتذار الى من أسأت اليه، وعلى خفض رأسي وسؤال الغفران. أعتقد أن على الجميع أن يتعلّموا ذلك، ويدركوا أنهم يبلغون به سمواً روحياً لا تعتريه مذلّة.

ماتيسلاف روسترو بوفيتش،
قائد "الاوركسترا السمفونية الوطنية"
في واشنطن

حكمة حطّاب

■ قطَع رجلان حطباً طوال النهار. فعمل الاول بكدّ من دون توقف، فجمع في نهاية النهار كومة ضخمة، فيما دأب الآخر على قطع الحطب ٥٠ دقيقة والراحة عشر دقائق بعدها، وفي نهاية النهار كانت كومته أضخم كثيراً.

فسأل الرجل المثابر زميله المستريح: "كيف استطعت أن تقطع حطباً أكثر مني؟"

فأجابه رفيقه: "عندما كنت أتوقف للراحة كنت أسنّ فأسي."

ت.و.

الشهرة والظل

■ تشبه شهرة المرء ظله، فهي تتبعه أحياناً، وأحياناً تسبقه، وتكون أكبر منه تارة وأصغر منه طوراً.

قول مأثور

بيرغن

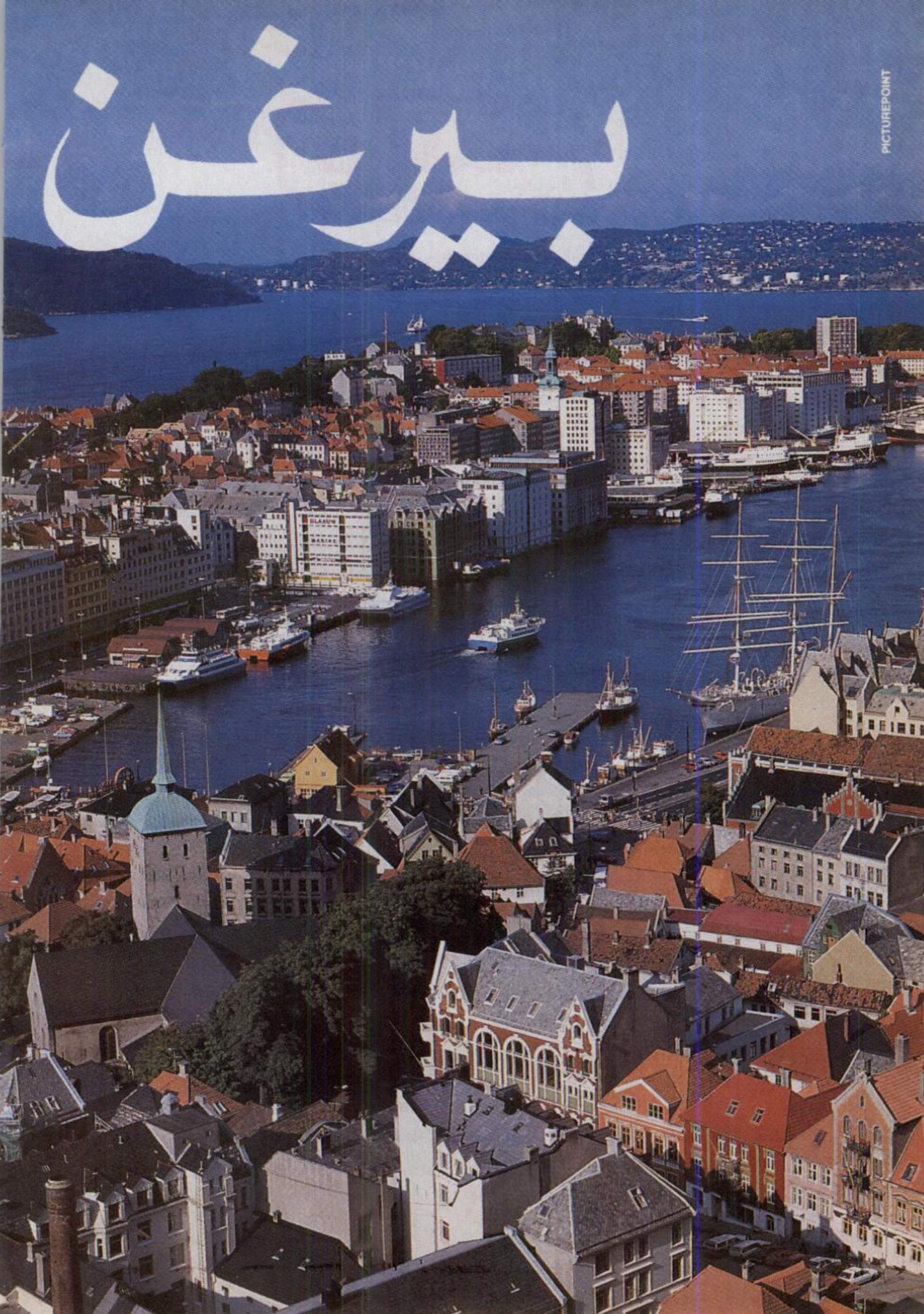

PICTUREPOINT

قرويّة الشمال

LANDSCAPE PHOTOGRAPHY / DEREK FORSS

BERGEN TOURIST BOARD

(فوق) أحد الشوارع الضيقة حيث اصطفت المنازل الخشبية الصغيرة.
(تحت) سوق السمك الشهيرة في بيرغن.

مرفأ نابض بالحركة في كنف جبال النروج

تتسلل القطارات الآتية من أوسلو والحافلات العائدة من المطار الى مدينة بيرغن، المرفأ العتيق الشهير المتقوقع في أحضان الشاطىء الغربي للنروج، فتنسل عبر الانفاق والممرات الجبلية كأنما حرم عليها دخول المدينة من دون اذن خاص من عمدتها.

قبل قرن كانت السلاسل الجبلية الرائعة التي تكتنف المرفأ عاصية الا على الرحّالة الجسورين. وليس من "الطبيعي"، حتى في أيامنا، الاقتراب من بيرغن براً. فعندما تقع عيناك عليها للمرة الاولى يخيل اليك انك تنظر من باب خلفي، وكأنما كل منزل هناك يشرف على الناحية الاخرى وكل درب تنحدر الى سفح التلة في اتجاه البحر البعيد المطل من فوق السطوح.

أسس الملك أولاف كير مدينة بيرغن قبل نحو ألف سنة. وهي حافظت على طابعها الى اليوم، مواجهة البحر ومديرة ظهرها الى الجبال. وعلى رغم ازدهار الضواحي حولها وتفرُّع بلدات منها

CONDENSED FROM «GREAT TOURS AND DETOURS,» © 1984, 1985 THE NEW YORK TIMES SYNDICATION SALES CORP., WAS PUBLISHED BY EBURY PRESS, LONDON.

تنتشر على التلال المحيطة، فقد بقيت بيرغن وفية لعزلتها ومكتفية ذاتياً كأنها دولة صغيرة عنيدة في الشمال. حتى ان سكانها لا يقرّون بأنهم من النروج، بل من بيرغن.

سوق صاخبة. أنا أحب بيرغن في الصيف. ولكي تتعرف اليها جيداً حريّ بك أولا أن تعثر على فندق عائلي متواضع في احدى المناطق السكنية. عندئذ ستشعر أن كل ما حولك رزين وصريح، ومتكتِّم في آن، كمشهد من احدى مسرحيات هنريك إبسن.

وفي العشيات الدافئة انظر من نافذتك، وستجد الترتيب الرصين يحوط بك، بدءاً بالستائر المزركشة والبوابات البنية، وصولا الى زينة النوافذ والسياج الحديد الذي يحوط بجنائن الازهار. وسيتناهى اليك من مكان ما عزف على البيانو. وسترى امرأة تنزه كلبها. وستظهر يد من نافذة مفتوحة تحمل مرشة لتروي حوض أزهار.

وينعم وسط المدينة باستقرار راسخ مريح توحيه صفوف المنازل النظيفة، التي بني بعضها بالخشب المطلي في أزقة مرصوفة على طراز أوائل القرن التاسع عشر، وبني بعض آخر على نمط نهاية القرن، وهي كلها متينة وأنيقة ومريحة للنظر.

هذا هو بحق جو بيرغن: مدينة تجارية ازدهرت عبر أجيال من المؤسسات الثابتة التي غلب عليها طابع العشائرية والزمالة والتوَاضع. فيها يشعر المرء كأنه دخل مقر رابطة أزلية أو تجارة عائلية متداخلة.

صباح اليوم التالي قد تفاجأ بالضباب يلف المدينة، لكنه لن يدوم طويلا. فقد تنهمر الامطار وتغسل المنظر حولك، أو تشرق شمس الصيف الشاحبة. فتيار الخليج الذي يمر على مقربة من بيرغن أضفى عليها مناخاً معتدلا. فحتى في الشتاء، نادراً ما يكسو الثلج الطرق لفترة طويلة. واذا حالفك الحظ أشرقت الشمس وغمرت المكان بأشعتها الذهبية، فانسدلت على الاخضر الريان وكللت التلال الحرجية.

وفي السوق المجاورة لرصيف الميناء تقف المرأة التي رأيتها في الامس تنزه كلبها، وهي لا تزال تعتمر قبعتها وتعاين سمكة تنتفض لاهفة للعودة الى البحر، وقد اصطادها بائع السمك قبل لحظات من حوض صخري.

السوق صاخبة تعج بالحركة كأنها رمز لاسكندينافيا.[1] فهنا أكشاك قريدس (جمبري) وسردين مخلل وسلمون مدخَّن. وهناك طاولات تكومت فوقها ازهار مقطوفة وشتول مغروسة. وينشغل رجال تحت أشعة الشمس بتنظيف سمكة سلمون كبيرة. وتنصرف النساء الى بيع السياح جلود أيائل الرنة وصناديق التوت الجبلي وتماثيل الاقزام الشهيرة في الاساطير الاسكندينافية.

---

(١) اسكندينافيا شبه جزيرة في شمال أوروبا تضم النروج واسوج (السويد) والدانمرك وفنلندا وايسلندا وجزر فارو.

BERGEN TOURIST BOARD

سوق الفاكهة في بيرغن.

تاريخ حافل. يقع مرفأ فاغن الداخلي في محاذاة السوق، وهو قلب بيرغن النابض منذ القدم. وتهيمن على المكان سفينة بيضاء منصوبة الاشرعة هي "بارجة القيادة" في أسطول بيرغن منذ العام ١٩٢٢. أما بقية المنظر فحديث: مراكب صيد ويخوت وزوارق مطلية بالازرق والابيض وسفن شحن تفرغ حمولتها على الرصيف. وقرب مدخل المرفأ رُبطت باخرة سياحية بيضاء كبيرة ترفرف على متنها أعلام ومظلات شمسية. وتظهر معدِّية صغيرة تنزلق على الماء وتعبر المرفأ. ومن حين الى آخر تنقضّ طائرة مائية وتحط وسط الزبد والرذاذ بعيداً عن المرفأ.

لقد تغيرت السفن من دون شك، لكن مرفأ بيرغن الداخلي كان دائماً على هذه الحال منذ القرن الرابع عشر، حين أسس التجار القادمون من شمال المانيا مستعمرتهم وجعلوها أحد أعظم المراكز التجارية في أوروبا. وتعاقبت الحروب على بيرغن والتهمتها النيران مراراً، لكن اولئك التجار القدماء كانوا ليتعرفوا عليها لو أتوها اليوم. فعند مدخل المرفأ تشمخ قلعة بيرغنهوس، وعلى طول الرصيف الشمالي تنتصب أبنية الـ"بريغن" ذات السطوح المثلثة وهي ما تبقى من مكاتب التجار الروّاد.

وثبتت بيرغن على هدفها. فهي مرفأ ناشط وعنيد يعتدّ بماضيه ويتلهف الى التطور المفيد. وتخضع كل صغيرة وكبيرة في المرفأ لمراقبة حركة "المجتمع المفيد" التي تأسست عام ١٧٧٤ وأخذت على عاتقها الدفاع عن استقرار المدينة والمحافظة على طرازها وشرفها المعماري.

دماثة الاهل. ذات صباح، فيما كنت واقفاً في متحف بريغنز الذي يعتبر أحد أجمل المتاحف الصغيرة في أوروبا، دلني القيّم على رجل أشيب يرتدي سترة ضيقة ويتمشى خارجاً. كان ذلك المعماري أويفند مورسيت مهندس المتحف. وصدمني أنه لم يلقِ نظرة طويلة على ابداعه، فسألني القيم: "وماذا تنتظر منه بعد؟ فهو يمر من هنا كل يوم."

الجميع في بيرغن يعرفون بعضهم بعضاً. وللمدينة طابع ريفي قروي يصعب توقعه في وسط اوروبا الغربية. فهي مكتفية بموقعها في أحضان البحر والجبال.

وتفخر المدينة بقاعتها الموسيقية الرائعة حيث تقام احتفالات وتعزف أجمل السمفونيات. ومطاعمها لطيفة تقدم الدجاج والسمك وسوى ذلك من الاصناف. وفي المدينة مسرح كبير تعج أروقته بلوحات زيتية من الفولكلور المسرحي، وفيها سادة بقبعات حرير عالية يصطحبون سيدات يرتدين الاطلس البراق.

وتصدر في المدينة ثلاث صحف يومية. وفيها جامعة تضم أبرز مدرسة لادارة الاعمال في اسكندينافيا. وتكثر النصب التذكارية التي تكرم أبطال المدينة ورجالاتها.

ولا تخلو بيرغن من الملاهي والاندية، غير أن أسلوبها هو غالباً محافظ ووقور. ويقال ان سكانها سريعو البديهة، لكنهم متحفظون مع الغرباء، حتى انهم عندما يثنون على أحد يأتي ثناؤهم غاية في الدماثة. ذات يوم كنت أسير في طريق معتمراً قبعة صفراء من وبر فقال لي أحدهم: "في قبعتك أشعة شمس."

ولا يتخلى سكان بيرغن عن تحفظهم الا بعد حين، لكن المرء سرعان ما يشعر بأنهم عرفوه وقرروا ضمناً انه جدير، أو غير جدير، باحترام مدينتهم.

ذلك لأن المعايير الاخلاقية في بيرغن رفيعة جداً، وقائمة عظمائها طويلة تثير الاعجاب. هنريك ابسن نفسه تعلم مهنة المسرح في هذه المدينة. وعاش فيها الموسيقي ادفارد غريغ، وما من مكان يضاهي منزله تعبيراً عن جوهر المدينة، وهو مفتوح للزوار. انه غير مبهرج، بل عائلي مريح مليء بالتحف والطرائف ومنعزل وسط حدائقه. وبين الاشجار كوخ خشبي فيه موقد حديد كبير وطاولة قديمة كان المؤلف يجلس اليها لكتابة الحانه. ويا للافكار التي كانت تتسلل اليه عبر الاشجار، من الزقاق البحري الساكن أمام نوافذه، ومن الهضاب المشجرة الشامخة خلفه!

قد تكون بيرغن مدينة تجارية، لكنها رومنطيقية أيضاً. وقد تكون اغتنت بتجارتها، لكنها عاشت ذروة مآسي الشمال وصراعاته.

ان عظمة موقع بيرغن وعمق مدلولها القديم، وتاريخها، كلها عوامل تضافرت لتجعل منها مصدر الهام.

ابنة الجبال. قد تبدو لك المدينة من

خلال نافذة فندق متقوقعة منطوية على ذاتها، لكنك مع مرور الايام ستجدها مثيرة جداً. فأشباح عظماء القباطنة ترافقك في النزهات. ويذكرك هذا الوجه الذي تراه في الشارع، أو هذه الانحناءة فوق مركب راس، بأن هذا هو ساحل الفايكنغ.[٢] وتدرك أن نصف الرجال في بيرغن كانوا ملاحين تجاراً، وأن مدينتهم التي بدت لك معزولة هي في الواقع على اتصال بجميع أقطار العالم.

الغرب؟ قد لا تعثر على امرىء ليس له أقارب في ولاية مونتانا الامريكية.

الشرق؟ يحدثك أولاف نيلسن عن مدينة كالكوتا الهندية طوال النهار. وبعض سكان بيرغن يتكلمون الانكليزية باتقان بات نادراً حتى في بريطانيا. ويشهد الشتاء نزوحاً جماعياً لمعظم المدينة الى الاراضي الشتوية في الجنوب.

فاذا بدا ذلك الجدار الجبلي في الشرق سوراً واقياً، ففي الغرب يُرى مدى أزرق خلف مدخل الميناء. صحيح أن جزيرة طويلة تحدّ هذا المدى وتنتشر فيها بيوت زاهية الالوان، لكن هذه "البوابة" تغوي سكان بيرغن وتناديهم لارتياد أماكن غريبة بعيداً عن شوارعهم المرتبة.

تهب رياح البحر من الغرب ومعها تيار الخليج. وتنتصب قلعة برغنهوس منذ قرون رقيبة على السفن المبحرة غرباً. ان ابواق سفن الشحن وارتطام مراكب الصيد على المياه هي أصدق أصوات بيرغن.

ولانصاف هذا المكان الجميل العريق عليك أن تبحر على متن سفينة خارج فاغن، وتمر بالمستودعات العامرة ومربى السمك عند الرأس البحري، وبالجزر الكثيرة، لتجد نفسك أخيراً في البحر الواسع. عندئذ ستدرك ان عزلة بيرغن لم تكن الا وهماً.

تبدو الجبال خلفك كأنها تحتضن المدينة وتحميها، لكن المياه الطليقة أمامك مفتوحة على البحر وعلى الازقة الصخرية وبساتين الفاكهة في أولنسفانغ وتحت الجبال المكللة بالجليد وفي اتجاه عالم المياه الوامض في الشمال.

يان موريس ■

(٢) الفايكنغ محاربون اسكندينافيون غزوا شواطىء أوروبا بين القرنين الثامن والعاشر.

صاحبة ذوق

انتقلنا إلى منزلنا الجديد قبل الموعد المقرَّر، مما اضطرنا الى إبقاء قسم من الاثاث في الفناء الخارجي ريثما تكسى الارض بالسجاد. وكنت من حين الى آخر أراقب ممتلكاتنا من نافذة المطبخ. حتى اذا شارف النهار الانتهاء رأيت امرأة تتفحص الأثاث. فهرعت إليها لأعلمها بأن ما تراه ليس معروضاً للبيع، لكنها بادرتني قبل أن أتفوه بكلمة: "يبدو لي أن البضاعة الجيدة نفدت."

ن.هـ.

تأسست الاكاديمية الفرنسية قبل أكثر من ٣٥٠ سنة وما زال أعضاؤها يستلّون سيوفهم في وجه "الجهل والبربرية"

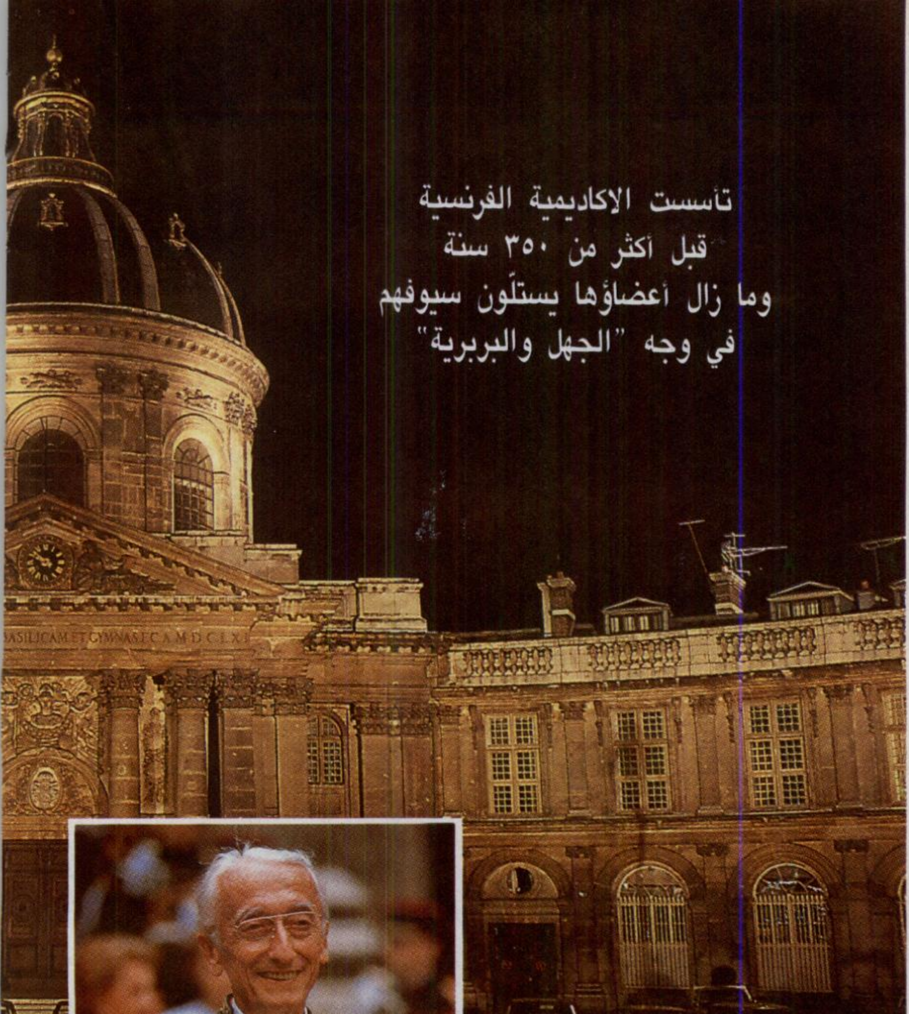

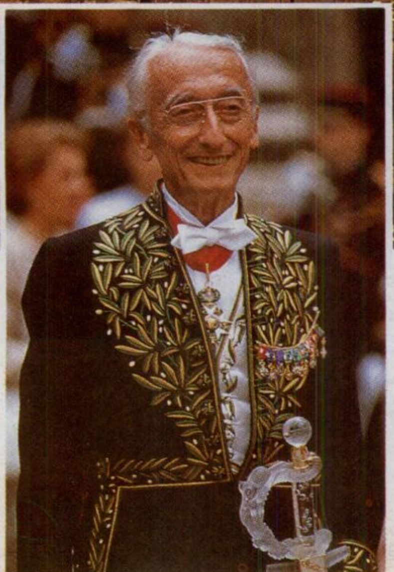

SYGMA / P. ROBERT

أمر البحرية جاك - ايف كوستو
مُنح عضوية الاكاديمية الفرنسية
في يونيو (حزيران) ١٩٨٩.

نادي العظماء

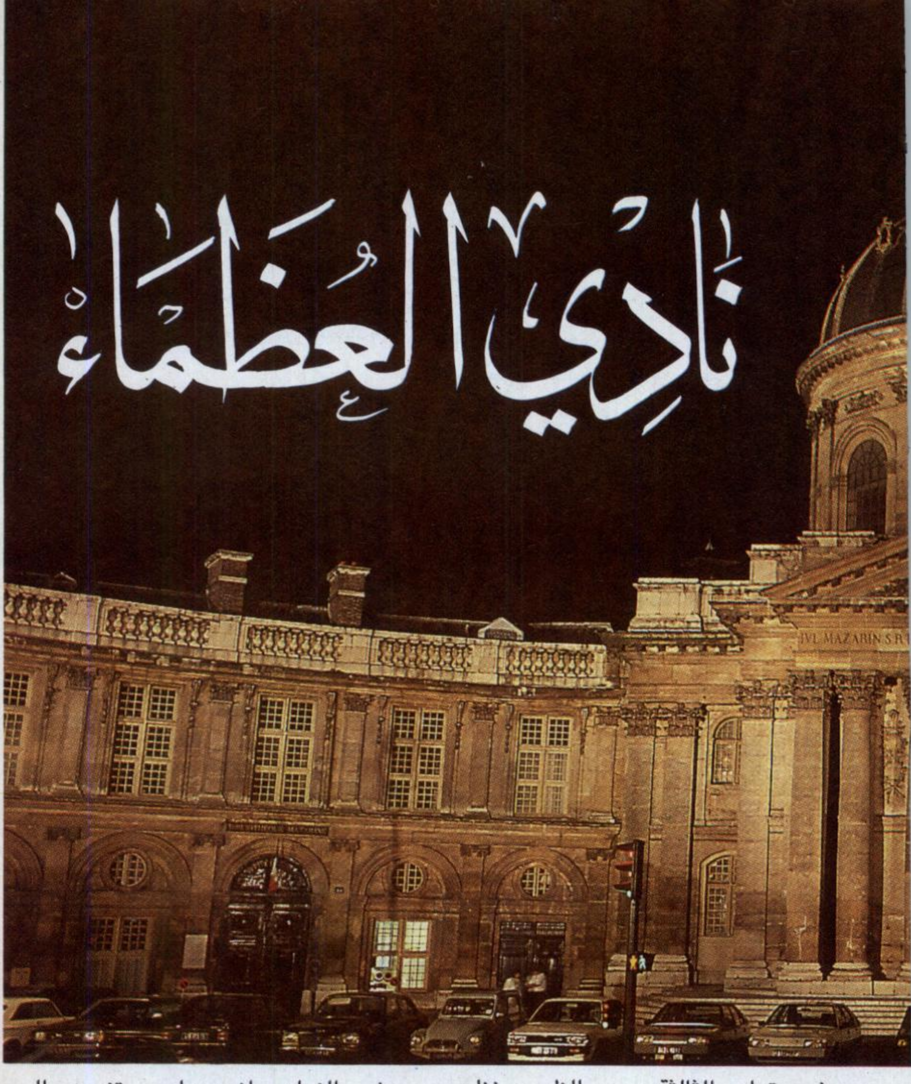

في تمام الثالثة بعد الظهر، نزلت مجموعة من السادة الوقورين سلماً ضيقة شديدة الانحدار في مبنى كبير مقبَّب يقع في قلب باريس. وهم ارتدوا في ذلك اليوم سترات رسمية طويلة مطرَّزة بأوراق زيتون خضراء، وتأبطوا قبعات مزينة بريش النعام. انحدروا مستندين الى "درابزون" السلم باذلين قصارى جهدهم كي لا يتعثروا بالسيوف المتدلية من أوساطهم والتي لامست ربلات أرجلهم.

وعندما وصلت المجموعة الى القاعة المقنطرة المبنية على الطراز الباروكي،

© 1990 BY JOSEPH HARRISS. CONDENSED FROM SMITHSONIAN (JANUARY '90), WASHINGTON, D.C.
PHOTO: EXPLORER / J.L. BOTTIN

علا صوت آمر: "قدِّم... سلاحك!" فرفعت ثلَّة من الحرس الجمهوري الفرنسي السيوف، بلباسها العسكري وقفازاتها البيضاء، فيما دوى قرع طبول داخل القاعة. ووقف المدعوون الذين قارب عددهم الاربعمئة تحت القبة في القاعة المستديرة ريثما جلس السادة كل في مكانه.

رجل واحد فقط ظل واقفاً أمام المقعد الثالث في الصف ما قبل الاخير، وبين يديه مخطوطة ضخمة. واسترسل طوال ساعة في سيل من الجمل السلسة الرنانة ممتدحاً سلفه الراحل. ثم جلس مستمعاً الى رد تضمن وصفاً لسيرته وأعماله هو.

وانتهى الاحتفال، وخرج الاعضاء والضيوف الى الباحة للتهنئة.

لقد اتبعت هذه الطقوس لأكثر من ٣٠٠ سنة في تنصيب أعضاء جدد في الاكاديمية الفرنسية. وورد في صحيفة "لو فيغارو" أن "هذه الاكاديمية هي الشاهد الاكبر على الحضارة الفرنسية. وما يجري تحت تلك القبة وثيق الصلة بتراثنا التاريخي والثقافي."

مجد وعظمة. منذ تأسست أكاديمية أفلاطون الاولى في أحد بساتين الزيتون في أثينا، أنشئت "أكاديميات" في بلدان كثيرة. لكن أكاديمية فرنسا المتجذرة في هوية الامة هي الاكثر خصوصية والاطول استمرارية والاصعب تفسيراً. فهي، بصرف النظر عن عملها في تأليف قاموس ما، مثلا، لا تخدم هدفاً منظوراً. لكنها تلبي حاجة فرنسية أساسية الى العظمة.

وأعضاؤها الاربعون يمثلون، رسمياً، نخبة الحضارة الفرنسية، وان تكن غالبية الفرنسيين غافلة عن السبب. ويقول موريس دروون[1] أمين سر الاكاديمية الدائم: "لها سلطة معنوية، مع أن أحداً لا يعرف مصدر هذه السلطة تماماً أو يستطيع تحديد الامور التي تخضع لها باستثناء المفردات اللغوية. الاكاديمية مفارَقة محض." لذا، لا عجب أن يجلَّها الفرنسيون الضنينون بالكماليات.

ومع ذلك فان الاعضاء الموقرين كانوا مثار سخرية على الدوام. ولقد هجاهم الكاتب ألفونس دوديه الذي لم تقبل عضويته قط، فقال فيهم: "انهم مجموعة من العجزة المقعدين الموهنين، أقدامهم ثقيلة وأرجلهم ضعيفة، وهم يطرفون بعيونهم كما تفعل حيوانات الليل." غير أن فلوبير، وهو أحد العظماء الذين لم يُنتخبوا لعضوية الاكاديمية، أشار بدقة ساخرة الى الموقف الحقيقي لمعظم الفرنسيين: "شَوِّهوا سمعتها دائماً، ولكن حاولوا أن تكونوا أعضاء فيها."

وهم يحاولون فعلا. ففولتير الذي كان على علاقة سيئة بالسلطتين السياسية والدينية، كان تواقاً الى الانتساب الى الاكاديمية، حتى انه نظم أبيات مديح للملك لويس الخامس عشر، وتبرأ من كتابة "الرسائل الفلسفية" الملحدة. وأخيراً انتخب عضواً في الاكاديمية عام ١٧٤٦ في محاولته الثالثة.

(١) Maurice Druon

وبدأ فيكتور هوغو "حملته الانتخابية" عام ١٨٣٤ وهو في السن الثانية والثلاثين. فتودد الى الأعضاء ممالقاً مداهناً بصفاقة واضحة. ورُدَّ طلبه أربع مرات، وقبلت عضويته أخيراً عام ١٨٤١.

قليلون، في الواقع، هم الذين يُختارون. فمن بين الكتّاب الكلاسيكيين لم ينتخب رينيه ديكارت بسبب انتقاله للسكن في أسوج (السويد). واعتبر بليز باسكال "مجرَّد" رياضي. ورفض موليير العدول عن مهنة التمثيل "غير النبيلة." أما اميل زولا فكرَّس "المرشح الفاشل" في القرن التاسع عشر، اذ تقدم ٢٤ مرة لعضوية الاكاديمية ولم يُقبل. فقد كان الاعضاء الهيّابون يكرهون واقعيته الادبية وموقفه من "قضية دريفوس."[٢] ورُفضت عضوية الروائي أونوريه دو بالزاك، ربما

(٢) الفرد دريفوس (١٨٥٩ - ١٩٣٥) ضابط فرنسي اتهم بالخيانة العظمى وشغلت قضيته فرنسا كلها.

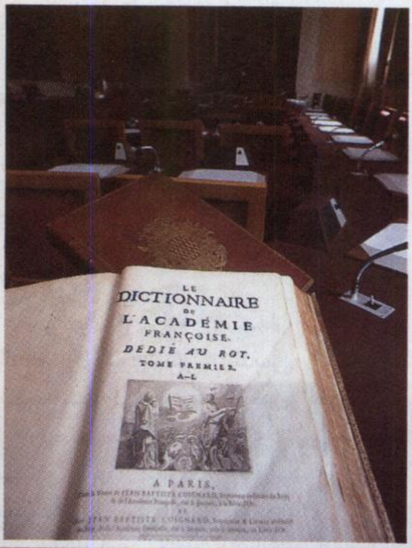

GAMMA / F. GUENET

GAMMA / APESTEGUY

(الى اليسار) تنقيح "القاموس" هو أحد مهمات الاكاديميين.
(تحت) جلسة قبول عضوية الكاتبة جاكلين دو روميي عام ١٩٨٨.

بسبب مشاكله المادية. وتقدم للعضوية مرة مرشح يملك كرماً في بورغندي، وكان يرسل الى كل عضو صندوق شراب كل سنة، فينال بعض الاصوات كل مرة، لكنها لم تكن أبداً كافية لانتخابه، وهكذا ضمن أعضاء الاكاديمية حصولهم على صندوق آخر في السنة التالية.

مهمة أولى. من يريد الانتساب الى الاكاديمية اليوم؟

"نحو خمسين مليون فرنسي فقط،" يجيب جان دوتور وهو عضو منذ العام ١٩٧٨ ومحرر صحافي ومؤلف لاذع له ٤٧ كتاباً.

ويضيف: "انه انتصار للعجرفة، الحافز الاقوى في النفس البشرية، وخصوصاً في فرنسا أرض الغرور."

ويضم جدول الاكاديمية اليوم أسماء تجلت فيها الموهبة الفرنسية، بدءاً بعميدها الروائي هنري تروايا الذي انتخب عام ١٩٥٩، وانتهاء بـ"الولد الجديد" الكاتب جوزيه كاباني الذي استُقبل تحت القبة في يونيو (حزيران) ١٩٩٠. أما في ما يتعلق بتعداد المواهب التي قدمتها الاكاديمية عبر السنين، فيشرح جان دوتور وجهة نظره بالآتي: "حسبت مرة عدد الرجال المتفوقين حقاً بين مجموع أعضاء الاكاديمية الـ٦٩٠ منذ تأسيسها، فأحصيت ٦٨، أي ما يقارب العشرة في المئة! ما من مجموعة في العالم حظيت، أو ستحظى، بهذه النسبة المرتفعة من النوابغ."

وسواء أكان الأعضاء نوابغ أم لم يكونوا، فهم اضطلعوا بمهمات كثيرة منذ نالت أكاديميتهم ترخيصاً من الكاردينال ريشيليو[٣] عام ١٦٣٥ "للعمل بكل ما أوتيت من عناية وجهد من أجل وضع قواعد صارمة للغتنا، وتنقيتها، وجعلها بليغة قادرة على تناول مواضيع الفنون والعلوم."

نكسة الفرنسية. رتّب الملك لويس الرابع عشر مقراً للاكاديمية الفرنسية في أحد أجنحة قصر اللوفر، ووهبها ٦٦٠ مجلداً من مكتبته الخاصة. وعندما أصر أحد الاعضاء، وكان رجل دين متقدماً، على أن مكانته تخوله الجلوس في كرسي بذراعين بدل كرسي مستقيم الظهر كسائر الاعضاء، أرسل الملك الى القاعة ٤٠ كرسياً مريحاً بذراعين. كان ذلك درساً مثيراً للعجب قدمه الملك في الديموقراطية.

وابان الثورة الفرنسية انقلب الرأي العام على الاكاديميـة، فألغيت في أغسطس (آب) ١٧٩٣، وقطعت رؤوس ثلاثة من أعضائها بالمقصلة، وانتحر اثنان، وتوفي ثلاثة آخرون في السجن. لكن نابوليون بونابارت الذي أدرك أن الرجال يسيَّرون بالتشريف والحفاوة والتكريم، اعاد احياء الاكاديمية وقدم اليها القصر الذي كان يشغله مازاران[٤]

(٣) ارمان ريشيليو كبير وزراء لويس الثالث عشر والحاكم الفعلي لفرنسا بين ١٦٢٤ و١٦٤٢.

(٤) جول مازاران (١٦٠٢ - ١٦٦١) كبير وزراء الملك لويس الرابع عشر.

وحضّها على اكمال "هندمة" اللغة.

لقد ثبت لنابوليون ولقادة فرنسيين لاحقين أن اللغة، في بلاد حيث الكلمات، غالباً، في قوة الافعال، هي بمثابة كنز وطني يجدر الاهتمام به وحمايتـه، وخصوصاً من هجمات اللغة الانكليزية. وجاء في خطاب حديث وجهه الرئيس فرنسوا ميتران الى الاكاديمية: "ان الانكليزية تتهدد الفرنسية اليوم، فهل يسع البلاد التي صنعت صاروخ آريان أن تخسر لغتها؟"

لا، قطعاً. ونتيجة للجهود المبذولة استعان المعلقون الرياضيون خلال دورة فرنسا المفتوحة في كرة المضرب عام ١٩٨٩ بكلمة «manche» عوضاً عن «set» للـدلالة علـى المجموعة، و«jeu décisif» عوضاً عن «tie break» للدلالة على جولة حاسمة. ومع ذلك عانت الفرنسية نكسة مذهلة في ذلك العام. فقد تبنت نشرة الحوليات "أنال"[٥] الصادرة عن معهد باستور، قلب الابحاث العلمية الفرنسية، عناوين انكليزية لأبحاث علم الاحياء المجهري وأبحاث الفيروسات وأبحاث المناعة.[٦] ودانت الصحافة الفرنسية "خيانة" أولئك الذين استسلموا "للهيمنة الانكليزية،" واستنكرت "هذا الحدث الرهيب الذي أذلّ هيبتنا الوطنية."

وللحفاظ على اللغة الفرنسية، يعمل الاكاديميون حالياً على النسخة التاسعة من قاموسهم الذي بدأوا اعداده عام ١٩٣٥، وقد وصلوا الآن الى الحرف «ا». ويتوقع أن ينتهي العمل على القاموس في أواخر القرن العشرين، وهو يضم ٤٥ ألف كلمة لا تشتمل الا على نحو ١٠ آلاف تعبير جديد. وجدير بالذكر أن قاموس "أوكسفورد" الجديد للغة الانكليزية يحتوي على ٦١٦٥٠٠ كلمة في ٢٠ مجلداً وقد أنجز خلال سبع سنوات.

ماذا يفعلون؟ يحضر قرابة نصف أعضاء الاكاديمية جلسات القاموس التي تعقد في الثالثة بعد ظهر كل خميس وتستمر ساعة ونصف ساعة. فيمضون هذه الاجتماعات جالسين الى طاولات مغطاة بنسيج البيز الاخضر، في مقاعد مستقيمة الظهور تحت صورة كبيرة لريشيليو. لكن أحداً لا يعلم تماماً ما يتخلل هذه الجلسات، اذ لا يسمح بدخول غير الاعضاء. وقد كتب فيكتور هوغو عام ١٨٥٠ وصفاً شهيراً لاحـدى هذه الجلسات: "السيد دوبارانت يقرأ كراسة، والسيـد ميريميـه يكتب، والسيدان دوسالفاندي وفيتيه يتكلمان بصوت عال، والسيدان غيزو وباسكييه يتهامسان. السيد تيسو غافٍ، وأنا أكتب هذه السطور."

أما اليوم فقد أصبحت جلسات القاموس حسنة التنظيم، اذ تعمل لجنة من المعجميين المحترفين على التعريف بالمفردات، وتتحقق لجنة مصغرة من النتائج ثم تقدِّم لوائح بالكلمات خلال جلسة مكتملة لنيل الموافقة الاخيرة.

(٥) Annales

(٦) Research in Microbiology, Research in Virology, Research in Immunology

وتقبل الكلمات الجديدة بغالبية الاصوات وتصبح "قوانين."

ولكن ثبت أن بعض الشروح مراوغ ومحير. ففي القاموس الاول عرَّف الاكاديميون كلمة "حب" (amour) بأنها "شغف جنسي." أما الآن فالحب "عاطفة عميقة تدفعنا الى التماس علاقة حميمة بانسان آخر." وعرِّفت "المرأة" (femme) في القرن التاسع عشر بأنها "الانثى، رفيقة الرجل." فتطور هذا التعريف لتصبح المرأة "انساناً من الجنس الانثوي."

والى عمل الاكاديمية على كبح انزلاق اللغة الفرنسية، فهي توزع أكثر من ٣٠٠ جائزة سنوياً يبلغ مجموعها نحو ٨٩٣ ألف دولار وتتناول حقلي الادب و"الفضيلة." ويزاول الاعضاء نشاطات خارج الاكاديمية. فالجامعات الفرنسية والاجنبية تدعوهم باستمرار الى المحاضرة والى تسلم شهادات فخرية. كما يُدعون الى مناسبات عدة كافتتاح مدرسة جديدة أو رفع الستار عن تمثال في ساحة مدينة أو اطلاق اسم كاتب شهير على أحد الشوارع، لان هذه المناسبات تتسم باعتبار أكبر اذا ظهرت فيها بزة رسمية خضراء وسيف احتفالي.

بزة وسيف. المهمة الرئيسية الثانية للاعضاء هي انتخاب عضوين جديدين، في المتوسط، يحلان محل عضوين يتوفيان كل سنة. والشرط الرئيسي الذي يجب أن يتوافر في الاعضاء الجدد هو أمر لا أعرفه أنا قطعاً. أما الشرطان الآخران فهما أن يكونوا فرنسيي الجنسية وقادرين على كتابة رسالة الترشيح. ولا سن معينة للانتساب، كما أن الشهادات العلمية غير ضرورية.

ولكن على المرشح كتابة رسالة بخط اليد الى كل من اعضاء الاكاديمية يلتمس اذناً بزيارته. وقد اعترف ادغار فور، أحد سياسيي فرنسا اللامعين طوال عقود، بأن ترشيحه لعضوية الاكاديمية كان أصعب الحملات الانتخابية التي ربحها، مضيفاً: "لم أشعر في حياتي بتوتر كالذي تملكني يوم كان هؤلاء العظماء يمارسون علي تأثيرهم." وأخبرني كلود ليفي - شتراوس العالم بالاعراق البشرية أنه كان يكره تلك الزيارات لانه كان يشعر بانفعال شديد قبل كل زيارة فيصل الى مقصده قبل نصف ساعة من الموعد وينتظر في الشارع، مضيفاً: "لكني أفهم مبررها. فالاكاديمية مثل نادٍ، وأعضاؤها يريدون الاطمئنان الى أن الداخل عليهم امرؤ حسن السيرة."

في السنوات الاخيرة كان الداخل امرأة مرتين. ففي العام ١٩٨٠ انتخبت الكاتبة مارغريت يورسونار عضواً بعدما صرح الرئيس الفرنسي السابق فاليري جيسكار ديستان بوجوب فتح ابواب الاكاديمية للنساء. أما الانثى الثانية فكانت جاكلين دو رومي وهي كاتبة بعيدة عن الاضواء اختصاصية بالادب الاغريقي الكلاسيكي، وقد انتخبت عام ١٩٨٨.

بعد الفوز بعضوية الاكاديمية يقوم العضو الجديد بزيارة مجاملة لرئيس الجمهورية الفرنسية في قصر الاليزيه. أما الواجب الثاني الذي يتوق اليه العضو فهو التوصية على البزة الرسمية والسيف.

والبزة مصممة وفقاً لاوامر نابوليون، ويستغرق اعدادها ستة اشهر وتبلغ كلفتها نحو ١٨ الف دولار، بما فيها القبعة المردودة الى أعلى. وتحتكر دارا الازياء الرفيعة "لانفان" و"كاردان" اعداد هذه البزات، فضلا عن هنري نيتليش الذي يعدها بناء على طلب الزبائن. يقول نيتليش: "انني أجري ثلاثة قياسات للزبون، ثم أفكك اجزاء البزة وأجهزها للتطريز بأوراق الزيتون." ويضيف: "ليتك ترى عيونهم المشعة عندما يرتدون بزتهم المطرزة للمرة الاولى. فعندئذ يدركون فجأة أنهم باتوا حقاً أعضاء في الاكاديمية."

وتبلغ كلفة السيف نحو ٣٢ ألف دولار عادة، لكنها قد تراوح بين ١٨ ألفاً وأكثر من ٥٠ الفاً. وغالباً ما تنفِّذ دار "كارتييه" هذه السيوف التي تعتبر تحفاً فنية مثقلة بالرموز المستمدة من حياة أصحابها وأعمالهم. وبالنسبة الى بعض الاعضاء الجدد المتحمسين، يرمز السيف الى دور الاكاديمية في الدفاع عن اللغة الفرنسية. ويقول أحدهم: "لن أستلّ سيفي الا للدفاع عن لغتنا أمام هجمات الجهل والبربرية التي لا ترحم."

ويغلب على الظن أن اللغة الفرنسية ستستمر، لكنها قد تتغير بسرعة لا تتمناها الاكاديمية. وستستمر الاكاديمية، فمرونتها نابعة من طبيعتها الرمزية غير المحدَّدة. وقد لخَّص الشاعر بول فاليري ماهية الاكاديمية بالآتي: "نحن ما نؤمن بأننا هو، وما يؤمن الآخرون بأننا هو، لكننا، نحن والآخرين، عاجزون عن تحديد ما نحن تماماً."

جوزف هاريس ■

رقصة "ذئب"

لم يكن من قبيل المصادفة أن يراهن كيفن كوستنر بسمعته على الفيلم الملحمي "رقصات مع الذئاب" الذي أخرجه وشارك في انتاجه ومثل فيه دور البطولة. فلطالما أسرت كوستنر صورة رجل يمتطي حصاناً ويحمل كل متاعه في كيس نوم.

وخلال تصوير الفيلم الذي رشِّح لاثنتي عشرة جائزة "أوسكار"، نال منها سبعاً، كان كوستنر علي صهوة جواد يدير مشهداً لصيد الجواميس. فجمح جوادُ هندي واصطدم بالمخرج. فقذف كوستنر عن سرجه وطار في الهواء. ويذكر مايكل بلايك كاتب سيناريو الفيلم: "سقط كوستنر على الأرض بقوّة وتدحرج ككيس حنطة. ولو كان أحد الجواميس خلفه لقتل دوساً."

حبس الجميع أنفاسهم، فيما استوى كيفن على قدميه ونفض الغبار عن ثيابه وامتطى جواداً آخر وتابع عمله من دون أن يتفوّه بكلمة.

ا.د.

ما أحلى الاسترخاء في حوض ساخن!

متعة لذيذة تعيد اللحمة الى أجزائنا المبعثرة

اعتدت أن أرحل مع زوجي كل عام الى جزيرة ساحلية حيث لا طرق معبدة ولا اشارات سير ولا حانات ولا صالات سينما. فنمكث في نزل يُقدَّم فيه الطعام بطريقة عائلية حميمة، إذ يجلس جميع النزلاء الى مائدة واحدة كبيرة ويخدمون أنفسهم. وغرف النزل مضاءة بمصابيح الكاز. أما حوض الاستحمام في آخر الرّواق فأثر قديم باقٍ، له سدادة علقت بسلسلة وحنفيتان (صنبوران) من النحاس بشكل دولابين.

وقعت في هوى هذا الحوض من النظرة الأولى. كنت أعاني صداعاً ودواراً من وهج شمس الظهيرة. لكن رؤية الحوض في تلك الغرفة المظلمة المعتدلة البرودة هدهدت توتري فانساب عني مثلما ينزلق الرمل عن حبيبات الذهب في وعاء المعدن. طرقت البورسلين الصافي بمفاصل أصابعي، فأجابني رنين جهير. وفتحت حنفية الماء الساخن، فتصاعدت غمامة بخار كأنها دخان حمم بركانية. ثم أضفت بعض الماء البارد وحركته، ونزلت الى الحوض بحذر. فلفني بحر هادىء كسكون الرحم. وكان لدي وقت لأتأمل طبعات "أقدام" الشمس على الأرض، وأصغي الى خَبْط قارب بعيد، وأتذوق رذاذ البحر المالح. أحسستني آنذاك وحدة متكاملة جسداً وروحاً.

ان للاستحمام فعلا سحرياً، فالانسان يسبح في الماء داخل الرحم. وحين كنا

CONDENSED FROM AMERICAN HEALTH (OCTOBER '90), © 1990 BY RD PUBLICATIONS, INC., NEW YORK, N.Y.
ILLUSTRATION: WENDE CAPORALE

أطفالا كنا نمضي ساعات ونحن نلعب في حوض الحمام. لكننا كلما كبرنا فقدنا صلتنا بهذا الجزء الأساسي من ذواتنا.

يعتبر الاستحمام غالباً مجرد وسيلة لنزع الأوساخ، "دوشاً" سريعاً يستغرق ثلاث دقائق. لكن الاستحمام في نظري لا يقتصر على تنظيف الجسم، كما لا تقتصر وجبة طعام جيدة على ملء الجسم وقوداً. فالاستحمام، كالوجبة الجيدة، يجب أن يُتذوَّق ويُستساغ.

قد يبدو ذلك لوناً من ألوان الدلال والترف، لكنه لا يخلو من فوائد عملية. فالاستحمام يدفئك حتى النقْي* في يوم بارد. وهو يزيل آلام الظهر ويليّن العضلات المشدودة.

في الماضي القديم كانت الحمّامات الدافئة وسيلة للاسترخاء والتفكير والمتعة. ويقال ان الملكة في بريطانيا خلال القرن التاسع عشر، حيث لم تكن النظافة تستدعي الاهتمام، كانت تستحم مرة في الشهر "سواء احتاجت الى ذلك أم لا." وكان بنجامين فرنكلين أحد أوائل من اقتنوا حوض استحمام في أمريكا. وكان يستمتع بالقراءة وهو ممدد في الماء.

واكتمل اعجابي بحوض الاستحمام خلال زيارتي اليابان، حيث تُجَلّ طقوس الاستحمام الى حد لا يصدق. ويحتل المغطس (الحوض) في اليابان نصف مساحة الحمام، وهو صندوق مربّع مبطّن بقطعة سميكة من المطاط، يُملأ ماء ساخناً جداً. وويل للغريب الساذج الذي يفرغ المغطس من الماء أو يغتسل فيه بالصابون! ففي اليابان، على المرء أن يغتسل تحت الـ"دوش" قبل دخول المغطس، مستعيناً بجهاز يدوي معلق على الحائط. ولهذه الغاية تركَّب مصاف في وسط أرض الحمام لتصريف الماء الجاري من الدوش. ويبقى المغطس نظيفاً من الصابون، فيستعمل ماؤه تكراراً.

واصطحبتني صديقة يابانية الى ينابيع مياه حارة قرب أوموري على القمة الشمالية لجبل هونشو، وقالت لي: "ان الماء الحار يساعد على صفاء الذهن واسترخاء الجسم." وكم كانت محقة! فقد خرجت من الينابيع وكأنني استمتعت برقاد عميق، على رغم أني لم أتحمل سخونة الماء الا في الحوض الضحل المخصص للأطفال.

وسرعان ما أدركت لماذا يحب اليابانيون الاستحمام. فبعد الانتقاع طويلا في الماء الساخن نعم صوتي وتباطأ تنفسي وبات أعمق. وداعب الهواء العليل بشرتي برفق كما يلامس النسيم الحشائش قرب البحر. فاسترخيت بلا كسل. واستغرقت في تأملات كأنها حقائق. لقد عثرت على أجزائي المبعثرة وأعدت لحمتها... بالوقت وبالماء الساخن.

سوزان شازان ■

(*) النقي هو مخ العظم.

الحميّة النباتية تشفي أمراض القلب

هل تعانون انسداداً في الشرايين التاجية؟ هل تريدون تفادي مرض القلب؟ اطلعوا أولا على برنامج الدكتور أورنيش

لم يظهر تأثير المسار الذي اتبعه بوب فينيل في حياته الا عند بلوغه الثامنة والاربعين. فعام ١٩٨٥ أظهرت الفحوص الطبية انسداداً كاملا في اثنين من شرايينه التاجية، وانسداداً شبه كامل في شريان ثالث. كما تبيَّن له أنه أصيب في ما مضى بنوبة قلبية "صامتة." ولا غرو، فان فينيل سار على الطريق المألوفة التي تؤدي الى شفير الهلاك. فهو رئيس منظمة للخدمات في نيويورك، وقد اعتاد أن يعمل ساعات طويلة ويفوِّت الاجازات التي يستحقها من أجل الاحاطة بمسؤولياته على أكمل وجه. وهو يعترف: "كنت دائماً على عجلة من أمري، أركب سيارة أجرة للانتقال مسافة بضع مئات من الامتار، وأهرع الى المطار على عجل فأجري مكالمات هاتفية في اللحظات الاخيرة قبل الصعود الى الطائرة." وكان يضبط مشاعره ولا ينفِّس كربه.

لم يكن فينيل من المدخنين، وكان ضغط دمه طبيعياً. لكنه أحب الاجبان الدسمة. وزادت بدانته ١٨ كيلوغراماً على الوزن الطبيعي، وارتفع معدل الكولسترول في دمه. ونصحه أطباء القلب بالخضوع لجراحة مجازية[١]، لكنه رفض

(١) Bypass surgery. وهي جراحة في شرايين القلب.

«DR. DEAN ORNISH'S PROGRAM FOR REVERSING HEART DISEASE,»
COPYRIGHT © 1990 BY DEAN ORNISH, M.D., PUBLISHED BY RANDOM HOUSE, INC., NEW YORK, N.Y.

اقتراحهم مصراً على أن "ثمة حلا آخر ولا شك."

في تلك الاثناء، كان هناك سعي في كلية الطب بجامعة كاليفورنيا في سان فرنسيسكو وفي مركز "باسيفيك برسبيتاريان" الطبي، يقوم به الطبيب الشاب دين أورنيش (٣٧ عاماً) من أجل "تجنيد" مرضى لمعالجة جديدة للقلب.

وكان أورنيش، خلال دراسته الطب في جامعة "بايلور،" درس تفاصيل الجراحة المجازية، وتوصل الى أن هذه الجراحة عالجت الاعراض ولم تتوخَّ معالجة الأسباب.

ويشرح الدكتور أورنيش رؤيته الشخصية لهذه الجراحة: "انها بمثابة تنظيف الارض من مياه بالوعة فائضة من دون اقفال الحنفية (الصنبور). فبعض مرضانا يعودون الينا بعد خمس سنوات من الخضوع لجراحة مجازية وقد عاودهم المرض، فنجري لهم جراحة مجازية أخرى."

ولم تجدِ التقنيات الطبية الجديدة الاقل قساوة في تغيير رأي أورنيش. ففي عملية تقويم الشريان التاجي[2] ينفخ بالون مولج في قثطرة (ميل) داخل شريان منسدّ لفتحه.

ويلاحظ أورنيش: "ان ثلث الشرايين التي تفتح بهذه الطريقة تعود الى الانسداد بعد ستة أشهر."

وثمة خيار آخر يقوم على تناول أدوية لخفض الكولسترول قد تكون باهظة الكلفة. فالمرضى الذين يتعاطون هذه الادوية قد يخفضون احتمالات الوفاة بمرض القلب. ولكن في بعض الحالات قد تكون لهذه الادوية تأثيرات جانبية سلبية.

ويقول أورنيش: "باعتمادنا هذه التقنيات ينتهي بنا الامر الى مقايضة مجموعة من المشاكل بأخرى. وأنا أردت معالجة أسباب مرض القلب."

متطوع أول. معروف أن النهج الغذائي والتدخين وعوامل أخرى في نمط الحياة هي السبب الاساسي لكثير من أمراض القلب. وقد أمل أورنيش التوصل الى معرفة ما اذا كان تغيير نمط الحياة لا يوقف استفحال مرض القلب فحسب، بل يمكن أن يشفيه. كانت فكرته ثورية، اذ انٍ الرأي التقليدي السائد قضى بتعذُّر توسيع الشريان التاجي "المخنوق" بالصفائح (اللويحات)[3] الا بطريقتي الجراحة والبالون.

لم يلق أورنيش في البداية الا مناصرة قليلة. ورفض "المعهد الوطني للقلب والرئة والدم" ومؤسسات أخرى منحه هبات لاجراء أبحاث. لكنه حصل من متبرعين فرديين على مساعدات ضئيلة لبدء أبحاثه. فاتخذ مقراً رئيسياً في بلدة سوساليتو قرب سان فرنسيسكو مع الدكتورة شيرلي براون والباحثين النفسانيين لاري شيرفيتز وجيم بيلينغز. وفي سبيل تأمين مرضى لاختباراته، عمد الى تطويع أولئك الذين أجري لهم تخطيط

(٢) Coronary angioplasty

(٣) Plaques

حديث للاوعية التاجية[٤] من طريق صور بالاشعة السينية تظهر حجم الاصابة بمرض القلب تحديداً. وتفادياً للمحاباة والتحيز كان أحد الاحصائيين يفرز المرضى عشوائياً إما في مجموعة الاختبار واما في مجموعة مقارنة عملت بتوصيات أطبائها في شأن الغذاء وتغيير نمط الحياة.

وكان بوب فينيل بين أوائل المرضى المتطوعين. فطلب اجازة للتغيب عن عمله في نيويورك، وانتقل الى غرب الولايات المتحدة في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦. فعيّن هو و٢٧ مريضاً غيره في مجموعة الاختبار، فيما عيِّن ٢٠ آخرون في المجموعة المقارنة. وضمّت المجموعتان ٤٣ رجلا وخمس نساء راوحت أعمارهم بين الحادية والاربعين والحادية والسبعين، وجميعهم يشكون من مرض قلبي خطير.

أطلق شيرفيتز على الدراسة عنوان "اختبار تأثير نمط الحياة في القلب."[٥] وكانت القواعد الاجرائية للمجموعة الاختبارية سهلة: على كل مدخِّن التوقف عن التدخين، وسيتناول الجميع غذاء نباتياً يحتوي على كمية متدنية من الدهن، ويحظر تناول اللحوم والدجاج والسمك. ولا تقييد للوحدات الحرارية (كالوري)، ولكن حُدد استهلاك الكولسترول بخمسة مليغرامات في اليوم، وحددت الوحدات الحرارية المستمدة من الدهن بعشرة في المئة من مجموع الغذاء، وحظر الكافيين والجبن ومحّ البيض (الصفار). وضمَّت قائمة الطعام الفاكهة والخضر وزلال البيض (البياض) والحبوب والبقول والمعكرونة والحليب المقشود واللبن الخالي من الدسم والسوائل العشبية (الزهورات). وسمح بمقدار قليل من السكر، ومُنع الملح عن ذوي ضغط الدم المرتفع.

وأوصي المشتركون بالمشي نصف ساعة أو ساعة يومياً، ثلاث مرات في الاسبوع. وبما أن العوامل النفسانية تؤدي دوراً رئيسياً في مرض القلب، فقد تضمّن برنامج مجموعة الاختبار تقنيات للاسترخاء الفكري وتخفيف الاجهاد.

وبعد دورات تدريب استمرت أسبوعاً، عاد المتطوعون الى منازلهم على أن يجتمعوا مرتين في الاسبوع. وحفظ كل منهم سجلا بكل ما يتناوله من طعام وبالتمارين التي يمارسها ووسائل تخفيف الاجهاد التي يتّبعها.

ونشر أورنيش حصيلة دراسته في كتاب جديد بعنوان "برنامج الدكتور دين أورنيش لشفاء مرض القلب."[٦] وكان ستة مرضى من المجموعة الاختبارية لم يستكملوا الاختبار. ومن بين الاثنين والعشرين الباقين، أظهر ١٨ (أي ٨٢ في المئة) تحسناً في انسداد شرايينهم التاجية بعد مرور سنة. ولم يبدُ على ثلاثة آخرين أي تغيير مهم. وساءت حال مريض واحد، ويقول أورنيش: "ذلك

(٤) Coronary angiopraphy

(٥) Life - Style Heart Trial

(٦) Dr. Dean Ornish's Program for Reversing Heart Disease.

الشخص لم يتابع البرنامج بحذافيره."

وفي المجموعة المقارنة تخلف مريض عن الاشتراك، وساءت حال عشرة من التسعة عشر الباقين الى حد مقلق، ولم يظهر تغيّر ملحوظ في حال ثلاثة منهم. وازداد الانسداد في شرايين مرضى مجموعة المقارنة بمعدل ٨ في المئة.

واللافت أن ستة من مجموعة المقارنة حصل لديهم ارتداد ملحوظ في مرض القلب عزاه أورنيش الى التغيير الذي طرأ على نمط حياتهم، ملاحظاً أنهم "ضاعفوا التمرين وخفضوا كمية الدهن والكولسترول في طعامهم."

بداية شفاء؟ لفتت نتائج اختبار أورنيش انتباه الاسرة الطبية. ويقول الدكتور ألكسندر ليف الرئيس السابق لدائرة الطب الوقائي في كلية الطب بجامعة هارفرد: "لدينا الآن للمرة الاولى دراسة علمية دقيقة تشير الى امكان انحسار هذا المرض، حتى في مراحله المتقدمة، من طريق تغييرات في نمط الحياة. ان هذه الدراسة لحدث مهم حقاً في تاريخ الطب."

في هذه الاثناء حفزت اكتشافات أورنيش "المعهد الوطني للقلب والرئة والدم" ومؤسسات خاصة على تقديم منح سخية اليه لمتابعة أبحاثه والتوصل الى معرفة ما اذا كان ارتداد مرض القلب دائماً ومستمراً. وثمة أدلة الآن على أن الارتداد سيستمر. فالمريض بوب فينيل الذي كانت الانسدادات في شرايينه الاسوأ بين أفراد المجموعة الاختبارية، شعر "بتحسنات هائلة" في السنة الاولى و"بتغيرات أهم في السنتين الثالثة والرابعة." وقد أثبتت الفحوص الطبية صحة كلامه.

ولما كانت بعض الانسدادات أكثر خطورة، اذ تراكمت خلال سنوات وباتت أكثر تكلساً، فقد اعتقد أورنيش أن ارتدادها سيكون أصعب. غير أنه، لدهشته، وجد أن معظم الارتدادات حصلت في هذه الحالات. فقد تقلّص معدل الانسداد في المجموعة الاختبارية بنسبة ٥،٥ في المئة، لكن الحالات الأشدّ حدّة تراجعت نحو ٩ في المئة. ويلاحظ أورنيش أن "الارتداد، وإن يكن خفيفاً في حالات الانسداد الحادة، يمكن أن يؤدي الى تحسن كبير في مجرى الدم."

ومن اللافت أيضاً انخفاض تواتر نوبات ألم الصدر لدى مرضى أورنيش بنسبة ٩١ في المئة، وتحقق ذلك لدى معظمهم خلال الاسابيع القليلة الأولى. وكان فيرنر هيبنشتريت (٧٦ عاماً) أكبر المشتركين سناً، وكان في بداية الاختبار يعجز حتى عن الحلاقة من دون أن يعتريه ألم ذبحة في صدره. وهو يقول: "صرت الآن قادراً على القيام بنزهات طويلة تستمر بين أربع وست ساعات." وبدلا من تناول نحو ٢٥ قرص دواء يومياً، انحصر دواؤه بحبة أسبيرين للاطفال كل يومين.

واكتشف أورنيش أيضاً أن مستوى الكولسترول في دم الفرد قد لا يكون في

أهمية استهلاك الكولسترول والدهن. وقدَّر أن مستويات الكولسترول دون ١٥٠ مليغراماً في كل مئة مليليتر، هي المطلوبة لحدوث الارتداد. لكن أحد المرضى ويدعى روبرت رويال (٥٥ عاماً) تميز بمستوى مرتفع جداً من الكولسترول بسبب عامل وراثي، فلم تخفض الحمية القاسية هذا المستوى الا الى ٢٦٠، وهي درجة ما زالت تنطوي على خطر كبير. لكن مرض القلب تراجع لدى رويال، كذلك لدى مـريض آخر لم ينخفض مستـوى الكولسترول في دمه دون الـ٢٠٠. وذلك يؤكد نظرية أورنيش أنه، خطوة أولى، يتعين على ذوي المستويات المرتفعة من الكولسترول اعتماد نظام حمية وتغييرات أخرى في نمط الحياة، وليس المبادرة بتناول أدوية لخفض الكولسترول.

سباق الى الموت. على رغم اكتشاف مبلغ أهمية الحمية في تحسُّن حال القلب، فان أورنيش يؤكد أن دراسته عززت نظريته القائلة بأن مرض القلب هو أكثر تعقيداً مما نظن. ويشير الى أن عوامل الخطر التقليدية المعروفة لا تفسر لنا الا نصف الاسباب التي تؤدي الى مرض القلب، وواضح أن ثمة "أمراً ما غير تلك الاسباب،" وهو يعتقد أن العامل الاكبر في ذلك "الامر الآخر" قد يكون الاجهاد.

وظهر دليل على ذلك لدى المريض الوحيد الذي مات ضمن الدراسة، وقد دعاه أورنيش "سام."

كان سام في التاسعة والاربعين، وهو أخبر أورنيش أنه رياضي عالمي اشترك في سباقات العدو والمشي وركوب الدراجات الهوائية وفي احدى دورات الالعاب الاولمبية. وذات يوم، بعد سباق في العدو، أحس سام ألماً في صدره عاوده تكراراً. وأظهرت الفحوص انسداداً في شرايين تاجية عدة لديه.

بعد عملية "بالون" فاشلة انضم سام الى برنامج أورنيش وتقيَّد بنظام الحمية النباتي، فهبط معدل الكولسترول لديه من ٢٩٤ الى ١٢١. ولكونه نزّاعاً الى التنافس، طلب منه أورنيش أن يعزف عن أي منافسة طوال فترة الاختبار. إنما بعد عشرة أشهر من انخراطه في البرنامج خاض "سباق" تجذيف مع منافسين آخرين على شاشة فيديو داخل قاعة تسلية. فكان كلما أسرع في التجذيف تقدَّم على منافسيه. وبعد ساعة أعلن بافتخار أنه أنهى السباق متقدماً رفيقيه بأشواط. ولم تنقض لحظات حتى أصيب سام بنوبة قلبية وفارق الحياة.

وعلم أورنيش بعد ذلك أن سام لم يكن رياضياً أولمبياً كما ادعى. وهو كتب في تقريره: "في ما خصّ سام، لم يحدث الاجهاد من جراء التمرين، بل من نزعته التنافسية الحريصة على الفوز."

وتابع أورنيش: "كانت وفاة سام درساً مأسوياً قاسياً لي، اذ أدركت أننا لسنا في حاجة الى تغيير نمط السلوك في الغذاء والتمرين فحسب، بل يتعين علينا أيضاً أن نولي جذور هذا السلوك اهتمامنا."

مديرو المشروع مجتمعون بالمجموعة الاختبارية: (من اليسار) جيم بيلينغز والدكتوران دين أورنيش وشيرلي براون.

ان بعض الانماط السلوكية الخطيرة، كنفاد الصبر والرغبة في انجاز عملين أو أكثر في وقت واحد، لا تبدو مرتبطة بمرض القلب. لكن غيرها مرتبط به. وقد استنتج أورنيش من بحث أُجري في جامعة "ديوك" أن التصرفات "الأكثر سُمِّية" للقلب هي العِداء والتشكيك والتفكير المهموم في الذات.

يقول أورنيش: "لا يمكننا ازالة الضغط من حياة الناس، ولكن يمكننا تلطيف تأثيره بتحسين ردود فعلهم ازاءه."

أدرج أورنيش رياضة اليوغا ضمن برنامجه الهادف الى معالجة الاجهاد، وهي تتضمن الخضوع لنظام استرخاء من طريق تمارين التمطّي والتنفس، مع "رياضة" التأمل. وهو يحدد التأمل بأنه "تركيز العقل فترة من الوقت على صوت أو كلمة أو صلاة، وهذه وسيلة لتهدئة العقل والجسم ولاختبار سلام داخلي." وقد أظهرت دراسات كثيرة أن التأمل يخفض ضغط الدم.

استغرقت معالجة الاجهاد في برنامج أورنيش الاختباري قرابة ساعة يومياً. وأفاد معظم المشتركين عن تحسن كبير في قدرتهم على احتمال الاجهاد.

هل البرنامج عملي؟ لا يرقى شك الى الاصالة العلمية لدراسة أورنيش. لكن ثمة مشككين في النتائج. ويقول الدكتور هنري غنزبرغ وهو أستاذ طب في جامعة كولومبيا وعضو في لجنة التغذية في "الجمعية الامريكية للقلب": "ان النتائج التي أسفرت عنها دراسة أورنيش صحيحة وتنطبق على الذين شملتهم الدراسة. ولكن في غياب دراسات شاملة لا يمكن الجزم بأن هذه النتائج تنطبق على الناس جميعاً. وجوهر القضية هو تطبيق النتائج عملياً على الجميع. ولا أعتقد أن معظم الناس سيرغبون في اتباع نظام أورنيش أو سيقدرون عليه."

وقد لمحت "الجمعية الامريكية للقلب" الى أن نظام أورنيش غير عملي وأنها لن تعدّل توصياتها الحالية في شأن الغذاء. وتدعو الجمعية الى خفض كمية الكولسترول المستمدة من الدهن الى حدود ٣٠ في المئة من مجموع الكولسترول الذي يدخل الجسم، بدلا من العشرة في المئة التي يوصي بها أورنيش. (معلوم أن الدهن يشكل ٣٧ في المئة من غذاء المواطن الامريكي).

PHOTO: © ED KASHI

ويردّ أورنيش بالآتي: "لقد اتبع الناس برنامجنا مدة تزيد على خمس سنوات، والسبب هو شعورهم بأنهم أكثر عافية بعد اتباعه. ويخيل الي أن ثمة كثيرين ممن يرغبون في اجراء تغييرات شاملة في أنماط حياتهم. ولكن هناك أيضاً أشخاص لا يرغبون في ذلك، وأنا في هذه الحال لا أتردد في وصف الادوية والجراحة لهؤلاء الاشخاص."

ويرى أورنيش أن الانتقاد أخطأ الهدف، فيقول: "أردت بعملي اكتشاف التدبير الفاعل لا السهل. فالتوقف عن التدخين صعب، لكن ذلك لا يمنعنا من اسداء النصح الى الناس كي يتوقفوا عنه."

ويَعْجب أورنيش من الاشارة الى أن نظامه "راديكالي" متطرف، مع أنه ينطوي على خطر قليل وكلفة زهيدة، وخصوصاً متى اعتُبرت الجراحة المجازية وعملية البالون وتناول العقاقير القوية "معالجات قياسية عادية."

ويمكن اعتماد برنامج الدكتور أورنيش كمعالجة وقائية تتطلب نظاماً أقل قساوة من نظام ارتداد مرض القلب. فيقترح أورنيش لذوي الكولسترول المرتفع خفض استهلاك الدهن والكولسترول تدريجاً حتى بلوغ مستوى ١٥٠، وادراج الرياضة في الحياة اليومية: "إمشِ الى عملك، أو تمشَّ بعد الغداء."

وتعلَّم أن تتدبر امر الاجهاد بتمارين التمطي والتأمل والتنفّس. وتمارين التنفس العميق سهلة التطبيق (يُدخل الهواء الى البطن حيث يُحبس قليلا ثم يُزفر ببطء) وتمكن تأديتها خلال النهار.

ويختم أورنيش "مرافعته" بالآتي: "ان فوائد البرنامج لا تقتصر على مرض القلب، بل قد تنطبق عملياً على أمراض أخرى. وكلما نمت معرفتنا بالمرض ازداد ادراكنا أنه ينجم غالباً عن مجموعة عوامل جسدية ونفسانية، ويتعين علينا أن نولي جميع هذه العوامل اهتمامنا."

وبوب فينيل شاهد على ذلك. فهو، وإن ظهر تحسن ملحوظ في قلبه، يعتقد أن التغيير الاعظم حدث في عقله وفكره. وهو يقول: "من الخطأ التركيز على التغييرات الجسدية فحسب، فالتحولات العقلية والعاطفية تفوقها أهمية. ولو قيل لي اليوم ان التشخيصات الطبية كانت مضلِّلة وأنني لست مصاباً بمرض القلب، لاتّبعت برنامج الدكتور أورنيش في أي حال. قد يكون البرنامج منحني حياة أطول، لكنه من دون شك منحني حياة أغنى."

جون بيكانن ■

النصيحة... مشكلة

المشكلة في النصيحة هي أن المرء لا يستطيع الحكم في جودتها أو سوئها حتى يعمل بها.

ف.ت.

دائرة المعارف

شعراء كثيرون تغنَّوا بجمال لبنان وطبيعته الساحرة. أما ونحن على ابواب الصيف الذي اشتُهر به هذا البلد، وتيمُّناً بمسيرة الخلاص التي تتجه به الى الأمن والسلام والطمأنينة، فاننا نثبت هنا بعض اقوال اولئك الشعراء، موردين ثلاثة اسماء بعد كل بيت، يكون احدها ناظمه. فليكتشف القارىء اسماء الشعراء، ثم يقرأ الاجوبة الصحيحة ويقيس مستواه.

١. وعقاب لبنان، وكيف بقطعها
وهو الشتاء، وصيفهن شتاء
(أبو تمام، وديع عقل، المتنبي.)

٢. يا ليتَ ذاك الارزَ كان شعارَنا
بثباته وتواشج الاعضادِ
(أمين تقي الدين، خليل مطران، عقل الجر.)

٣. لبنانُ تفعل بالحياة جنانُهُ
فعلَ الزلال بغلَّة الظمآنِ
(حافظ جميل، حافظ ابراهيم، معروف الرصافي.)

٤. تلفَّتُ من عليا دمشق ودونَنا
للبنان هضبٌ كالغمام المعلَّقِ
(البحتري، بدوي الجبل، أحمد الصافي النجفي.)

٥. سبحانَ من خبأ فيك الصفا
وسلَّ من قلب الصفا جدولَكْ
(بشارة الخوري، أمين تقي الدين، رشيد نخلة.)

٦. يا ثلجُ، قد هيجتَ أشجاني
ذكَّرْتَني أهلي بلبنانِ
(شفيق معلوف، ايليا أبو ماضي، رشيد أيوب.)

٧. الحسنُ فيك وهذه آياتُهُ
بجمال ربِّك اشرقَتْ مرآتُهُ
(بدوي الجبل، الجواهري، بولس سلامه.)

٨. وطنَ النجوم أنا هنا
حدِّقْ: أتذكرُ مَنْ أنا؟
(رشيد سليم الخوري، الياس فرحات، ايليا أبو ماضي.)

٩. يَرى المجوِّل في لبنانَ ناظرَهُ
في الغَوْر معنىً ومعنى في أعاليهِ
(عمر أبو ريشه، نزار قباني، شبلي الملاط.)

١٠. ذهب الارض، يعلمُ الله
ما يعدله غير تربةِ الاجدادِ
(توفيق بربر، شفيق معلوف، نعمه قازان.)

١١. لبنانُ والخلد اختراعُ الله، لم
يوسَمْ بأزْيَنَ منهما ملكوتُهُ
(محمد البارودي، أحمد شوقي، وديع سليمان.)

١٢. جاوَرَ الانجُمَ واحتلَّ السحابا
جبلٌ مهَّد للفردوس بابا
(بولس سلامه، عقل الجرّ، سعيد عقل.)

١٣. حسبتُ نفسي نزيلا بينكم فإذا
أهلي وصحبي وأحبابي وجيراني
(علي الجارم، حافظ ابراهيم، حافظ جميل.)

١٤. فاجعلوا في الأرز مقبرتي
وخذوا من ثلجه كَفَني
(محمد الهواري، داود عمون، نقولا بسترس.)

١٥. يا رسولَ السلام بين الأنامِ
نَحْنُ للحب والهوى والوئامِ
(نعمه قازان، نقولا فياض، الياس فياض.)

١٦. لِمَنْ بلدٌ ملء السفوح منازلُهْ
زواهٍ قُراهُ، مؤنقاتٌ خمائلُهْ
(عمر أبو ريشه، حافظ ابراهيم، أمين ناصر الدين.)

١٧. يسيرُ معي لبنانُ انى توجهَتْ
رِكابيَ لو يُغْني الخيالُ عن الحسِّ
(الياس فرحات، رشيد الخوري، جورج صيدح.)

١٨. لبنان منتجَعُ الحياة ومعقلُ
تتزحلق الآفاتُ عن أسوارِهِ
(وديع عقل، جبران، عمر أبو ريشه.)

١٩. لبنانُ، كم للحسن فيك قصيدةً
نثرتْ مباسمَها عليها الانجُمُ
(حبيب ثابت، بشاره الخوري، مخايل نعيمة.)

٢٠. قالوا: هنا لبنانُ، قلتُ: وهل سوى
لبنانُ ملعبُ صبوتي ومراحي؟
(علي الجارم، بدوي الجبل، نجيب ليان.)

الأجوبة الصحيحة

١. **أبو الطيب المتنبي** (٩١٥ - ٩٦٥): من كبار شعراء العرب، وُلد في كنده بالكوفة.

٢. **خليل مطران** (١٨٧١ - ١٩٤٩): شاعر وأديب لبناني، ولد في بعلبك.

٣. **معروف الرُصافي** (١٨٧٧ - ١٩٤٥): شاعر وأديب عراقي.

٤. **أبو عُبادة البحتري** (٨٢٠ - ٨٩٧): شاعر عربي طائي، ولد في منبج.

٥. **أمين تقي الدين** (١٨٨٤ - ١٩٣٧): شاعر ومحام لبناني، ولد في بعقلين.

٦. **رشيد أيوب** (١٨٧١ - ١٩٤١): شاعر لبناني، ولد في بسكنتا.

٧. **بدوي الجبل**: هو محمد سليمان الاحمد (١٩٠٥ - ١٩٨١) شاعر سوري ولد في ديفه في محافظة اللاذقية.

٨. **ايليا أبو ماضي** (١٨٨٩ - ١٩٥٧): شاعر لبناني من أدباء المهجر، ولد في المحيدثة وتوفي في نيويورك.

٩. **شبلي الملاط** (١٨٧٥ - ١٩٦١): شاعر لبناني، ولد في بعبدا.

١٠. **شفيق معلوف** (١٩٠٥ - ١٩٧٦): شاعر لبناني من شعراء المهجر، ولد في زحلة وتوفي في البرازيل.

١١. **أحمد شوقي** (١٨٦٨ - ١٩٣٢): من أشهر شعراء مصر والعالم العربي، ولد في القاهرة.

١٢. **بولس سلامه** (١٩٠٢ - ١٩٧٩): شاعر لبناني.

١٣. **حافظ ابراهيم** (١٨٧٢ - ١٩٣٢): شاعر مصري لقِّب "شاعر النيل."

١٤. **داود عمّون** (١٨٦٧ - ١٩٢٢): محام وأديب وشاعر لبناني، ولد في دير القمر.

١٥. **نعمه قازان** (١٩٠٧ - ١٩٧٩): شاعر لبناني من شعراء المهجر ومن العصبة الاندلسية. ولد في جديتا وتوفي في البرازيل.

١٦. **أمين ناصر الدين** (١٨٧٦ - ١٩٥٣): شاعر ولغوي وصحافي لبناني، ولد في كفرمتى.

١٧. **رشيد سليم الخوري** (١٨٨٧ - ١٩٨٤): لبناني من شعراء العروبة. ولد في البربارة وهاجر الى البرازيل. لُقِّب "الشاعر القروي."

١٨. **وديع عقل** (١٨٨٢ - ١٩٣٣): شاعر وصحافي لبناني، ولد في الدامور.

١٩. **بشارة الخوري** (١٨٨٥ - ١٩٦٨): شاعر لبناني، ولد في بيروت. لُقِّب "الاخطل الصغير."

٢٠. **علي الجارم** (١٨٨١ - ١٩٤٩): شاعر ومربِّ مصري.

المستوى

١٧ - ٢٠: ممتاز
١٣ - ١٦: جيد
٨ - ١٢: مقبول

اعداد وليم صعب ■

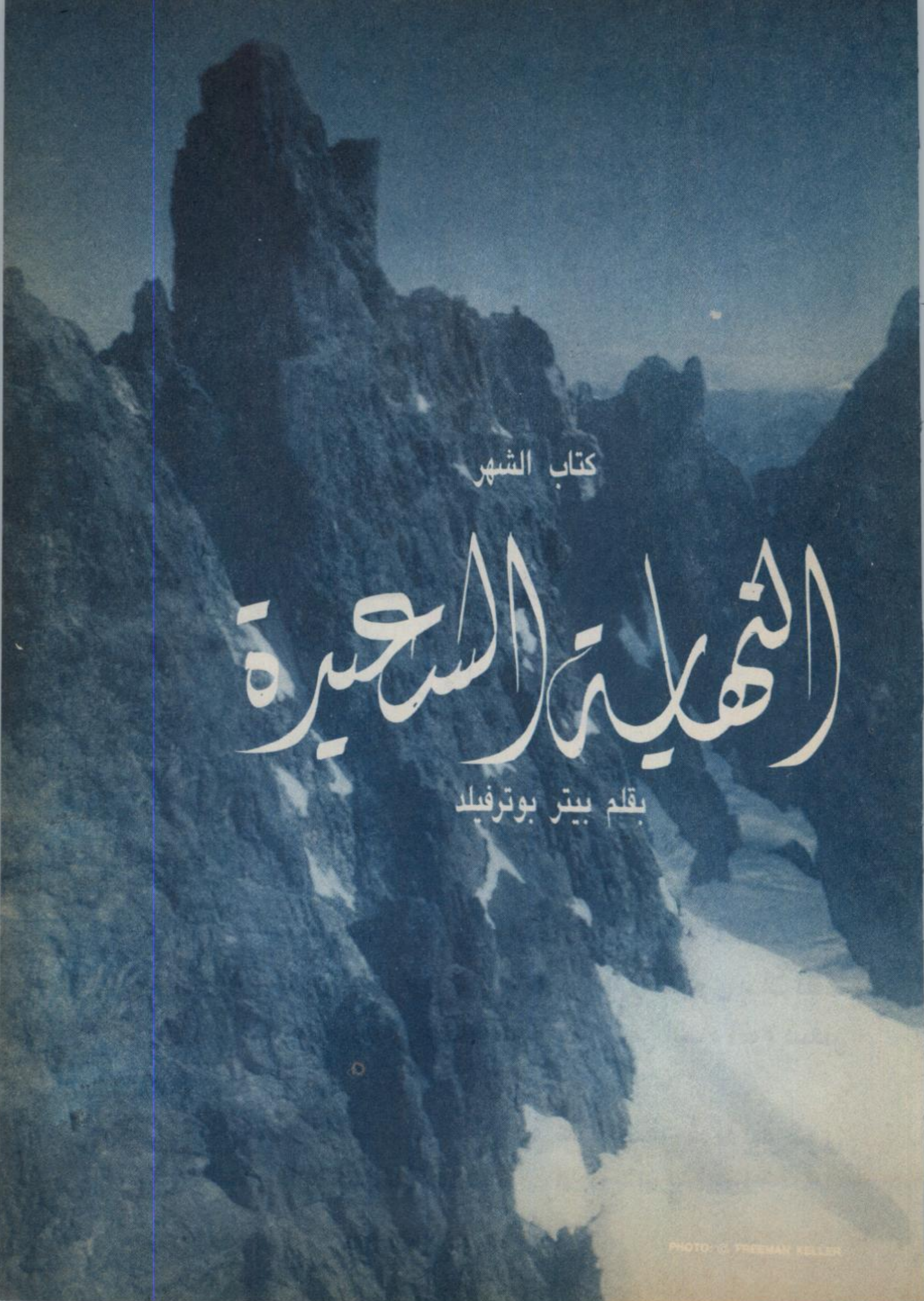
كتاب الشهر
النهاية السعيدة
بقلم بيتر بوترفيلد
PHOTO: © FREEMAN KELLER

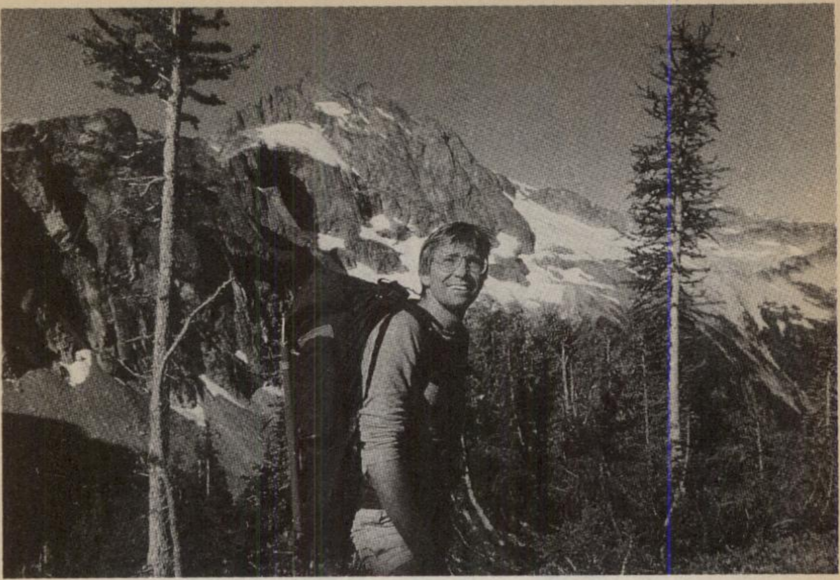

النهاية السعيدة

في منتصف الطريق عبر واجهة الجرف، أدركت أنني في مأزق. لم يكن أمامي سوى امتداد صخري أجرد خال من أي ممسك ليديّ أو قدميّ. وفكرت: لا يجوز أن يكون التسلق بهذه الصعوبة!

حاولت أن أعود الى حيد ضيق، لكنني عرفت أن ذلك لن يفيد. فتعلقت هناك أتلفّت في كل اتجاه بحثاً عن فكرة، عن مخرج ما. وكانت يدي اليسرى بدأت تفلت مسكتها. أخيراً، مددت جسمي مقدار ما استطعت، وقفزت في اتجاه نتوء صغير في الصخر.

لم تكن القفزة كافية، وأحسست بأصابعي تنزلق على الصخر، ثم لم يبقَ سوى الفراغ، وقوة الجاذبية تشدني الى تحت، وصراخي: "انني أسقط!"

PHOTO: © DOUG GANTENBEIN

أقمنا مخيمنا على طرف حقل ثلج، على ارتفاع حوالى ١٥٠٠ متر في أعالي جبال كاسكيد. أشعلت الموقد، أنا وزميلي دوغ، في الخامسة صباحاً، ثم تناولنا افطارنا المعتاد من الخبز والقهوة السريعة التحضير. وتناقشنا في خططنا لذلك النهار: إن نحن تحركنا خفيفين وسريعين، فقد نصل في منتصف الصباح الى قمة صخرة "تشيمني" (المدخنة) على ارتفاع ٢٣٥٥ متراً.

كنت مرتاحاً لوجودي مع دوغ في هذا المكان، اذ اننا طالما ذهبنا في رحلات كهذه الى الجبال الرائعة، والرهيبة، في شمال غرب الولايات المتحدة. كنت في الثامنة والثلاثين، وأكبُرُ صديقي بخمس سنوات، ومع ذلك انسجمنا قدرة ومزاجاً، وكنا مطمئنين الى طاقتنا على مواجهة أي أحداث غير متوقعة قد تطرأ في هذه الجبال القفراء. فخلال سنوات من تسلق الجبال معاً، تحملنا قسطنا من السقطات البسيطة وأضعنا طريقنا في أودية شائكة وعانينا رداءة الطقس، لكننا لم نقترب أبداً من شفير الكارثة. وهكذا اتكلنا على مهارتنا وقراراتنا الصائبة وحظنا الحسن.

منذ تركنا السيارة لثلاثة أيام خلت، قطعنا حوالى ٣٠ كيلومتراً من الممرات والاراضي الجبلية الوعرة. كانت المرحلة الاخيرة في هذه الرحلة تسلق صخرة "تشيمني" على أن نعود الى سياتل (ولاية واشنطن) في مساء اليوم التالي.

بعد الافطار أعددنا حقائبنا. كان الهواء منعشاً ومعطراً بروائح الخلنج والاشجار الجبلية. وخالجنا توتر لطيف امتزج فيه التوقع والاثارة، وهو شعور اعتدناه قبيل كل عملية تسلق.

شددنا الحقائب الى ظهرينا ثم سرنا سامعَيْن تكسر الجليد تحت أقدامنا. وتوجهنا الى شق في الجبل يقودنا صعوداً، بانحدار شديد، خارج الحوض الصغير الذي خيَّمنا فيه.

بعد تسلق حوالى ٢٠٠ متر انفتح الشق على قبة صخرية امتلأت جوانبها بكوم من الحجار الصغيرة، انتقلنا عبرها الى متسع نهر تشيمني الجليدي. توقفنا قليلا للشرب والتمتع بالمنظر تحتنا، حيث تعرج واد مشجر كبير في اتجاه الجنوب. وفي منتصف المسافة شاهدنا بحيرة بيت، وبدت بحيرة كوبر بعيدة في أسفل الوادي. وشمخت فوقنا قمم وعرة مثل أقواس متلاحقة امتدت حتى الأفق. وكانت الشمس تسطع على رؤوس الجبال فتصبغها بلون ذهبي أخّاذ.

في أعالي هذه السلسلة الجبلية تعصف الريح رطبة وباردة على مدار السنة. لذلك تكوّنت أنهار جليدية في جبال كاسكيد، في حين أمكن شق طرق رئيسية في سلسلة جبال روكي وهي على الارتفاع ذاته. لكن فترات من الطقس الجيد تمر خلال فصلي الصيف والخريف. وكان المنظر والطقس رائعين ذلك الصباح في ٢٦ يوليو (تموز)

١٩٨٨. ورحنا نتنقل في سراويل قصيرة وقمصان قطنية فوق ملابس داخلية طويلة الاطراف. كان ذلك يوماً من تلك الايام التي منحتني شعوراً لذيذاً بالحرية في الجبال.

تناوبت أنا ودوغ دورَي القيادة وتتبُّع الخطى. وسرعان ما وصلنا الى سفح صخرة تشيمني المرتفعة كبرج فوقنا. توقفنا لبرهة، تفصل بيننا مسافة ١٥ متراً على المنحدر الشديد، وقد تثبَّت كل منا بمقبض فأسه الثلجي. وسمعت دوغ يقول: "آه! اننا نواجه مشكلة."

استدرت لأواجهه، فرأيت صخرة بحجم كرة قدم وقد سقطت على الثلج قربه. قال دوغ: "كاد هذا الشيء يصيبني. سوف أرتدي خوذة السلامة."

لم تكن الخوذة لتحمي دوغ لو كان واقفاً حيث سقطت الصخرة، لكنني مددت يدي الى حقيبتي وتناولت خوذتي أنا أيضاً، آملا ألا ترسل منحدرات تشيمني تحيات أخرى من هذا النوع.

انني أسقط!

اعتمرت الخوذة الزرقاء وشددت سيرها الجلدي لتثبيتها. وخوذ السلامة قاسية وغير مريحة، وهي تحمى بسرعة. وكنا، كمعظم متسلقي الجبال، لا نعتمرها الا عند الضرورة، وبدا واضحاً الآن أن هناك ضرورة من هذا النوع.

في التاسعة صباحاً خلّفنا الثلج وراءنا ورحنا نتسلق سلسلة من الحافات الصخرية العريضة. كان الجبل في هذا الجزء يشبه أهرام المايا[1] فيتراجع الى الخلف كلما ارتفع.

درنا حول الجبل وبلغنا واجهته الجنوبية في وقت قصير. هنا أصبحت الحافات أكثر صعوبة: كانت أضيق ومنحنية خارجاً نحو الاسفل ومغطاة بصخور متقلقلة، فلم أرتح الى منظرها.

توقفنا لتثبيت أحمالنا وربط أنفسنا بالحبال استعداداً للصعوبات التي تنتظرنا. وتثبت في مكاني لامساك الحبل بينما تجاوزني دوغ واختفى خلف زاوية. وكانت تلك العملية تقضي بأن أثبت نفسي الى الصخرة بدق وتد فيها وشبك صداري الى الوتد، ثم أدع الحبل يجري عبر حلقة خاصة بينما يتسلق دوغ الجبل ساحباً الحبل وراءه. وهذه الحلقة المثبتة أداة بسيطة من المعدن القوي كانت ستوقف الحبل لو سقط دوغ.

وفيما كان دوغ يدور حول الجبل أجلت أنا نظري عبر الوادي. كان الصباح رائعاً والسماء شديدة الزرقة خالية من الغيوم. وعلى رغم ذلك لازمني احساس خفي بخطب ما، وبدأت أكره ذلك الجبل والطريق التي اقتفيناها. وكان ذلك شعوراً غريباً.

(١) المايا شعب قديم في امريكا الوسطى.

لماذا تأخر دوغ؟ انه لم يأتِ حركة منذ دقائق. ناديته، فرد صارخاً انه ثبَّت الحلقة، أي انه أمّن موقعه وبات جاهزاً لمساعدتي لكي أتبعه.

وفيما أنا أجتاز مسافة ٣٠ متراً الى حيث كان دوغ مثبتاً الى الصخر يسحبني بالحبل، تنامى شعوري الداخلي بالقلق.

وعندما وصلت اليه أخبرته انني "غير مرتاح الى الوضع." فقد خامرني احساس قوي بالكارثة لم أجد له تفسيراً. كانت الحافات والنتوءات مغطاة بحجار متقلقلة ومنظرها يبعث قشعريرة في البدن، لكننا كنا تسلقنا أسوأ منها في السابق.

قال دوغ: "ربما تحسن الوضع خلف هذه الزاوية. دعنا نعاين المكان، ما رأيك؟"

كان واضحاً أن دوغ راغب في المتابعة. واذ بدت الاوضاع مثالية فلم أقوَ على مخالفته الرأي. فالتراجع يعني خرقاً لاخلاقيات التسلق، وكنت أكره أن يدمغني زملائي بصفة كهذه. وكنا بلغنا منتصف الطريق وكسبنا بعض الوقت، فوافقت على اتمام الرحلة.

تفحصت عدتي، ثم تسلقت الصخر متجاوزاً دوغ. انحدرت بحذر الى الحافة السفلى من تشكيل صخري ذي حافتين. فبتُّ تحت دوغ قليلا.

أطللت من فوق زاوية، فرأيت حافة أخرى عريضة ومغطاة بالعشب على بعد أربعة أمتار. كنا نستطيع من تلك الحافة أن نلتف حول الجبل صعوداً الى القمة. وكانت صفحة الصخر بيني وبين الحافة شبه ملساء، لكنها تضمنت بعض النتوءات الصغيرة التي يمكن التمسك بها.

عندما أصبحت على بعد عشرة أمتار من دوغ، علَّقت أنشوطة في قرن صخري بارز وشبكت فيها الحبل. ولما كنت أتحرك تحت دوغ فقد أصبح وضعي أكثر أماناً، فان سقطت على الصفحة الصخرية الملساء أمسكني الحبل المعلق بالانشوطة. أما اذا انقطعت هذه فسوف أكون في وضع أسوأ، معلقاً بطرف الحبل ومترجحاً كرقاص ساعة عبر صفحة الصخر.

انعطفت حول الزاوية تاركاً دوغ خلفي وفوقي، ومتحركاً ببطء على الصخرة. كانت النتوءات فوقي مماسك جيدة، لكني لم أجد موطئاً لقدمي. وفي منتصف المسافة أدركت أنني في مأزق اذ رأيت أمامي امتداداً صخرياً أجرد، خالياً من أي ممسك. وفكرت: لا يجوز أن يكون التسلق بهذه الصعوبة!

في هذا الوقت كانت يدي اليسرى وحدها ممسكة بالصخر على نحو مرضٍ، أما قدماي فلم يكن يحملهما سوى قوة احتكاك جزمتي على نتوء صغير. فكرت في محاولة ارتداد للعودة الى الحافة الضيقة، لكنني كنت أعلم أنني أتوهم أمراً مستحيلا، فأنا في مأزق وأوشك على السقوط. يا لهذا الاحتمال الرهيب!

حاولت الثبات في مكاني ورحت أتطلع حولي بحثاً عن فكرة، عن مخرج ما. كانت يدي اليسرى بدأت تتشنج وتنزلق. ولم يكن أمامي سوى ممسك صغير بعيد قليلا عن متناول يدي اليمنى، لكن مماسك أفضل منه، وأبعد، أغرتني بالمحاولة.

مددت جسمي مقدار ما استطعت ونفّذت ما اعتبرته قفزة "محسوبة"، لكنها لم تكن كافية في الواقع. أحسست بأصابعي تنزلق على صفحة الصخر، ثم لم يبق سوى الفراغ وقوة الجاذبية تشدني الى تحت، وصراخي: "انني أسقط!"

نهاية رهيبة؟

عندما هويت عن الواجهة الصخرية كان جسمي بوضع جانبي: رأسي مائل يمنة حيث كنت أحاول الوصول الى الممسك، وقدماي ممتدتان الى الجهة اليسرى. وقد بدأ سقوطي بسيطاً، مع احتكاك خفيف بصفحة الصخر. وتوقعت سقطة قصيرة، لكن الحبل واصل جريانه عبر الحلقة وهويت سابحاً في الفراغ أعد نفسي للنترة التي سأحسها عندما يصل الحبل الى نهايته. لكن النترة لم تأتِ، وتساءلت: لماذا تأخرت كل هذا الوقت.

ثم ارتطمتُ بصفحة الصخر. وأفقدتني الصدمة وعيي وقلبتني. وسمعت صوت تكسّر عظام. كان عنف الصدمة لا يصدّق، ثم تلتها صدمة أخرى مباشرة، فتحطمت عظام كتفي اليسرى وأحسست بجسدي كله يتمزق.

بعد الصدمة الثانية تدحرجت على الصخر المنحدر، وكنت أسمع صوت ارتطام خوذتي بالصخر كأنه دويّ مدافع. وفقدت كل احساس بالاتجاه وأنا أتهاوى.

وللحظة وجيزة تساءلت: هل الامر مجرد حلم أو هذيان؟ ثم ارتددت الى الواقع، كنت في طريقي الى الموت سقوطاً عن جبل. لم تمرّ سيرة حياتي أمام ناظري في تلك اللحظات، لكنني فكرت في خطيبتي آن الجميلة السوداء العينين.

أحسست بحزن غامر لانني لن أستطيع قضاء وقت أطول معها، واستعر فيّ الغضب من هذه النهاية الرهيبة لحياتي.

ثم غمرتني موجة عارمة من الخوف شلّت تفكيري. ولم يلبث شعور بالمقت أن حلَّ مكان الخوف فيما تابعت سقوطي. كنت أكره أن أهزم هكذا، أن أموت هكذا.

الغريب أن فكري بقي صافياً خلال هذا الوقت، وكنت أعي كل صدمة تحصل. كان بعض الصدمات أسوأ من سواه، فتحطمت عظام وبقيت أخرى سليمة. كنت أحس بانفصام عن جسدي، كأنه يموت أمام عيني. وعادت أفكاري الى آن، وكم تمنيت أن يكون ما يحدث كابوساً أفيق منه بعد هنيهة.

فجأة توقف السقوط. فقبل أن أصل الى حافة صغيرة نترني الحبل من أعلى.

وحلّ عليَّ صمت يمزق الاعصاب بعد ضجيج ارتطام الخوذة بالصخور. لقد كنت أسقط وأموت، وفي ثانية وجدتني أنظر الى الوادي من علٍ وانا معلق كدمية بطرف حبل وقدماي تكادان تلامسان حافة صغيرة في الواجهة الصخرية. لم أصدق ما حصل. وكانت موجات الالم تتعاقب عليَّ، وتقلص نطاق رؤيتي فبدا العالم حولي مغبشاً ومشرقاً. وتخطى الالم قدرتي على الاحتمال وتحول انتباهي الى وعيي المتناقص. ربما كان هذا هو الموت. لم يدهشني ذلك. وبقيت معلقاً تحت أشعة الشمس في رهبة السكون.

لا أذكر الوقت الذي مر عليّ وأنا في حال انفصام عن الحقيقة. قد أكون أصبت بالاغماء، لكن نطاق رؤيتي عاد الى الاتساع في لحظة معينة من الزمن. وعندما حدقت الى الضياء أدركت أنني ما زلت حياً. ثم عاد الالم يغزوني بقوة أبعدت أفكاري عن أي أمر آخر. ولاحظت أنه كان يتضاعف بترجحي معلقاً بطرف الحبل.

كنت أدرك مدى الاذى الذي تعرضت له: كانت ذراعي اليسرى معلقة بزاوية غير طبيعية، والتوت ساقي اليسرى وراحت تنبض بالالم المشعّ من حوضي حتى وركي الايسر. كانت كل حركة تثير ألماً مبرحاً في غير جزء من جسمي كما لم يسبق لي أن عانيت أبداً. وكنت لا أزال أحاول تقبل حقيقة بقائي حياً، وفكرت مراراً: أنا هنا فعلاً، على هذا النتوء الصغير، وما زلت أتنفس. أنه أمر لا يصدق!

أحسست بدوار وكأنني لست من هذا العالم. كنت أتوق الى الجلوس أكثر من أي شيء آخر، لكنني لم أستطع فك قبضة الصدار بسبب التوتر القوي في الحبل الذي رأيته مثل سلك فولاذي يمتد من صداري عبر صفحة الصخر ليختفي خلف النتوء الجبلي صعوداً الى حيث كان دوغ. وكانت أطراف قدمي تلامس الحافة.

حاولت تحريك ذراعي اليسرى لارفع بعض الثقل عن الحبل، فسرى الالم الممزق في ذراعي التي كانت تطوَّح حتى بهبة نسيم. وترنحت متأوهاً من الالم، وخشيت أن أفقد وعيي. وفكرت: اذاً هذا ما يدعونه التلوّي من الالم!

استدرت ببطء وأنا معلق بطرف الحبل، ونظرت الى الوادي بعينين فارغتين، فأحسست بعودة الوعي الي تدريجاً. وكان عليّ أن أقوم بعمل ما.

صرخت بأعلى صوتي: "أرخِ الحبل! أرخِ الحبل! أرخِ الحبل يا دوغ! لقد أصبت بجروح بالغة." وفكرت: اذا كان دوغ لا يزال يمسك بي بواسطة الحلقة، فيمكنه أن يدع الحبل يجري قليلا عبرها لينزلني الى الحافة.

وانتظرت معلقاً في وضعي اليائس.

ثم بلغني صوت دوغ ضعيفاً كأنه ليس صوتاً بشرياً: "حسناً، ولكن احذر، فقد تكون الحركة مفاجئة."

فهمت ما قاله وأدركت أنني في نهاية الحبل. لا بد أنني سقطت طول الحبل كله، أي حوالى ٤٥ متراً، والمرتكزات التي أوثق بها الطرف الآخر من الحبل هي التي منعت سقوطي عن الجبل جاراً دوغ معي. ولم يكن لدى دوغ أي طول اضافي من الحبل، ولذا تعيَّن عليه اما أن يقطعه واما أن يحله من المرتكزات. وأرعبتني فكرة القائي الى الحافة أو سقوطي عن الجبل. فصرخت: "لا! لا! لا تفعل ذلك!"

كنت أقف على رؤوس أصابعي محاولا التوقف عن الترجح والدوران، وقد دبَّ فيّ الذعر. ورحت أبحث بهياج عن سكين الجيب علَّني أقطع بها الحبل فوق صداري، لكنني لم أستطع ادخال يدي اليمنى في جيب سروالي الذي كان توتر الصدار يشده الى أعلى.

تلفتُّ حولي. كانت الحافة تنحني خارجاً الى أسفل، أي انها كانت أعلى حيث تتصل بصفحة الصخر منها في الجهة الخارجية. وخيل الي أنني اذا رجعت قليلا الى الخلف حتى تطاول قدماي الحافة، فقد أكسب ارتفاع سنتيمترات قليلة ترخي الحبل فأتمكن من فك مقبض الصدار. لكنني عندما بدأت "أناور" على أصابع قدمي، أرخيت ثقلي على قدمي اليسرى، ومرة أخرى التمع الألم الفظيع في وركي وركبتي. فانهرت ثانية على الحبل مرتخياً منهكاً، وحاولت أن أوقف الذعر الذي بدأ يشلّ وعيي.

حافة الرعب

لم يعد أمامي سوى أن أعتمد على نفسي أو أن أطلب من دوغ قطع الحبل فأواجه قدري. فركزت كل فكري وأنا معلق بطرف الحبل المشدود، ثم بدأت التحرك الى خلف محتفظاً ببعض ثقلي على الحبل ومعتمداً رجلي اليمنى التي بدا أنها لم تصب بأذى. أكسبتني هذه الحركة ارتفاع بضعة سنتيمترات، فارتخى الضغط عن الصدار. كانت هذه بداية تعلّمي تطويع جسدي المصاب.

بعد بضع خطوات أخرى أمَّنت موطئاً لقدميَّ على الحافة مكنني من سحبهما على السطح المنحني حوالى ٣٠ سنتيمتراً. فارتخى الحبل مقداراً كافياً سمح لي بأن أستدير وأفتح الصدار بيدي اليمنى. وعندما سحبت العقدة ذات الشكل "∞" في طرف الحبل، انهرت قليلا، لكنني حافظت على توازني ووقفت ملقياً بثقلي على رجلي اليمنى.

عندما تحررت من الحبل تملكني خوف جديد من امكان سقوطي ثانية. كنت أقف على منحنى الحافة الصغيرة متوازناً على رجل واحدة من دون حبل أمان. ان سقطة من هنا سترميني عن هذه الحافة التي لا يتجاوز اتساعها مساحة صينية طعام، الى النهر الجليدي على مسافة مئات الامتار تحتي.

مددت يدي اليمنى ببطء وحللت حزامي، فسقطت الحقيبة خلف قدمي حيث أبقيتها. ثم انحنيت بتأن شديد، ويدي اليسرى تطوح أمامي، وجلست الى جانب الحقيبة. كانت المحاولة مؤلمة الى حد يفوق التصور، لكن الحافة كانت كافية لجلوسي وظهري مسند الى الواجهة الصخرية، مثبتاً كعبي حذائي بحرف صغير في طرف الحافة. كان أنيني يرتفع مع كل نفس، واذ ثنيت ركبتي اليسرى تكيفاً مع الوضع الذي يتطلبه شكل الحافة، صرخت من الالم للمرة الاولى.

كان الجلوس تحسناً كبيراً بعد وضع التدلي من طرف الحبل، لكن مجثمي كان موقعاً مرعباً: حافة صغيرة ناتئة من الصخر الى الفضاء.

أخذت أتساءل عما تراه قد حدث. هل انحلّت الانشوطة؟ هل أفلت الحبل من الحلقة بفعل السقطة القوية؟

مهما حدث فلم تعد للسبب أهمية الآن.

كنت أحارب الخوف وأحاول تركيز تفكيري. تفحصت ذراعي اليسرى المتدلية بجانبي مهشمة وملتوية، ورجلي اليسرى وقد تورمت الى درجة مرعبة. كنت أسمع صوت تطاحن العظام مع كل حركة، لكنني استطعت تحريك قدمي وأصابعي داخل الحذاء، مما يعني أن عمودي الفقري لم يصب بأذى. قوّست ظهري وتأكدت من ذلك، وعندئذ ازداد أملي بالنجاة. اذا لم أتحرك ولم أصب بالاغماء، فقد استطيع الثبات في موقعي على الحافة.

في هذا الوقت لاحظت بقعاً داكنة منتشرة على الصخر حولي وعلى حقيبتي وثيابي. بقعاً كبيرة، وبركاً صغيرة. كان الدم بلل الساق اليسرى لسروالي وانتشر في كل مكان.

حدقت اليه بذهول اولا، ثم برعب متنام. من أين يأتي كل هذا الدم؟ تحسست جسمي، فوجدت أنه يتدفق من ذراعي اليسرى. تفحصتها بحذر، فاكتشفت عظاماً مكسورة نافرة من مرفقي. هل قدر لي أن أنزف حتى الموت؟

صرخت: "دوغ! اصابتي بالغة! انني أنزف! هل تستطيع النزول اليّ؟"

لم يأتني جواب. وتساءلت عما يحدث في الطرف الآخر من الحبل حيث دوغ. ثم سمعت صوته بعيداً جداً: "كلا! لا أستطيع الوصول اليك. هل تستطيع أنت العودة؟"

"مستحيل!"

ثم فكرت لحظة وصرخت: "دوغ! اذهب في طلب النجدة! اذهب بسرعة، فقد لا أستطيع الصمود!"

كنت على شفير الذعر، فمسألة الدم خطيرة. وكساني عرق لزج وأنا جالس تحت أشعة الشمس المحرقة. كانت رغبتي في الحياة لا تقاوم بينما تضاءلت فرص النجاة. وتعيَّن عليّ أن أفعل شيئاً لايقاف النزف.

تذكرت علبة الاسعاف الاولي في حقيبتي. وعندما استدرت لاخراجها هالني أن أرى الجيب الجانبي الذي يحوي مطرة الماء متجهاً الى أسفل مما يهدد بانزلاق المطرة وسقوطها عن الجبل. وكنت أحتاج الى ماء، فمددت يدي بحذر وأدرت الحقيبة فأصبحت المطرة في أمان.

ناديت دوغ: "انتظر! هل تستطيع انزال بعض الماء الي؟"

شاهدت طرف الحبل يرتفع ويختفي. وبعد دقائق صاح دوغ: "ها هي آتية!" وظهرت أمامي سترة زرقاء من الصوف وقارورة ماء وقد ربطتا الى طرف الحبل. وراح دوغ يحرك الحبل الى الامام والى الخلف حتى أوصل الزجاجة والسترة الى متناول يدي، فأخذتهما ووضعتهما في الحقيبة.

حرّ وعطش

أصبحت وحيداً، فأجلت النظر في ما حولي. كانت صفحة القمة الجنوبية لصخرة تشيمني تنتصب عمودياً خلفي وتهبط حوالى ١٥٠ متراً الى نهر تشيمني الجليدي تحتي. وكانت الحافة صغيرة جداً، وأنا جالس عليها يعصف بي دوار تحت أشعة الشمس على ارتفاع أكثر من ٢١٠٠ متر.

وكانت جهودي الجسدية في الدقائق السابقة تركتني شبه واع. صررت بأسناني وهمي الاول ألا أفقد وعيي. وبدأ الالم في ساقي وحوضي وذراعي يتحول نوعاً من "القصف" قد يكون ساعدني في البقاء صاحياً، لكنه منعني من التفكير السليم. وصممت على المحافظة على رباطة جأشي، فيما ظل الدم يتدفق من مرفقي الايسر ويتجمع في برك حول الاعشاب الطرية النامية في طبقة ضحلة من التراب على الحافة التي جثمت عليها.

كان في علبة الاسعاف الاولي كتيّب دأبت على حمله معي منذ عشر سنين: "كتاب الجيب للطوارىء/دليل البقاء حياً."[٢] وسرعان ما وجدت فيه ما كنت أبحث عنه: نقطة الضغط المناسبة لوقف النزف في المرفق كانت ممثلة بصورة ايضاحية وهي تحت الابط. لكن كتفي كانت مهشمة بحيث تعذر عليّ اكتناه هيكليتها لاجد الابط.

تُرى ما مدى اصابتي بالضبط؟

يوصي الكتيب باستخدام ضمادات ضاغطة. فأخرجت من الحقيبة حشية من كرتون طويتها وبدأت ألفها ببطء حول ذراعي اليسرى من منتصف أعلاها حتى الرسغ. وكنت أسمع قرقعة العظام وأحسها تنتأ من الجلد حول المرفق. لكن الالم لم يكن أفظع مما

(٢) Hip Pocket Emergency / Survival Handbook

كان قبلا. وسرعان ما أنجزت جبيرة بدائية وباتت ذراعي ملفوفة مثل قطعة نقانق داخل رغيف خبز. وكان الدم يسيل من مؤخر الجبيرة.

أخرجت من الحقيبة شريطين من النايلون. وباستخدام يدي السليمة وأسناني، وبكثير من التمعجات والتلويات، تمكنت من ربط الشريطين تحت المرفق وفوقه، وشددتهما باحكام للضغط على الجرح المفتوح من دون تقييد الدورة الدموية. بدا لي العمل متقناً: لقد أصبحت يدي المهشمة محمية بالحشية وثابتة الى حد ما. وعدت أبحث في حقيبتي، فوجدت جورباً وزوجين من القفازات حشوتها داخل الجبيرة المرتجلة. بعد ذلك رأيت دفق الدم آخذاً في التناقص.

أرحت رأسي على الصخر، فاكتشفت أنني فقدت خوذتي اثناء السقوط. لقد أنقذت تلك الخوذة حياتي. واشتدت حرارة الشمس، فأخرجت مطرة الماء وأخذت رشفة صغيرة، ثم أخرى، ثم جرعة كبيرة طويلة. كان طعم الماء رائعاً، لكنني عرفت أن عليّ أن أقنن استهلاك الماء وسط هذه الحرارة.

وكنت لا أزال غير مصدق ما حدث لي. لقد تركت وحيداً في هذا المكان الموحش جريحاً ومعرضاً لعناصر الطبيعة. كنت خائفاً، لكنني شكرت الله على حظي لانني وقعت على الحافة الوحيدة في مرمى النظر. كان سقوطي ناعماً اذ وصلت الى الحافة لحظة توقف الحبل عن الجريان. وحمدتُ العناية الالهية ثانية. فلو هبطت على الحافة بسرعة سقوطي لقضيت حتماً.

لم يكن لدي مجال للحركة. والواقع أنني لم أجرؤ على تحريك ثقلي. ولكن كان لدي ماء وطعام وثياب. من جهة أخرى، كانت اصاباتي خطيرة، وقد يتفاقم النزف من مرفقي، كما قد لا ينجح دوغ في النزول عن الجبل. ثم، هل بي نزف داخلي؟ هل أنا في حال صدمة؟ لم أكن قادراً على شيء، لكنني أحسست أنني قادر على الصمود. إلى متى؟ ليوم واحد؟ ربما أطول.

اذا نجح دوغ في النزول فان النجدة قد تأتي خلال ٤٨ ساعة. أما اذا لم ينجح، فلن يفتقدنا أحد لايام. كنت مضطراً الى الثقة بقدرة دوغ على النزول بسلام. وتعلقت بهذا الامل، فعادت الي عزيمتي. سوف أنجو.

كنت، قبيل الحادث، بحثت مع دوغ في مراحل هذه الرحلة، لذلك قدرت أن الحادث وقع قرابة التاسعة والنصف صباحاً، والوقت الآن الحادية عشرة والثلث. سرَّني أنني أتصرف طبيعياً، فأتأكد من الوقت مثلا، لكن الانتظار سيكون طويلا قبل وصول النجدة.

كانت شمس الظهيرة تشوي حافتي المواجهة للجنوب، والصخور الحامية حولي تضاعف حدة الحرارة. كذلك كان الهواء القليل الكثافة على ارتفاع أكثر من ٢١٠٠ متر

يضاعف سرعة التبخر. وأدركت أن جسمي يخسر ماءه بسرعة مما يهدد بتعطل كليتي ويزيد احتمال الاصابة بضربة شمس. أخرجت قبعة رياضية من الحقيبة ووضعتها على رأسي، فأحسست بارتياح.

وأثبتت ملابسي التي ارتديتها للتسلق أنها مناسبة جداً، فقماش البوليبروبيلين الذي صنعت منه ثيابي الداخلية الطويلة حمى جسمي من سفع الشمس.

شربت مرة اخرى، مستغلا كل جرعة الى أقصى الحدود. كنت أبقي الماء في فمي لترطيب جفافه، ثم أبتلعه. وأثار جنوني منظر جدول من الجليد الذائب في السفح تحتي. وتذكرت أنني مررت بهذا الجدول في الصباح، وها هو يترقرق ويتطاير رذاذاً خارج متناولي فيسومني شر عذاب.

وخشيت أن تقتلني الشمس إن لم أؤمِّن ستراً واقياً. وكانت السقطة أحدثت ثقوباً في ثيابي الداخلية الطويلة، فحدقت عبرها غير قادر على التصديق. كان جلدي، خصوصاً تحت الثقوب الكبيرة، يحترق بأشعة الشمس وقد بانت عليه بثور وقروح. فبذلت جهداً كبيراً لاخراج فأسي من قرابه مستخدماً يدي السليمة، ثم تحسست الصخر فوق رأسي فوجدت شقاً صغيراً أثبت فيه الفأس. عظيم! ألقيت سترتي البرتقالية فوق رأس الفأس فكانت لي مظلة صغيرة تمتعت تحتها ببعض الظل.

كان الهواء حاراً داخل المظلة المرتجلة، لكن تفادي التعرض المباشر لاشعة الشمس الحارقة بعث فيّ بعض ارتياح. واحتفالا بهذا النصر سحبت المطرة لاتناول جرعة ماء، فذعرت عندما رأيت أنها شبه فارغة. لكنني أقنعت نفسي بأن من الافضل لي أن أشرب الآن وأعطش خلال الليل البارد. فالعطش وحرارة النهار معاً قد يؤديان بي الى الاغماء والسقوط الى الهاوية.

لم أشأ أن أفرغ المطرة، لاسباب خرافية. فسحبت القارورة التي أنزلها الي دوغ وفتحت السدادة. ليموناضة! كان مذاقها عظيماً!

أفكار سوداوية

كانت الشمس تلسعني بسياطها حتى داخل ملجأي الصغير. وخارت قواي. وكنت بين الفينة والاخرى أمد رأسي خارجاً لاراقب الظلال المسائية تزحف على الواجهة الصخرية وتتقدم نحوي ببطء وثبات. فانتظرت وصولها متلهفاً.

لم يكن ثمة سبيل الى الراحة على الحافة. كانت الحجار الحادة الاطراف تخزُني، وكانت الفسحة ضيقة والحركة مؤلمة لا تشجعني على تعديل جلستي. وأبقيت ركبتيّ منثنيتين كي أثبت كعبي حذائي بطرف الحافة. وكنت أحياناً أمد رجلي اليمنى فأنعم براحة كبرى، لكن الاصابات في رجلي اليسرى كانت تجعل أي حركة عذاباً لا يطاق.

استمر الدم في التسرب الى القماش الذي حشوته داخل الجبيرة حول ذراعي، لكنه لم يعد يبدو خطراً. وظهرت على الجانب الايسر من جسمي وساقي خدوش كبيرة غطاها الدم، وجروح مفتوحة، كما رأيت نتوءاً بارزاً يشد الجلد في أعلى الفخذ. وخشيت أن تمزق الجلد عظمة أخرى مكسورة. كانت العظام المهشمة في كتفي وذراعي مصدر ارباك عظيم، تتطاحن على نحو مريع مع كل حركة بسيطة. وظل الالم لا يتراجع.

عندما أصبح مجثمي في الظل أخيراً لم يغمرني الابتهاج، بل اكتفيت بارتياح لذيذ وأنزلت مظلتي.

ومضى ضوء النهار يتحرك في اتجاه مساء دافىء يلفه الصمت، ورحت أراقب بحيرة بيت حيث كنا سنسبح أنا ودوغ في طريق عودتنا. وتساءلت عما اذا كان دوغ نجح في النزول.

وتراءت لي حياتي في سياتل، مع آن والاصحاب وشقيقي وشقيقتي. كان حزني رهيباً، فحاولت أن أبعد هذه الافكار من رأسي. فقلت لنفسي: تشدد يا رجل، ولا ترتكب مزيداً من الاخطاء.

ولتحويل انتباهي، حاولت تتبع الدرب الترابية عبر الاشجار. وخلف الوادي كانت الشمس الآفلة تلقي ظلالاً حولي. ورأيت باشقاً يمتطي تيار الهواء الحار بحثاً عن فريسة.

وبحلول الغسق شربت القطرة الاخيرة من الماء لدي. وأحسست بعطشي يزداد، ولكن كان عليّ أن أتحمله.

وهب نسيم مسائي وأنا جالس وحيداً في منسكي أراقب الطبيعة. فلم أفوِّت جمال تلك اللحظات على رغم مصاعبي.

خلال شهر يوليو (تموز) يكون الليل قصيراً على هذا الارتفاع. وتوقعت أن يختفي ضوء النهار قرابة العاشرة مساء ويعود الى البزوغ في الخامسة صباحاً. تساءلت: كيف سأمضي الليل وحيداً في الظلام على هذه المنصة الصغيرة؟ كنت مستعداً لما يمكن أن يحصل، لكنني خشيت، إن أنا نمت، أن أسقط الى السفح. فقررت أن أبقى مستيقظاً. واتكأت على الواجهة الصخرية أراقب غياب الشمس.

في هذه اللحظة سمعت الصوت.

كنت أسمع طوال اليوم هدير طائرات نفاثة، ضعيفاً وبعيداً. لكن هذا كان صوتاً جديداً، خفيضاً وقريباً. ثم شاهدت طائرة مروحية تذرع الوادي بين مجثمي وبحيرة بيت. كان منظرها مثيراً، ترى هل الامر متعلق بي؟ استمرت المروحية في تحليقها المتعرج وهي تقترب مني، فأدركت أنها تتجه نحو الحافة التي جلست عليها. كانت تبحث عني!

تناولت السترة البرتقالية ولوحت بها فوق رأسي بيدي اليمنى. وظلت المروحية تمسح الواجهة الجنوبية حتى أصبحت فوقي على بعد ٦٠ متراً تقريباً. فبدأت ألوّح بالسترة كالمجنون. فجأة اتجهت الطائرة نحوي مباشرة وبدأت تحوِّم في مكانها. ثم أطل منها شاب طويل أشقر يرتدي قميصاً أحمر ولوّح لي بكلتا يديه. وخيل الي أنني رأيت ابتسامة تشجيع على وجهه.

عادت المروحية الى الارتفاع بضع مئات من الامتار، وكان الرجلان داخلها يدرسان الصفحة الصخرية، ثم عادت لتحوم أمامي مباشرة.

ذهلت عندما أدركت ما حدث: لقد نجح دوغ! نجح في النزول وطلب النجدة! كنت لا أزال عالقاً على الحافة، لكن المنقذين يعرفون الآن أين أنا.

جلست على حافتي أحدق بنظرات بلهاء الى المروحية التي كانت تحمل محفتين على شكل سلَّتين، واحدة مربوطة الى كل مزلقة. وأشار الي صاحب القميص الاحمر ما معناه: اثبت في مكانك وكن صبوراً. كنا كلانا نعرف أن لا مكان مناسباً تحطّ عليه المروحية.

عاد ذو القميص الاحمر الى مقعده بعد تلويحة وداع، وابتعدت المروحية نحو الوادي. وراقبتها حتى اختفت خلف الاشجار مخلفة هدوءاً هائلا في الغسق المتلاشي. وانهمر الدمع من عيني، وتمنيت لو لم تكن اصاباتي بالغة الى هذا الحد، لكنت استطعت الوصول الى النهر الجليدي فتحط المروحية هناك وتنتشلني، ولكنت الآن على متن تلك المروحية في طريقي الى المستشفى. وامتلأت نفسي احباطاً من جراء وضعي اليائس.

لقد لجمت مشاعري طوال هذا النهار، على رغم قلقي وآلامي، لكنني في تلك اللحظة أحسست أن العالم تخلى عني. وحاولت أن أقنع نفسي: اصمد يا رجل، ان عقلك الصحيح ضروري لنجاتك. لقد بدأت عملية الانقاذ، وما عليك الآن الا الثبات ريثما يصلون اليك.

ليلة العطش

هبط الظلام بسرعة، وأشارت ساعتي الى التاسعة والدقيقة الخامسة والثلاثين مساء. وعرفت أن برودة الليل ستحل قريباً، فجهدت لارتداء سترتي البرتقالية التي خدمتني مظلة وعلَماً. لكن القسم الاصعب من تحضيراتي كان ارتداء سروالي الصامد للريح. وترددت في ارتدائه، لكنني أدركت أنني، في حال هبوب الهواء البارد، قد أتعرض لهبوط في حرارة جسمي (هايبوثيرميا) اذا لم تتوافر لي بعض الحماية.

استغرقت عملية ارتداء السروال أكثر من ثلاثين دقيقة من المناورات المضنية.

وأخيراً أدخلت رأسي في قبعة صوف سحبتها حتى غطت أذنيّ. وأنهيت بذلك استعداداتي.

ظهرت لي أولى النجوم، وطلع القمر من خلف القمم الشرقية. وعجبت لعطشي المتعاظم، وكنت شربت القطرة الاخيرة قبل أربع ساعات. ولم تكن مثل هذه الحاجات الاساسية عذبتني من قبل. وكل ما استطعته هو محاولة تجاهلها.

أحسست ببرودة وبوخز ألم في أصابع يدي اليسرى، وكانت تتحرك بصعوبة وعلى نحو أخرق. فتساءلت عن مدى الاصابة في ذراعي. وكانت يدي باردة، فازدادت مخاوفي حول سريان الدم اليها. فارتجلت لها حماية بالباسها كيساً صغيراً من النايلون داخله جورب صوفي، وحاولت عدم تحريكها ما أمكن. وعلى رغم ذلك كانت العظام تتطاحن عند أدنى حركة. وامتد الورم من ذراعي الى عنقي.

فكرت في الطعام، وكان في حقيبتي بعض منه، لكن العطش ذهب بشهيتي. كان خوفي الاكبر أن أغفو. وقد بقيت حتى هذه اللحظة يقظاً جداً، لكن الشكوك ساورتني في قدرتي على البقاء يقظاً طوال الليل.

عادت آن الى تفكيري، وتذكرت منزلنا ومساكب الزهر أمامه. كنا اعتزمنا أن نأخذ اجازة لعدة أيام بعد عودتي، فنقضي بعض الوقت في جزيرة فانكوفر. كنا تائقين الى هذه الاجازة، لكنني أفسدت كل الخطط.

لا بد من أن أحدهم اتصل بآن. لا بد من أنها عرفت بأمري. كنت أتمنى ذلك، لانه يعني أنها تصلي من أجلي. أراحتني الفكرة وشعرت بأنني أقل وحشة.

ومر الوقت متثاقلا، وكنت أقيسه بحركة الاجرام السماوية من الشرق الى الغرب. وكانت الحافة الجنوبية خير مرصد. فكنت أرى أنوار الطائرات المدنية وهي ترتقي فوق جبال كاسكيد بعد اقلاعها من مطار سياتل. وهكذا أمضيت الساعات أراقب السماء وأفكر في الحياة اليومية وفي بيتي وفي الاشخاص الذين أحبهم.

فجأة وجدتني أرتجف من البرد، وعرفت أن ذلك هو نتيجة تعرضي لعوامل الطبيعة، فحاولت أن أتكوم على نفسي كي أحتفظ بأكبر مقدار من الحرارة في جسمي. لكن حاجة ممضّة طغت على كل ذلك، فقد كانت هذه ليلة العطش الذي استحوذ على تفكيري أكثر من خطر هبوط حرارة جسمي وأكثر من آلام جروحي.

للمرة الاولى في حياتي عرفت معنى العطش الحقيقي. كانت معاناة تبعث على الجنون. بدأت أتخيل المشروبات الوافرة في المنزل: شراب الآس البري، عصير البرتقال، أكواب الماء المثلج مع الليمون. استحضرت في فكري منظر هذه الطيبات ومذاقها، وكلما بلعت ريقي احتكت الانسجة الجافة في فمي وبلعومي وكدت أختنق.

اقتلعت بعض الاعشاب الصغيرة النامية حولي وتفحصتها في ضوء القمر. كنت

أخشى أن تكون سامة، لكن عطشي انتصر أخيراً. وضعت حفنة صغيرة في فمي وهرستها بأسناني ثم امتصصت منها الرطوبة. لم تكن تحتوي على الكثير، لكنها أراحت حلقي الجاف قليلا. وعندما بصقتها تركت مذاقاً مراً في فمي.

انتظرت بصبر نافد أفول النجوم اعلاناً لقرب بزوغ الفجر. لكن القمر ظل يشع ساطعاً وبقي الوادي المشجر فراغاً أسود. وتوهج النهر الجليدي تحت ضوء القمر.

وبينما أنا أنظر عبر النهر الجليدي الى فراغ الوادي حيث الاشجار في ظلام دامس، رأيت أضواء تتحرك.

فركت عيني وركزت نظري على نقطة متوهجة تتحرك ببطء عبر الوادي. ثم لاحظت أنها ضوء من اثنين. كانت، ولا شك، سيارة أو شاحنة، وخلفها أضواء أخرى. كانت المركبات لا تزال بعيدة جداً، لكنها كانت حقيقية.

وعرفت تماماً ماذا يجري تحتي. لا يمكن أن تغامر أي مركبة آلية باجتياز الدرب الذي سلكناه أنا ودوغ. ولكن الى الشرق من ذلك الدرب قرب بحيرة كوبر كانت طريق مغطاة بالاخشاب أغلقتها مديرية الاحراج قبل سنوات، ويظهر أنها فتحت من أجل عملية الانقاذ.

لكني كنت أعلم أن الوصول الى موقعي يتطلب نحو ١٢ ساعة من السير الشاق والتسلق بعد انتهاء الطريق، وسيجاوز الوقت الظهيرة قبل أن يصل المتسلقون الي. وأصبح العطش حضوراً مؤلماً وعذاباً مبرحاً. ترى، هل أستطيع الصمود؟

منظر رائع

تلاشى ظلام الليل الى لون رمادي، ثم ظهر شعاع برتقالي في الشرق. لقد ترقبت هذه اللحظة منذ ساعات. كان الجبل خلفي لا يزال يحجب الشمس، لكن الصباح أشرق فعلا.

حدقت الى العالم حولي فلم أشاهد شيئاً يتحرك على ضفة النهر الجليدي ولم أرَ أي حركة في البعيد. لماذا تأخروا؟ أسرعوا بحق الله! هل كانت المروحية وأضواء المركبات مجرد هلوسات؟ تحولت خشيتي قنوطاً سوداوياً وغدا تفكيري بطيئاً ومشوشاً. نظرت الى ساعتي، كانت تقارب السادسة. قريباً تظهر الشمس من خلف صخرة تشيمني وتشوي جسدي لليوم الثاني. لم أصدق أنني سأضطر الى تحمل ذلك ثانية، وأحسست ببداية ذعر فوق الاحتمال سبب لي غثياناً. ها أنا أرتجف من البرد، ومع ذلك أرتعد خوفاً من شروق الشمس. وجالت عيناي في الوادي، أين هم؟

عندما بلغتني أشعة الشمس أخيراً أوقف دفؤها ارتجافي، لكنها بدأت تكوي بشرتي التي سفعتها في الامس. وكانت شفتاي متشققتين.

أبدلت قلنسوة الصوف بالقبعة الرياضية، وجاهدت لاتخلص من البذلة الواقية من الريح، لكنني لم أملك قوة كافية لنزع السروال.

نظرة أخرى الى الساعة. انها الثامنة والنصف. لفّتني كآبة وأنا أسمع خرير الجدول في الاسفل. كانت الانسجة الجافة في حلقي تعذبني فيما احتدت حرارة الشمس الى الضراوة التي بلغتها في الامس. وعجزت عن جمع قواي لاعادة تثبيت الفأس في الصخر فوق رأسي لرفع السترة عليه مظلة. وبدل ذلك وضعت السترة فوق رأسي. وسرعان ما بدأت أتقلّى بالحرارة.

سمعت هدير طائرة، فأخرجت رأسي من تحت السترة. لم أرَ شيئاً في السماء، لكن شيئاً على النهر الجليدي شد نظري. كانت ثمة حركة ما على حوالى ٥٠٠ متر تحتي وعلى بعد حوالى ثلاثة كيلومترات.

حدقت في البعيد واستطعت أن أميز شخصين، نقطتين صغيرتين على ضفة النهر. ثم رأيت شخصاً ثالثاً. بدا الثلاثة كأنهم متسلقون، وأملت أن يكونوا أعضاء في فريق انقاذ.

راقبتهم وهم يكدون صعوداً على المنحدر الجليدي، بطيئين، كأنهم سيستغرقون الدهر كله للوصول الي. أجريت حساباتي: ثلاث ساعات لبلوغ أعلى المنزلق الثلجي، وساعتان الى موقع دوغ فوقي، ثم بعض الوقت للوصول الي. كان هذا يعني أنني لن أتناول جرعة ماء قبل الثانية بعد الظهر. خمس ساعات أخرى في هذه الحرارة الخانقة! هل أستطيع الصمود؟ اذا أغمي علي، كانت النهاية.

أعدت وضع السترة فوق رأسي، لكنني سرعان ما نزعتها عندما تناهى الي هدير كنت انتظره منذ شروق الشمس: انه خفق مراوح! فجأة هبت عاصفة من الغبار الاحمر في الوادي على بعد حوالى ١٥ كيلومتراً، وظهرت من خلالها مروحية خضراء كبيرة. كانت تطير في اتجاهي بسرعة عجيبة، وعلا هديرها الى ضوضاء تصم الآذان.

عندما اقتربت مني تمكنت من رؤية اشارة الاسعاف فوق لونها الاخضر العسكري. حامت المروحية فوقي كما فعلت سابقتها البارحة، فلوحت لها بسترتي. أشار الي الطيار علامة أنه رآني، وتفحصني بنظرة طويلة. ثم ارتفعت المروحية واختفت. وبعد عشر دقائق رأيتها تبرز خلف القمة الشمالية من صخرة تشيمني وتطير عائدة الى الوادي.

في التحليقة التالية لم تتجه المروحية نحوي، بل الى يساري، ثم اختفت بسرعة. كان أمرها محيراً. ماذا يحاولون هناك، فوق القمة الشمالية؟

راقبت المروحية تقوم بطلعة أخرى مماثلة لتعود وتحط في الوادي وسط سحابة من الغبار.

وكنت أمضيت سنتين عاملا في فريق انقاذ جبلي في منطقة سانتا في بولاية

نيومكسيكو، ولاحظت خلالهما صعوبة عمليات الانقاذ على الجُرف الصخرية. وأذكر حادثاً حصل على جرف ايجر في سويسرا، عندما توفي متسلق جريح على بعد سنتيمترات من الايدي الممدودة لانقاذه غير قادرة على الوصول اليه.

كنت أدرك صعوبة الوصول الى حافتي من جهة النهر الجليدي. وكان الحل المنطقي انزال متسلقين من أعلى. ولكن كيف يمكن أحدهم النزول من دون أن يتسبب في سقوط صخور على رأسي وجسدي؟ لم يسعني أن أتخيل طريقة ناجحة ينقذني بها هؤلاء الاشخاص، فأرخيت جسدي على الصخر خلفي، اذ لم يبق ما أراقبه سوى المتسلقين الثلاثة وهم يتحركون ببطء صعوداً من النهر الجليدي.

أسرعوا!

بعد فترة، قررت اعلام المتسلقين الثلاثة بموقعي، فأنا لم أكن مرئياً بوضوح من موقعهم، وقد يضيعونني في الامتداد الصخري الرحب. خشيت ألا يبلغهم صوتي، ففتشت في الحقيبة عن صفارة من البلاستيك كانت، مثل دليل الاسعافات الاولية، بقيت معي سنوات من دون استعمال. قررت أن أنفخ فيها بأقوى نفس عندما يصبح المتسلقون في مدى السمع.

ثم بدأت سماع أصواتهم. وخيل الي أحياناً أنهم ينادون أشخاصاً آخرين على الجبل. لكن أحداً غيرهم لم يظهر في مرمى نظري. كان الثلاثة الذين رأيتهم يتقدمون بسرعة، ولكن لم تبدر منهم اشارة الى أنهم رأوني. هل أعلمهم طيار المروحية بموقعي؟ انه الوقت المناسب للتأكد من الامر.

وضعت الصفارة في فمي وأطلقت ثلاث صفرات عالية، اشارة خطر، فتوقف أحدهم وصرخ في اتجاهي. خيل الي أنني سمعت اسمي، لكن المتسلق كان لا يزال بعيداً.

فجأة برز متسلقون آخرون على النهر الجليدي تحتي مباشرة، على انخفاض حوالى ١٥٠ متراً. ملت فوق الحافة. كانوا قريبين جداً من الواجهة الصخرية الى حد أنني كنت أستطيع اسقاط حجار عليهم.

هتف أحدهم: "هل أنت على ما يرام؟"

فأجبت بصوت مخنوق: "أحتاج الى ماء. أسرعوا!"

قال المتسلق: "اننا قادمون. نحن مسعفون طبيون. اصبر قليلا."

تساءلت: من أين أتى هؤلاء المتسلقون الجدد. لا بد أن المروحية حملتهم الى أعلى الجبل وأنزلتهم على منبسط جليدي قرب القمة الشمالية.

قاربت الساعة العاشرة، وافترضت أنني سأحصل على الماء خلال ساعتين أو ثلاث ساعات. وفي هذه الاثناء كنت لا أزال أشوى في حرارة الشمس، العطش يعذبني

وذراعي وحوضي وساقي تتمزق ألماً. لكنني، على الاقل، عرفت أن الفرج قريب.

وبقيت مجموعة من الاشخاص على ضفة النهر الجليدي. ورأيتهم جالسين على حقائبهم وهم ينظرون نحوي. فسرى فيَّ شعور بالخجل لانني السبب في كل هذه المشقات.

كنت أسمع بين حين وآخر صرخات وضربات على الصخر الى يميني. كانت الاصوات تعلو تدريجاً مع تقدم المنقذين، الى أن صرت أسمعها فوقي تماماً. فجأة أرعد صوت انهيار الى يميني، وسمعت أحدهم يصرخ محذراً: "صخور!" وعبرت "القذائف" بجانبي صافرة. ثم علا صوت مطرقة تدق وتدأ في الصخر. كان الاشخاص الجالسون عند النهر يلوحون بأيديهم ويتحدثون عبر أجهزة لاسلكية كأنهم يعطون ارشادات لرفقائهم في أعلى الجبل. وكنت أنا بين الفينة والاخرى، أطلق صفارتي.

وبعد برهة فاجأني صوت قريب فوقي: "اننا نسمعك. هل يمكنك أن تدلنا على موقعك بالضبط؟"

نزعت قبعتي الصفراء ووضعتها على طرف الفأس، ثم مددت يدي الى أقصى ما استطعت ورحت ألوح بها.

وجاءني صوت: "حسناً، اننا نراك الآن."

فصرخت: "أسرعوا!"

عادت المطرقة تدق، وعادت الحجار تسقط بجانبي. لكن الطرق بات أقرب، على بعد أمتار الى يميني. وسمعت قرقعة أجهزة الاتصال اللاسلكي.

"لوح بقبعتك ثانية!"

ففعلت.

"حسناً، اننا قادمون اليك. غطِ رأسك."

سحبت سترة دوغ من تحتي ووضعتها على رأسي، ثم تكومت على نفسي وأدرت رأسي في اتجاه الجدار. وسرعان ما انهمرت الصخور حولي كالمطر، بعضها حصى وبعضها بحجم البرتقال الكبير.

ثم ظهر طرف حبل مزدوج معلقاً في الفضاء على بعد خمسة أمتار الى يميني، بعيداً عن متناول يدي. وراقبت الحبل وهو يتراقص اذ هزه أحدهم من أعلى للتخلص من أي فتلات فيه. كنت أعرف تلك الحركة جيداً، لا بد أن أحدهم يستعد للهبوط بواسطة هذا الحبل المزدوج.

وظهر انسان أمامي فجأة وسط رشاش من الصخور رافقه. وكدت لا أصدق ما أرى. تدلى أمامي شاب مكتنز الجسم يرتدي سروالا قصيراً وقميصاً قطنياً وخوذة خضراء. كان معلقاً في الهواء. واستمر في النزول حتى وصل الى مستوى الحافة، لكنه

ظل على مسافة خمسة أمتار مني، ولا مكان يقف عليه.

تعلق بالحبل وبدأ يدرس الخيارات الممكنة، ثم قال بهدوء: "لا أظن أنني أستطيع الوصول اليك. سأهبط مسافة أخرى، ثم أتسلق اليك."

سألته بصوت كالحشرجة: "هل لديك ماء؟"

فأجاب: "نعم." وراح ينظر حوله بحثاً عن طريقة لايصال الماء الي. كنت في حاجة ماسة الى الماء ومستعداً لاي عمل من أجل الحصول عليه.

قلت للشاب: "القِ الي بطرف الحبل، فأسحبك الى الحافة."

بدت عليه أمارات الشك وسألني: "هل تقدر على ذلك؟"

"أعتقد أنني قادر. فلنجرب."

الماء العذب

لكن العملية كانت شاقة. فالشاب معلق في الهواء، وعليه ان يمسك الحبل المزدوج بيد واحدة، ويجمع طرفه بالاخرى، ثم يتحرك يسرة كي يتسنى له الترجح الى الخلف والقاء الحبل الي. وأخفقت المحاولتان الاوليان، وفي المحاولة الثالثة وصل الحبل الى متناولي فقبضت عليه. وكان في الجهة اليمنى من الحافة نتوء مناسب، فعضضت على الحبل كي لا يفلت، ثم تزحزحت قليلا لاثبت كعب حذائي الايمن في النتوء. ومددت يدي ما استطعت، وأمسكت بالحبل في أبعد نقطة بلغتها ولففته حول يدي اليمنى. وسألت منقذي: "هل أنت جاهز؟"

"هيا!"

لو انزلقت رجلي عن النتوء، أو انفصل النتوء عن الصخر، لسقطت عن الحافة الى الهاوية. شددت الحبل المرخي حتى أحسست بثقل الشاب يشد قدمي الى النتوء الصغير. هذه هي اللحظة المناسبة. وسحبت المنقذ الغريب بجهد نحو مجثمي.

لم يكن ذلك كافياً لسحبه كل المسافة الى الحافة. وفيما أنا أحاول التقاط الحبل بأسناني ثانية لكي أمد يدي وأقصِّره مرة اخرى، رأى الشاب ما يحدث، فأمسك الحبل بيننا وسحب نفسه عبر المسافة القليلة الباقية. وضع قدماً على الحافة، ثم استدار حتى وجد موطئاً وسحب نفسه صعوداً حتى أصبح واقفاً فوق رأسي وقدماه الى جانبيّ.

سمعته يدق وتداً ويثبت فيه حلقة شبك، ثم عدّل وقفته حتى لامس رأسا حذاءيه فخذي الايمن. ومد يده الى حقيبته وأخرج منها قارورة بلاستيك تتسع لليتر من الماء، وأعطاني اياها.

لن أنسى تلك القارورة، منظرها ووزنها. فتحت السدادة وبدأت الشرب. لم أذق من

قبل شيئاً بهذه اللذة وهذا الارواء. شربت جرعات طويلة، وتوقفت عند منتصف القارورة لألتقط أنفاسي، ثم أفرغتها بجرعات متتالية.

سألت الشاب هل لديه مزيد، فأعطاني قارورة ثانية شربت معظمها من دون توقف وسكبت ما تبقى على رأسي الملتهب. أحسست كأنني ولدت من جديد.

قلت للشاب مبتسماً: "سررت للقائك، وشكراً على الماء. أنا بيتر."

"أعرف ذلك وأنا مايك. لا شكر على واجب."

عاد الى جهاز اللاسلكي لينذر زملاءه بصعوبة الهبوط على حبل مزدوج. ثم دق أوتاداً جديدة وشبك حقيبته وجسمه وحقيبتي وجسمي أنا أيضاً الى المرتكزات التي ثبتها في الصخر. ونزع خوذته ووضعها على رأسي. ثم تسلق الى منخفض صخري صغير حيث أمَّن مواطىء أقدام. ولم يلبث الحبل أن اهتز اذ بدأ منقذ آخر الهبوط الينا.

التصقنا بالحائط، أنا ومايك، فيما الحجار تتساقط حولنا من جديد. وسحبنا المنفذ الثاني بالمناورة ذاتها، فحطَّ عندنا واضعاً رجليه الى جانبيَّ.

"كيف حالك؟ أنا بيتر."

"وأنا بروس. هل أنت على ما يرام."

وقف في مكانه دقيقة وهو يشبك نفسه بمرتكز مايك، ثم تسلق فوقي هو أيضاً ووجد مكاناً ليثبت فيه قدميه. وسرعان ما ناولني قارورة ماء أخرى شربتها كلها. وبحث بروس في حقيبته وأخرج منها خوذتي الزرقاء. فنظرت اليها مذهولا. كانت ملأى بالخدوش، لكنها صالحة عملياً. قال بروس: "لقد وجدناها تحت عند النهر. وخطر لنا أنك قد ترغب في استرجاعها."

فاستعاد مايك قبعته بسرور وألبسني قبعتي.

تسلق المنقذان حولي وفوقي وبلغا منزلقاً ضيقاً قرب الحافة، وراحا يثبتان المرتكزات في كل مكان. في هذا الوقت سقطت صخرة معلنة وصول منقذ جديد، وظهر رجل بدا وجهه مألوفاً، يعتمر خوذة ويحمل حقيبة برزت منها أنابيب كرتونية رفيعة وطويلة.

قال مبتسماً: "لقد رأيناك مساء البارحة، كيف حالك اليوم؟"

انه ذو القميص الاحمر! واسمه ستيف، وهو مسعف طبي.

تدلى ستيف من المرتكزات التي زرعها مايك وبروس، وانحدر تحت رفيقيه، وانحنى ليفحصني. كانت الانابيب البارزة من حقيبته أدوات طبية، وهو غرز ابرة مصل وريدي في ذراعي اليمنى. ثم حمَّلني كيساً من البلاستيك يحوي سائلا شفافاً. بعد ذلك مزق قميصي لاعادة تجبير ذراعي ولمعاينة كتفي المحطمة. وأخبرني أن مرفقي مكسور وأنني مصاب في وركي وركبتي.

وسرعان ما تحولت حافتي الموحشة خلية نشاط. فبينما كان ستيف يهتم بي، كان الآخرون يعملون على تثبيت مرتكزاتهم، ولم يكن ذلك سهلاً. ولكم سمعت الصوت المكبوت لارتطام وتد بصخر متفتت، فالوتد يصدر رنيناً عندما يلج صخراً صلباً. وبدا المنقذان محبطين لقلة الصخر الصلب.

وانزلق شخص آخر على الحبل وسط رشاش من الحجار. لكنه كان في وضع أفقي خطر، ويحمل محفة معدنية من جزءين، اضافة الى عدته الاخرى. وكادت الحمولة الثقيلة تقلبه مما يهدد بافلاته من الحبل الملتف على كتفه ووسطه. لكن هذا المتسلق ظل محافظاً على توازنه.

وصل المنقذ الجديد الى الحافة بمساعدة مايك، وقال ان اسمه ديني. وعلمت انه واحد من الثلاثة الذين رأيتهم قبل ساعات على ضفة النهر الجليدي. لقد أمضى ليله متسلقاً الجبل حتى وصل الي، بينما حملت المروحية الآخرين وأنزلتهم في دقائق.

المنقذون يتحضرون لانزال المحفّة الى المتسلق الجريح.

طلبت منه ماء مثلما فعلت مع الآخرين، فأعطاني قارورة من ليتر واحد شربتها كلها. وهكذا استهلكت أربعة ليترات من الماء في نصف ساعة. وقد علمت لاحقاً أن هذه الكمية أنقذت كليتيّ.

في هذه الاثناء غرز ستيف حقنة مورفين في أنبوب المصل، فتوقف عني الالم للمرة الاولى منذ ثلاثين ساعة.

PHOTO: © FREEMAN KELLER

كان المنقذون مجموعة لطيفة من الشباب، وهم ضحكوا مستخفين باعتذاراتي عما سببته لهم من متاعب. كنت لا أزال ظمآن، لكنني لم أعد في حاجة ملحة الى الماء، كما لم أعد أعاني آلاماً مبرحة. وكان ستيف يعطيني جرعات من المورفين في المصل على فترات منتظمة. وكان مرحاً، على رغم انه كان يعمل في أوضاع خطرة جداً.

ولاحظت هدوءاً ظاهرياً فيما اجتهد الجميع في وصل المرتكزات بأنشوطات وحبال، لكنني لمست قلقاً خفياً على الوقت الثمين والصعوبات التقنية لعملية الانقاذ. وتولى اثنان من الفريق تجميع المحفة وتركيبها. وانتابني قلق حول طريقة نقلي اليها.

وكانت أجهزة اللاسلكي تهسّ وتقرقع ناقلة المحادثات بين مخيم القاعدة والجبل. كان الرجال في القاعدة يريدون معرفة موعد وصولي الى النهر لكي تكون المروحية في انتظاري. ولم يملك أحد جواباً. ومضى الوقت وقاربت الساعة الثانية بعد الظهر، وحان الوقت لنقلي الى المحفة وتقييدي اليها.

بين أيدٍ غريبة

كانت أربع أنشوطات من النايلون معقودة في زوايا المحفة ومربوطة الى حبل انقاذ طوله ٩٠ متراً. ووصلت بالحبل حلقات مثبتة كي تستطيع مجموعة الانقاذ التحكم بسرعة الهبوط.

مال مايك وستيف، معلَّقين بمرتكزاتهما، وحملاني الى المحفة التي باتت معلقة بجانب الحافة. كانت تلك مناورة معقدة ومثيرة للذعر. وأدت الحركة الى عودة الالم الي على رغم المورفين. وحزم ستيف بعض عدتي حولي، ثم أخرج من حقيبته سترة خفيفة غطى بها القسم العلوي من جسمي حيث مزق القميص. وبعد تعديل طفيف أصبحت في وضع مريح، وتمددت محدقاً الى السماء والى الواجهة المنحدرة لصخرة تشيمني.

كان ستيف سينزل الى جانبي، معلقاً بالحبل الذي يدعمني، "ماشياً" على جدار الجرف مع انزال المحفة. ثم اعلن منقذ آخر، اسمه فريد، أننا جاهزون.

بدأنا بسقطة سريعة مرعبة لمسافة متر أو نحوه، واصطدمنا بصفحة الصخر تحت الحافة. لكن الامور سارت بنعومة بعد ذلك. وفيما الرجال على الحافة يرخون الحبل عبر الحلقات المعدنية، كنا أنا وستيف نتحرك نزولاً. وكنت، وأنا مستلق على ظهري، أراقب كل هؤلاء الرجال وهم يعملون كعناكب على حائط.

كان ستيف يرشدنا بقدميه اثناء هبوط المحفة. وحيث الواجهة الصخرية شديدة الانحدار، كنا نبدو معلقين في الفضاء وأحياناً نفتل في الفراغ. وفي أحيان أخرى كان الحبل ينزلق، من دون سبب واضح، لمسافة متر أو أكثر وتتبع ذلك سقطة قصيرة مرعبة. وتساقطت صخور حولنا لكننا لم نصب بأي منها.

بعد ساعات من الهبوط البطيء رسونا على حافة أوسع من تلك التي كنت عليها. وعندما أصبحنا أنا وستيف في أمان فكك المتسلقون فوقنا عدة الهبوط، ثم انزلقوا على حبال مزدوجة الى موقعنا الجديد. وهناك دق مزيد من الاوتاد ووضعت مرتكزات جديدة. وسرعان ما عاودنا الهبوط.

ازدادت سرعة هبوطنا مع اقترابنا من سفح الصخرة. وباتت الواجهة الصخرية أخف انحداراً مما منح ستيف قدرة أفضل على التحكم بالهبوط. وفجأة سمعت أصواتاً لم تأت عبر أجهزة اللاسلكي، بل من الاشخاص الذين كنت رأيتهم منتظرين عند النهر.

PHOTO: © FREEMAN KELLER

يجب أن تنقل الى منطقة الهبوط. فك الحبل عن المحفة وشرع سبعة رجال أو ثمانية في جرها عبر النهر الجليدي. كان العمل شاقاً، والرجال يهمهمون ويلهثون محاولين الاسراع، ويتوقفون لفترات قصيرة لالتقاط الانفاس. وأحاط بهم جو من الالحاح الحقيقي. كانت الساعة جاوزت الثامنة مساء، وضوء النهار يكاد يختفي. ولسعتني نسمة باردة من الريح المتجددة وهي تهب عبر الجليد.

ثم سمعت هدير المروحية. لم أكن أرى من موضعي في المحفة الا السماء وقد صبغها الغروب بألوان برتقالية وحمراء. لكن أحدهم صرخ: "ها هي آتية!" فركع الرجال حول المحفة وأحاطوا بي لحمايتي من قطع الجليد التي طيرتها المروحية الهابطة. وحدقت الى وجوه أولئك الغرباء، فبدوا كلهم متشابهين بخوذهم وستراتهم السميكة. وحركت لفتتهم الاخيرة مشاعري.

اقتربت المروحية وهديرها يصم الآذان، ثم سمعتها تعلو من جديد وتطير بعيداً. لم أصدق ما حصل، ووقف الرجال كلهم لمراقبتها وهي ترحل. كان الجميع يعرفون صعوبة الهبوط بمروحية كبيرة على سطح جليدي منحدر، في أول الليل ووسط ريح غادرة. جثمت في مكاني أنتظر. وسمعت المروحية تعود.

ركع الرجال مرة أخرى حول المحفة. وأثارت المروحية الجليد في عاصفة

المنقذون مايك ايبرلي وديني فنسترميكر وستيف ماي وفريد ستانلي.

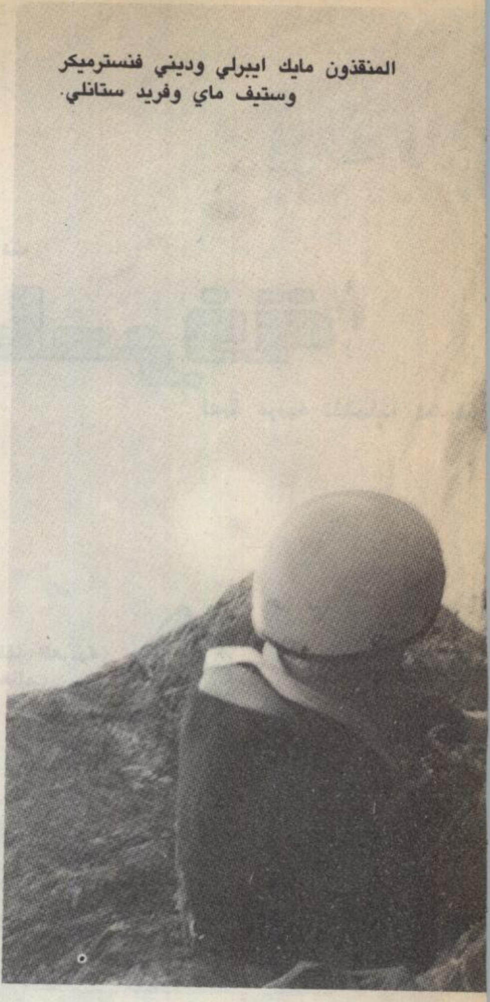

وظهر رجال آخرون ليساعدوا في جر المحفة جانبياً نحو النهر. وسرعان ما كنا نتحرك بضوضاء على الصخور. ثم احسست بالمحفة تنزلق على الجليد: لقد وصلنا الى أعلى النهر الجليدي.

قرقع جهاز لاسلكي معلناً أن مروحية هي في طريقها الينا، وأن "الضحية"

لعبة التحدي في الثقافة والمعلومات

هرم المعرفة

لعبة عربية تثقيفية مشوقة

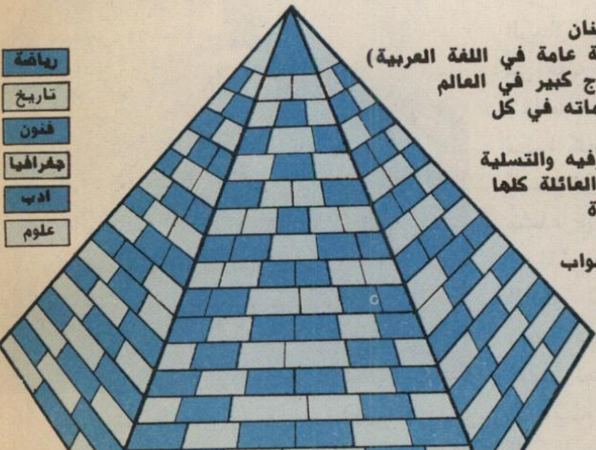

- ▲ هرم المعرفة: صممت وانتجت في لبنان
- ▲ هرم المعرفة: اول لعبة معرفة (ثقافة عامة في اللغة العربية)
- ▲ هرم المعرفة: لعبة من التي لها رواج كبير في العالم
- ▲ هرم المعرفة: لمن اراد توسيع معلوماته في كل الميادين والحقول
- ▲ هرم المعرفة: طريقة جديدة في الترفيه والتسلية
- ▲ هرم المعرفة: لعبة تسلية للشباب والعائلة كلها
- ▲ هرم المعرفة: من سن الخامسة عشرة وما فوق
- ▲ هرم المعرفة: ٣٦٠٠ سؤال و٣٦٠٠ جواب
- ▲ هرم المعرفة: ستة مواضيع مختلفة

هرم المعرفة مسجلة في لبنان - جميع الحقوق محفوظة ١٩٨٧

كالاعصار. وصرخ أحدهم عالياً فوق الضوضاء: "الآن!"

نُترت المحفة عن الجليد. والتفتُ لارى باب المروحية مفتوحاً واثنين من طاقمها يمدان أيديهما لمساعدتي. القي بي في الداخل وانزلقت محفتي على أرضية المروحية. ثم أقفل الباب بقوة وارتفعنا بسرعة.

كان الجو دافئاً داخل الطائرة، ووقف أحد أفراد الطاقم يحدق الي.

سألته: "الى أين نتجه؟"

"الى هاربور فيو."

كنت أعرف المكان بالاسم فقط، لكن هذا المركز الشهير المتخصص بمعالجة الاصابات الخطرة في سياتل كان سيصبح جزءاً من حياتي خلال السنة التالية، وبعد شهر سوف يتولى جراحو العظم تثبيت أجزاء جسمي بواسطة قطع من الفولاذ كي أتمكن من الوقوف أثناء احتفال زواجي بآن.

تمددت داخل المروحية مكتفياً بمعرفة أنني في طريقي الى هناك. كنت مذهولا ومنهكاً، لكنني بقيت مستثاراً ويقظاً. كنت حياً، وآملا أن أبقى كذلك. لقد مر بعض الوقت على آخر جرعة مورفين، وعاد الالم يتعاظم، لكنني استطعت احتماله، فلن يطول الامر الآن.

حوَّمت المروحية في سلسلة من الدورات الصعبة، ثم هبطت على الارض بصدمة خفيفة. فتح الباب، وأسرع رجال بنقلي عبر المهبط. كان ذلك مساء صيفياً دافئاً، والسماء الغربية ما زالت تحتفظ ببعض الوانها.

اندفعت محفتي عبر أبواب وحدة الطوارىء داخل المستشفى، حيث الجدران البيضاء والاضواء المشعة. واقترب مني رجل يضع نظارتين. كان انساناً عادياً، يرتدي قميصاً وربطة عنق.

"بمن تريدنا أن نتصل؟"

"آن! اتصلوا بآن!"

لم أكن أعرف في ذلك الوقت أن دوغ أبلغ الى آن ما حدث، وأنها أمضت النهار عند سفح الجبل، في مركز العمليات، مع الكثيرين الذين انتظروا بنفاد صبر. وكان بوب ماك برايد، آمر الشرطة في مقاطعة كيتيتاس، هو الذي نظم عملية الانقاذ التي ضمت ٣٤ متطوعاً من أربع مدن، بدأ خمسة منهم التسلق في اتجاه موقعي في العاشرة والنصف من الليلة السابقة.

تحركت المحفة وباتت تحت جهاز اضاءة ثابت ضخم. وأزيلت الاربطة التي تقيدني اليها، ودحرجتني أيد الى طاولة عمليات. ونزع أحدهم قبعتي فيما قص آخر ثيابي الممزقة المغطاة بالدم.

سمعت رنين أوعية معدنية، وأحسست وخز ابر، ولف حول ذراعي رباط جهاز قياس ضغط الدم. ووسط هذه الفوضى أتاني صوت اخترق آلام اليومين الماضيين ووحشتهما. كان صوت امرأة، ربما كانت ممرضة أو طبيبة، وهو جاء قوياً وصافياً: "كنا في انتظارك!"

مع هذا الصوت، أرحت أعصابي أخيراً. فالمعاناة صارت شيئاً من الماضي.

بيتر بوترفيلد ■

ترجمة: فواز خوري

النوم عدو الكذب

هل لاحظتَ يوماً أنك عندما تكون غارقاً في نوم هنيء ويرن جرس الهاتف، يطالعك دائماً من الطرف الآخر من يقول: "هل أيقظتك؟"

وهل لاحظت أيضاً أنك تجيب للحال وفق نمط من الكذب لا يتغيّر: "لا، أبداً، فانا مستيقظ منذ ساعات؟"

لست أدري لاي سبب يُنظر الى النوم المسالم كعمل دنيء، الى حد أن الناس يستحيون من الاعتراف به على الهاتف. وكيف يعرف المتكلم دائماً أنه أيقظ ضحيته؟

لقد أيقظني الهاتف مئات المرات خلال عشرات السنين، ولست أذكر مرة واحدة لم يعرف فيها المتكلم للحال أنه أيقظني.

أنا أعتقد أن السؤال "هل أيقظتك" صيغ بخبث ليمنح المتحدث تفوقاً نفسيًا على ضحيته. من الواضح أنه يدرك أنه أيقظك، فلماذا يسأل اذاً؟ في وسعه أن يتصرف كانسان متمدن فيقول: "آسف، سأتصل لاحقاً عندما تفيق" ثم يقفل الخط. لكنه بدلا من ذلك ينتهز الفرصة فيخضعك لاستجواب مذلّ، وهو يعرف أنك ستكذب.

هذا النزوع الى الكذب في شأن النوم يعكس اعتقاداً قديماً بمنافع النهوض باكراً. وكان السياسي والكاتب والعالم الامريكي بنجامين فرنكلين (١٧٠٦ - ١٧٩٠) يعتقد أن النهوض المبكر، مقروناً بالنوم المبكر، يجعل المرء سليماً وغنياً وحكيماً. ومن الامثال الشائعة أن العصفور المبكر يعثر على ديدان للطعام. ولا شك في أن كثيرين من الذين يظلون نائمين بعد السادسة صباحاً يشعرون بالذنب لأنهم نعموا بدفء الفراش بدلا من أن يسعوا الى رزقهم.

بيد أن ذلك لا يبرر انكار الناس كونهم نائمين عندما يوقظهم الهاتف في الثالثة فجراً، كما لا يبرر السؤال المحتوم: "هل أيقظتك؟"

قد يجدر بك أن تجيب: "الثالثة فجراً؟ أنت تمزح! فانا مستيقظ منذ منتصف الليل."

غير أن الجواب الذكي لن يخرج من ذهن أفاق فجأة. حتى وان جاء جوابك محكماً، فلن يُعدَم المتكلم ذريعة يبرر بها ازعاجه، كتلك العمة التي اختلط صوتها بدموعها وهي تخبر أن العم وقع عن السلّم.

وهكذا نكذب: "أنت توقظني؟ معاذ الله! الجميع مستيقظون هنا، أربعاً وعشرين ساعة في اليوم."

راصل بيكر، صحيفة "نيويورك تايمز"

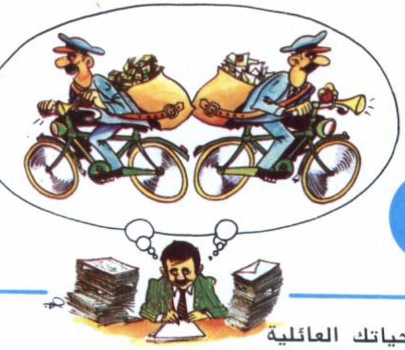

اكتب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٣٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٣٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت. شارع المقدسي. بناية الشرتوني. ص.ب ٨٧٠٧ لبنان.

COURTESY FISCHBACH GALLERY, NEW YORK

"دولاب العجائب" - زيتية للفنان الامريكي بيلي ساليفان.